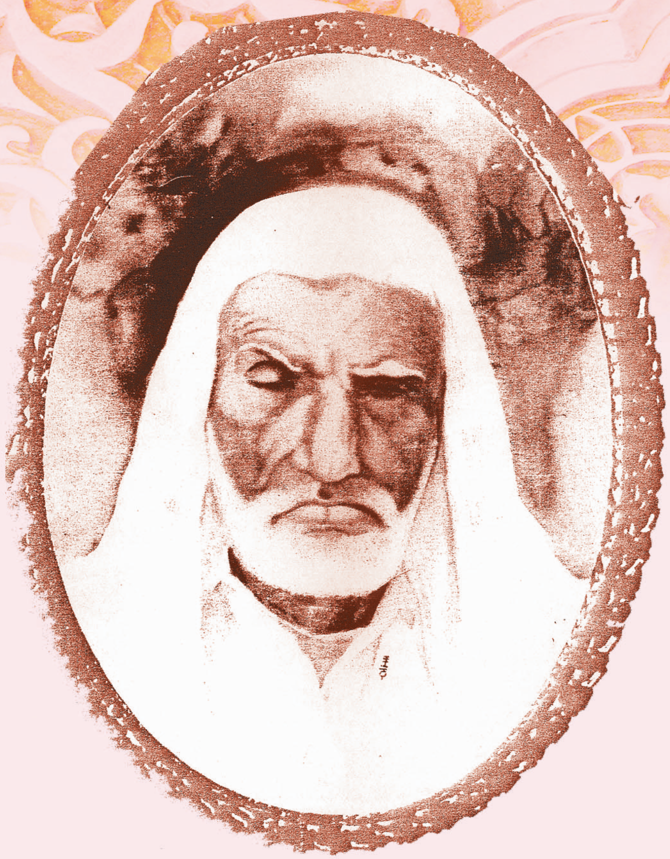
ديوان صقر الشبيب

جمعه وقدم لـه

أحمد البشر الرومي



الطبعة الثانية

أعدها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

ديوان صقر الشبيب
الدكتور يعقوب يوسف الغنيم
الطبعة الثانية

الناشر
مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
الكويت 2008

ديوان صقر الشبيب

جمعه وقدم لـه

أحمد البشر الرومـي

الطبعـة الثانيـة

أعدها وأضاف إليها وقدم لها

الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

الكـويت

2008

الصــف والتنــفيـذ

قسم الكمبيوتر $ الأمانة العامة للمؤسسة

تصميـــم الغـلاف

محـمـد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9538 الشبيب، صقر.

صقر الشبيب: الديوان/ أعده وقدم له يعقوب يوسف الغنيم. - ط2. - الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2008

736 ص ؛ 24 سم

ردمك: 1 - 24 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - الكويت - العصر الحديث. أ. الغنيم، يعقوب يوسف. ب. العنوان.

ردمـــــــك: ISBN : 978 - 99906 -72- 54 - 1

رقم الإيداع : Depository Number: 2008 / 250

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديـر

كان صقر الشبيب ثالث ثلاثة اختارهم مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ليتم الاحتفاء بهم في الدورة الحادية عشرة للمؤسسة، دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» من خلال إصدار كل ما تصل إليه اليد من إنتاجهم الشعري ضمن ديوان كامل، أما الشاعران الآخران فهما عبدالغفار الأخرس وإيليا أبي ماضي، وثلاثتهم واردون في المعجم بإيجاز كغيرهم من شعراء القرنين، ورأى مجلس أمناء المؤسسة نشر إبداعهم كاملاً كممثلين لشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولئن كان شعر صقر الشبيب موضع اهتمام عدد من أبناء الكويت البررة الذين تابعوا تراثها الشعري والأدبي، وأولوا اهتمامًا خاصًا لإبداع هذا الشاعر، وفي المقدمة منهم المرحوم أحمد البشر الرومي والمرحوم عبدالله زكريا الأنصاري، والأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم أطال الله عمره، فإن المؤسسة سعت بجهد خاص من الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم لجمع شتات شعر الشبيب من مظانه ومصادره ليكون بكليِّته بين أيدي الباحثين والقراء وذوي الاهتمام.

ومع كل هذا فإننا نرى أن المرحوم الشاعر صقر الشبيب لم ينل حظه من الاهتمام الكافي والملائم الذي يناسب قامته الشعرية في بلده وإقليمه ووطنه الكبير، ولعل جمع الديوان كاملاً سيكون حافزًا لمن شاء من الباحثين لإجراء الدراسات والأبحاث عن إبداعه واستجلاء أغراضه وفنونه الشعرية، التي تمثل - دون شك - سجلاً ثمينًا للفترة التي عاشها الشبيب مبدعًا بين ظهرانينا، ولنا أن نقدر فترة عطائه الأشمل، فشاعرنا ولد عام ١٨٩٦ والقرن التاسع عشر يودع تقويم الزمن والقرن

العشرون يطل على العالم، وتوفي عام ١٩٦٣، فكانت فترة عطائه الرئيسية ممتدة منذ فجر ثلاثينيات القرن الماضي وحتى بدايات العقد السادس منه وهي فترة تقارب ثلث القرن، وقد شهدت من التطورات والأحداث ما لم تشهده فترة أخرى من القرن المشار إليه، إذ حدثت فيها الحرب الكونية الثانية واكتوى العالم - ومنطقتنا في الصميم منه - بويلات هذه الحرب، كما أن الفترة نفسها شهدت موران حركات الاستقلال والتحرر العربي وزخمها، فلم يكن الشبيب رحمه الله متقوقعًا على الاهتمام بأحداث بلده أو إقليمه وإنما تعدى اهتمامه إلى وطنه العربي الكبير، ويؤكد ذلك اهتمامه المتواصل من خلال إبداعه، فكتب قصائد في قضية فلسطين وثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ والوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ وحرب التحرير الجزائرية التي اندلعت عام ١٩٥٤، ومتابعته ضيوف الكويت من رواد النهضة العرب والترحيب بهم من خلال قصائده كالزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي وغيره. هذا فضلاً عن مواكبة التطورات الحاصلة في الكويت على مستوى الفرد والمجتمع وحتى الاقتصاد والدولة.

لقد كان شاعرنا بحكم العاهة التي ابتلي بها منطويًا على نفسه يميل إلى الوحدة والانفراد - حتى لا نقول إنهما كانتا مفروضتين عليه - فلزم بيته وجعله محبسًا آخر له بعد محبسه بعاهة كف البصر، فرقّت أحاسيسه وتنوعت، فعاتب من خلال شعره وتشاءم، وتشكك وتحير ويئس وأَمِلَ وسَعِد وشقي وآمن، وكره البخل والنفاق والسباب لأنه يراه سلاح العاجزين، وأحب الصراحة والنصح والحكمة، وألجأته ظروفه إلى تقدير القناعة حق قدرها.

لقد تلامس صقر الشبيب برغم عاهته مع شؤون الحياة اليومية فكتب عن بائع الغاز وإزعاجه للناس وخرق هدوئهم وتحدث عن مشكلة ندرة الماء في الكويت ورسوم البلدية والجابي والغلاء، وتأذى لمشهد تعذيب الطير والحيوان فأعاد إلى الأذهان سيرة رهين المحبسين الأول ونزيل معرة النعمان (أبو العلاء المعري).

عزيزي القارئ

وإذ نثمن جهد الباحث والأديب الكبير المرحوم أحمد البشر الرومي $ جمع تراث الشاعر والحرص على نشر ديوانه، فإنه مما يسرنا أن ننشر هنا ولأول مرة الديوان الكامل للشاعر صقر الشبيب بعناية الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم، حيث راجع وأعد القسم الرئيسي وأضاف إضافاته في القسم الثاني وأفرد في القسم الثالث مساحة لإضافات الأستاذ سيف مرزوق الشملان. فلكل من أسهم في هذا الجمع جزيل الشكر وعظيم التقدير، والشكر الخاص لكل أفراد أسرة الشاعر الذين أذنوا - ممثلين بالأستاذ خالد الديين - للمؤسسة بنشر هذا الديوان بصورته الكاملة تخليداً لذكرى الشاعر الكبير.

القارئ الكريم..

هذا كل ما وصلنا من شعر الشبيب أمامك بين دفتين وهو بهذا يجتمع لأول مرة، فنرجو لك الإبحار المثمر في إبداعات هذا الشاعر الإنسان الذي مثل - إلى جانب كوكبة أخرى من المبدعين عاشت الفترة ذاتها - وطنه الكويت إبداعًا وبيئة وحياة وتطوراً.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 18 رجب 1429هـ
الموافق 21 يوليو 2008م

****

التقديم

كان مما أسعدني اتصال مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بي، لتبلغني برغبتها في إعادة طبع أشعار شاعر الكويت صقر بن سالم الشبيب، وأن اختيارهم وقع عليّ من أجل الإشراف على طبعها.

وكان مصدر سعادتي بهذا الاتصال، بالإضافة إلى إحساسي بموقعي لدى القائمين على الجائزة، هو ارتباطي العميق بهذا الشاعر وإن لم أتمكن من لقياه، ذلك لأن المرحوم أحمد البشر الرومي كان بالنسبة لي هو المرآة التي أرى شاعرنا من خلالها، فمنه أسمع أشعاره، وأتتبع أخباره، وأعرف عنه كل ما أريد معرفته، وقد ازدادت معرفتي بصقر الشبيب حين أقدم الأستاذ أحمد البشر على إعداد الديوان للنشر، وكان ذلك في سنة ١٩٦٨م حين كنت أقوم بدور الناشر.

وأذكر أن صاحبي قد أصيب بمرض خطير ونقل إلى لندن من أجل العلاج، فكنت أرسل له كل (ملزمة) تطبع من ملازم الديوان، لأنه كان حريصًا على المتابعة، ولأنني كنت أشعر أنه يسعد بذلك. ولذا تراه قد كتب في أوراقه الخاصة عن تسلمه لتلك الملازم كلما جاءه شيء منها.

لقد كان أحمد البشر الرومي محبّاً لصقر الشبيب مداومًا على الالتقاء به وقضاء ما يحتاج إليه من حوائج، وكان يجمع شعره من عدة مصادر منها ما أخذ منه شفاهةً ومنها ما كان مكتوبًا في عدد من الصحف التي كانت تصدر في تلك الأيام في الكويت وفي ما جاورها، وقد اجتهد كثيرًا في جمع تلك الأشعار حتى أوشك أن يكون الديوان الذي طبع في سنة ١٩٦٨م كاملاً..

أورد أحمد البشر الرومي طرفًا مما يتعلق بمشكلة نشر الديوان في طبعه الأولى، ذكرته في كتابي الذي تضمن أوراقه الخاصة ومما جاء في تلك الأوراق: «أكدت محكمة الاستئناف ما جاء في حكم محكمة أول درجة من ثناء على ما

قمنا به، كلٌّ من جانبه فيما يتعلق بنشر هذا الديوان، فكان ذلك تعبيرًا عن موقف العدالة في الكويت تجاه العمل الأدبي، فجاء في الحكم (الدعوى رقم ٥٤ و٥٦/ ١٩٧٢ مدني): «ومن حيث إن هذه المحكمة تقر محكمة (درجة أولى) على ما جاء في أسباب حكمها لمجهود الجامع لقصائد الديوان وناشره، فإنهما قد أسديا خدمات جليلة إلى الشاعر، وإلى أسرته، وإلى دولة الكويت، وإلى رجال الثقافة والشعر والفكر والأدب في كل بلد ناطق بالضاد - أما بالنسبة للشاعر فقد نشرا شعره على الناس وأطلعاهم على فنه الرائع، وقصائده التي تشيع فيها موسيقى الشعر الحلو السهل المحبب للناس، والتي تدل على دقة حس الشاعر، ورقة نفسه، وصفاء روحه، وفي ذلك إحياء لذكرى الشاعر، وإكبار لفنه وأدبه.

وقد جلّى جامع القصائد حياة الشاعر في مقدمة يلمس القارئ فيها صدق الوفاء له، والتقدير لفنه، والإعجاب بخلقه ودينه وعطفه على الناس، ولعله لولا جهد الجامع والناشر لبقيت قصائد الشاعر مهملة، لا تمتد إليها يد، ولا يعرف بقدرها إنسان، وأما أسرته فحسبها أن نَبَتَ فيها شاعرٌ ذاع شعره، وقرأه الداني والقاصي، وما تأتّى ذلك إلا بطبع الديوان، وأما دولة الكويت، فقد عرف الناس أنها أنجبت شاعرًا فحلاً يزاحم الشعراء في الدول الأخرى، ويركض معهم في حلبة الأدب والشعر، وأما رجال الثقافة والفكر فقد قرؤوا الديوان وأفادوا منه، وكان فيه منفعة لهم وفائدة فنية عظيمة.

وأكبر الظن أنه لولا أن المستأنفين يقدران الشاعر، ويعجبان بشعره وأدبه لما قاما بعملهما المشكور، وسواء أفادا كسبًا ماديّاً أم لم يفيدا، فإن ما عاد على أسرة الشاعر أكبر من الكسب المادي وأحسن».

أما عن وفاة صقر الشبيب التي كانت في اليوم العاشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٣م، فكتب أحمد البشر ما يلي: «الساعة الخامسة والربع، ومنذ الساعة الثالثة والنصف وأنا أحاول أن أنام كالعادة غير أن النوم لم يسعفني، ولم أسترح دون نوم، وبقيت مستيقظًا أحاول أن أتسلّى بأي شيء غير أني لم أجد أي شيء يزيل من صدري الضجر من جراء تذكري وفاة صقر، والذي يحز في نفسي أنني لم أكن حاضرًا ساعة وفاته لأودعه الوداع الأخير، ذلك آن آخر لقاء التقيته فيه منذ شهرين ونصف على وجه التقريب، ثم إنني حاولت أن أتصل به وقد قرعت عليه الباب مرتين إحداهما قبل وفاته بشهرين والأخرى قبلها بتاريخ ٥٣/٧/١٠ وكان في كل عام يعلن ابتداءً من الشهر السابع إلى نصف الشهر التاسع أنه مريض من شدة الحر وأنه لا يستطيع مقابلة

أي إنسان حتى أعز أصدقائه، ولعلمي بهذا القانون الذي سنه منذ خمس سنوات لم أود أن أفرض نفسي عليه رغمًا عنه، لهذا سافرت ولم أودعه ولست أدري متى أسلوه وتنصرف النفس عن ذكراه.

إنه شخصية لا يمكن أن تُنسى فهو مزيج من الوفاء والكرم والشهامة والحفاظ على ما للصداقة من حقوق حتى أبسطِها وأدقِّها، ويتفانى في ذلك تفانيًا يقلق راحته ويكدر صفوه.

إذا بدرت منه كلمة واعتقَد أنها ربما فيها إشارة إلى ما يسيء (وعادة لا تكون هذه الكلمة ذات أهمية) بقيت هذه الكلمة تقلق راحته حتى يلقاك فيشرح لك شرحًا طويلاً وافيًا ما قصد في هذه الكلمة، ثم لا يكتفي بذلك فلا يلبث أن يعيد الموضوع مرة أخرى ثم ثالثة ثم رابعة حتى تزهق نفسك من التكرار.

وفي الساعة السادسة نزلت في الصالون التابع للفندق وجلست على أحد الكراسي أفكر في وفاة صقر».

✡✡✡✡✡

حرص أحمد البشر الرومي على أن يقدم للديوان بمقدمة وافية تناول فيها حياة الشاعر، ودراسته، وعلاقاته بالأدباء والشعراء. ولم يترك شيئًا يتعلق به إلا وقد ذكره في هذه المقدمة. وعندما صار من واجبي القيام بما طلبت مني هذه المؤسسة الكريمة، وجدت أن من غير المعقول أن أعيد بقلمي ما سبق أن كتبه الرومي ولكني استحسنت الكتابة عن شعر الشاعر، وعن بعض الملحوظات التي يجدر بواحد مثلي أن يقدمها، كما أنني أضفت إليه بعض القصائد والمقطوعات التي عثرت عليها أو أمدني بها بعض الإخوان.

آمل أن يكون في ما سوف يراه القارئ فائدة إضافية تضم إلى الفوائد الكبيرة التي جنيناها من عمل الأستاذ أحمد البشر الرومي.

والله ولي التوفيق،،

د. يعقوب يوسف الغنيم

****

المــدخــل

الفـــرع الأول

كتبه: الأستاذ أحمد البشر الرومي

صقر الشبيب

نسبه:

سألته ذات يومٍ – وكنا نتناول شتى الأحاديث – عن نسبه، وذلك عام ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م، فقال: إنه صقر بن سالم بن شبيب بن مزعل بن دهيرب بن رومي الشمري، ومن المعروف أن قبيلة شمر التي ينتسب إليها قبيلة كبيرة، مقرها مدينة حائل والأطراف المجاورة لها، وفي موسم الربيع ينبت الكلأ في قسم كبير منها في شمال الجزيرة حتى نجد.

وكانت حائل قبل خمسين عامًا تستمد أكثر حاجاتها من الكويت بواسطة القوافل.

وأول من اتخذ الكويت موطنًا له من أجداد شاعرنا هو دهيرب، أما مزعل وشبيب وسالم فقد ولدوا في الكويت.

ولد شاعرنا في مدينة الكويت في الحي الشرقي منها، وذلك حوالي عام ١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٦م، وأصيب بالعمى إثر إصابة عينيه بمرض لم يفلح العلاج فيه، وكانت سنه آنذاك تسع سنوات، وكان يتصور الألوان وبعض ملامح أقاربه وجيرانه.

الولد والوالد:

عاش شاعرنا مع والده وأختيه، بعد أن توفيت والدته التي كانت تعطف عليه، وكان يواصل الذهاب إلى الكتّاب الذي كان يُحفِّظه القرآن الكريم، ولم يكن «الملا» الذي يحفظه القرآن يجيد شيئًا غير قراءة القرآن، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ بعد ذلك يطالع بعض دواوين الشعر الميسورة لديه بواسطة بعض الأصدقاء، وكان والده لا ترضيه هذه المطالعة، وكثيرًا ما يردد على مسامع ابنه (الشعراء يتبعهم الغاوون) ويلح على ابنه في الانضمام إلى قرّاء الموالد والذكر، غير أن الابن لم يرض لنفسه أن ينزل إلى ذلك المستوى الذي كان والده يتمنى أن يصله ابنه، لهذا نشأت بينه وبين والده وحشة، اضطرته إلى أن يتحاشى

وجوده مع والده في البيت في آن واحد، فكان يتغيب عن البيت في الوقت الذي يظن أن والده موجود فيه، متفادياً لوم والده وتأنيبه.

عاش مع والده على هذه الصورة حتى عام ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م، فرأى أنه لا يستطيع الإقامة في الكويت للأسباب المتقدم ذكرها، فعزم على السفر إلى الأحساء، ومن المعروف أن في الأحساء آنذاك زمرة من الفقهاء المشتغلين بتدريس علوم الدين واللغة، ويضيفون الطلبة على حساب ما يتقاضونه من ريع الأوقاف المكونة من النخيل والعقارات الموقوفة لهذه الغاية، لكونهم أئمةً في المساجد التي لها مثل هذه الأوقاف، ويسكن الطلبة في بيوت معدة لهذه الغاية، لأن من يدرس في الأحساء لا يحتاج إلى مصاريف، أما مصاريف السفر من الكويت إلى الأحساء فإنها لا تتجاوز الدينارين ذهاباً وإياباً في ذلك الوقت، وقد دفع هذا المبلغ شاعرنا من جيبه كما اخبرني بذلك. وصادف أن أحد أصدقائه، وهو المرحوم محمد بن حمد الرومي، الذي كان يسافر إلى الأحساء كل عام، وذلك في فصل الشتاء، لوجود زوجة له في الأحساء، تم الاتفاق بينه وبين صديقه على السفر معاً، وسافر الإثنان على ظهر الباخرة إلى البحرين، ومنها في سفينة شراعية إلى العجير، ثم إلى الأحساء على ظهور الحمير. وأقام شاعرنا عند الشيخ عبدالعزيز العلجي، نسيب صديقه، وكانت له معرفة به وصحبه في أثناء زيارات الشيخ المذكور للكويت في كل عام، والشيخ عبدالعزيز العلجي فقيه، وله إلمام واسع بعلم النحو والصرف.

أقام شاعرنا في الأحساء ما يقارب السنة والنصف، وأصيب في الأشهر الستة الأخيرة من إقامته في الأحساء بملاريا الأحساء المشهورة، التي كادت تقضي على حياته، فقفل راجعًا زاهدًا في الأحساء أشد الزهد، لما عاناه من المرض، والتعصب الشديد الذي كان عليه رجال الدين هناك.

وفي أحد الأيام كنت أتحدث معه عن الأحساء ومياهها وزراعتها وطقسها، فقال في أثناء حديثه عنها: عندما كنت في الأحساء كنت أحس بأنني في بيئة غريبة، وبين سكان أنا غريب فيهم، فتفكيرهم يختلف عن تفكيري، واتجاهاتهم تختلف عن اتجاهي، ويوم كنت في الأحساء كنت تلميذاً لا يصح لي – حسب العادة هناك – ان أناقش الشيخ في مسألة ما،

فعليَّ أن أسمع وأحفظ فقط، وكثيرًا ما يقرّر الشيخ في أثناء دروسه مسائل أرى أن لي اعتراضًا عليها، غير أنني لا أستطيع أن أتفوه بذلك أو أبدي بعض الملاحظات، لأن ذلك يعد في عرف التعليم هناك اعتراضًا على الشيخ المدرس، ووراء ذلك ما وراءه من غضب الشيخ ونقمته.

ثم قال: ومما يزهد المرء في الأحساء تعصب رجال الدين، وتطرفهم في التعصب إلى حد يكاد يخرجهم عما درج عليه السلف من علماء المسلمين، فهناك كل شيء حرام أو مكروه، وليس في قاموس الحياة عندهم شيء اسمه التسامح، وسأقص عليك مشهدًا من المشاهد الكثيرة التي عاصرتها هناك. قال:

نمى إلى هؤلاء الفقهاء أن هناك امرأة في حيهم بانت عليها أعراض الحمل، وهي غير متزوجة، فعقدوا اجتماعًا تداولوا فيه أمرها، فاستقر رأيهم على عرض قضيتها على القاضي ليحكم بإقامة الحد عليها – وهم فرحون بذلك – إذ إنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك إلا بحكم يصدر عنه، وكان يتولى القضاء أحد الفقهاء، ممن أودع الله في قلوبهم شيئًا من الرحمة، وعندما بلغ القاضي أمر هذه المرأة أرسل إليها إحدى نسائه لتخبرها بما سيتم في أمرها، وأن توصيها بأنها اذا حضرت عنده وأمام من ينوب عن هؤلاء الفقهاء أن تقول: إنني مغصوبة من قبل رجل لا أعرفه، وذلك في مكان الإحتطاب، فلما حضرت المرأة وسئلت قالت نفس العبارة، فحكم القاضي بإعفائها من إقامة الحد عليها، وعندما علم الفقهاء بذلك نقموا على القاضي. ثم قال: وبعد هذه القضية وما قاسيته من الحمى لم أستطع البقاء في الأحساء، فغادرتها والحرب العالمية الأولى على أشدها، وقلت أبياتًا لا أذكر منها الآن إلا هذا البيت:

لئن عدت للأحساء يومًا فإنني
لألأم خلق الله طرّاً وأفجَرُ

✲✲✲✲✲

وصل الكويت في غضون عام ١٩١٦ تقريبًا، وكان هدفه أن يصبح في يوم من الأيام واعظًا في أحد المساجد، وفعلاً طلبه أهل المحلة ليعظهم في شهر رمضان. ورضي عنه

والده بعض الرضى، غير أنه لا يزال يؤاخذه على مطالعته الشعر وحفظه، وانبرى منافسوهُ لمنافسته على المكانة التي نالها، فأخذوا يكيدون له عند أبيه مرة ثانية، فتأزمت الحال على أشد ما يكون بينه وبين والده، فترك بيت أبيه إلا من إلمامةٍ لزيارة أختيه والاطمئنان عليهما، وذلك على غرة، عندما يغيب والده عن البيت.

في هذه الفترة ترك الوعظ في المسجد وأكب على إتمام حفظ متن الألفية ودراستها على شرح ابن عقيل، وذلك على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان وبعض من يزور الكويت ممن لهم يد في النحو، حتى أتم دراستها وفهمها فهمًا جيدًا، وكان الشيخ عبدالله الخلف الدحيان يوليه العناية التامة، ويقدمه في مجلسه، ويزوره إذا هو تأخر عن عادته في زيارة الشيخ المذكور.

وكان الشيخ عبدالله الخلف يدعوه في بعض الأحيان للغداء معه، وأذكر أنه دعاه يومًا على الغداء، وذلك في يوم شديد الحرارة، فأرسل شاعرنا هذه الأبيات يعتذر فيها عن عدم الحضور، قال:

إذا وصلت خمسًا ولم آت نحوكم
فلا تنتظرني للغداء فيفسُدا
وكله هنيئًا غير معقِبِ تخمةٍ
مريئًا وقم بين الأخلاء منشدا
تعوَّد خُلْفَ الوعد صقرٌ وإنما
(لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)

وامتدت الصِّلات الوثيقة بين الاثنين حتى وفاة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عام ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، فرثاه الشاعر بقصيدتين هما من أجود شعره.

وفي سنة ١٩١٨ توفي والده، وترك له ولأختيه البيت، ذلك البيت الخرب المتداعي، والذي لا يحجب من بداخله عن الشارع – إن صح ان تسمى تلك الخربة بيتًا – ترك تلك الدار الخربة، ولم يترك معها قوت يومٍ واحد.

كان والده يزاول مهنة الغوص في أيام شبابه وقوَّته، ثم تقدمت به السن فامتهن صيد السمك، ثم عجز عن الإبحار مع الصيادين إلى مناطق الصيد، فأخذ يحترف مهنة الصيد بقرب الساحل، وهذا يعني أنه لا يصيد من الأسماك إلا الشيء الطفيف الذي لا يقيت عائلته، فباع القارب الذي يملكه ليعيش بثمنه، ثم وافته المنية عن عمر يناهز الثمانين.

كان والده – إلى جانب شيخوخته – مصاباً بالشلل في وجهه، مما ترك فمه يميل إلى جهة الشمال قليلاً.

وعندما وجد شاعرنا نفسه بعد وفاة والده رب أسرة، عليه أن يقوم بإعاشتها، وأن يقوم قبل كل شيء بإصلاح البيت وبنائه من جديد، ليصبح صالحًا للسكن وليس لديه ما يمكنه من ذلك، رأى أن يلجأ إلى من يستطيع إنقاذه.

كان حاكم الكويت في تلك الأيام المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح، وكانت للشاعر معرفة به أيام كان الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، وكان الشيخ سالم يقطن قرية الفنطاس، لما بينه وبين والده من خلاف هينٍ، من ناحية، ولصلة المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الوثيقة بالشيخ أحمد الفارسي، الذي كان له بستان في قرية الفنطاس، والشيخ المرحوم أحمد الفارسي أحد علماء الدين، فقد أتم دراسته، ونال شهادة العالمية بالأزهر، فكان الشيخ سالم يدرس على يديه الفقه على مذهب الإمام مالك، وكان شاعرنا – وذلك قبل سفره إلى الأحساء – وهو صغير السن يحضر مثل هذه الدروس التي كانت تلقى تحت ظل الأشجار في ساعات الصباح الأولى وبعد صلاة العصر.

وكان قد سبق للشاعر بعد وصوله من الأحساء أن قدم قصيدة للشيخ سالم يشكو فيها من كثرة إراقة الماء في الشوارع، مما يسبب المضايقة للعميان في أثناء سيرهم، وقد صاغ تلك القصيدة بأسلوب قصصي، مدارها أن أرملة لم يخلف لها زوجها إلا دجاجة، كانت تجمع بيضها وتبيعه لتطعم بثمنه أيتامها، وأنها عثرت بهذه المياه وتكسَّر ما تحمله من بيض، فظلت تبكي، وقد مرّ بها الشاعر وهي على هذه الحال، ومطلع القصيدة:

ومــحــزونــةٍ في الــدرب تــبـكي وتــلــطمُ
وتُــعــولُ عن عِــظْم المــصــابِ وتُــرزِمُ

ومنها:

فــأخــرجت من جــيــبي دراهم خــمــســةً
ولم يك عــنــدي غــيــر هــاتــيك درهم
فــنــاولــتــهــا مــا يَــسَّــرَ الــله قــائلاً
خــذي واعــذري إنـي لَــمــثــلُكِ مُــعــدَم
دعت لـيَ إذ نــاولــتُــهــا ثم أنــشــأت
تــسبُّ الــذي ألــقى المــيــاه وتــشــتم
فــقــلت أظنُّ الــشــيخَ لــو كــان عــالــمًا
بمــا مــنه نــشــقى في الــطــريق ونــســأم
لــشــدَّدَ في نــهي الــرعــايــا عن الأذى
وهــدَّدهمْ حــتى يــكــفّــوا ويُــحــجــمــوا

وعلى أثر هذه القصيدة أمر الشيخ بمنع إراقة المياه في الشوارع، ووكل من يقوم بتنفيذ ذلك.

فرأى أن يتقدم للشيخ سالم بأبيات يلوح له فيها بورطته، لعله ينقذه من هذه الورطة التي وقع فيها بعد وفاة والده، فبعث إليه بأبيات جاء فيها:

فــيــا فــرحــتي إن نــلــت عــنــدك حــاجــتي
ويــا حــســرتي إن لم أنــلــهــا ويــا خُــسْري

ولما قدم الأبيات مكتوبة للشيخ قال له: ما حاجتك، فإننا على استعداد لقضائها، فشرح له شاعرنا قضية بيته المتداعي، فقال الشيخ: إنني أملك بيوتًا كثيرة، في كثير من أحياء المدينة، فاختر لك منها بيتًا صالحًا أسجله باسمك. فأجابه: إنني لا أحب أن أغير المحلة التي نشأت بها، فأمر الشيخ بأن يهدم البيت من أساسه، وأن يبنى من جديد، وعلى

الكيفية التي يريدها الشاعر. وفعلاً بوشر في هدم البيت وإعادة بنائه، غير أن الوكيل تباطأ في العمل، فتوجه الشاعر بهذين البيتين إلى الشيخ سالم:

أبـا الـشـهم عـبـدالـلـه لـو أنـهم مـشَـوْا
إلـيه بـجـدٍّ لابـتـنَـوْهُ وتـمَّـمـوا
بـعـشـرة أيـام ولـكـنـهم مـشَـوْا
إلـيه كـمـا يمـشي إلى الـسـجن مـجـرم

فاستدعى الشيخ وكيله، وأنبه على هذا التباطؤ، وفي اليوم الثاني حشر الوكيل أكثر من ثلاثين عاملاً، ووقف معهم أيامًا حتى أنهى البيت، فبيت الشاعر هو أول بيت قامت الحكومة بعمارته، وذلك قبل اكتشاف آبار النفط بزمنٍ طويل.

فكونت الحادثتان، – حادثة إراقة المياه وحادثة بناء البيت – ألفةً متينةً بين الشيخ سالم، رحمه الله، والشاعر، وأخذ يتردد على مجلس الشيخ سالم بعد ذلك، وكان الشيخ يعتب عليه إذا تأخر عن حضور مجلسه عدة أيام، وكان يحثه على الاستزادة من علم اللغة العربية، ولم ينس الشاعر ذلك، فقد ذكره في إحدى قصائده، قال:

جـئت لـلـرفـد وحـده فـإذا بي
مـنك أحـظى بمُـرفـدٍ وبـهـاد
مـنـذ حـرّضـتَـني عـلى بـذل جِـدِّي
في تـلـقّي الـفـصحى وبـذل اجـتـهادي
كـان شـغـلي جـمـيـعه في نـهـاري
بل ولـيـلـي تـطـلُّـبًـا لـلـضّـاد
ولـقـد ذقتُ طـعـمَـهـا الـحـلـوَ حـتى
لـيس إلا مـنـالُـهـا من مـرادي
ولك الـفـضلُ لـيس لي أنْ تـأتّى
ليَ مـا رمتُ من لُـغى الأجـداد

الخ... والقصيدة في الديوان.

وكان يبرُّهُ في كل مناسبة، مما سهل عليه الحياة، ويسَّر عيشه، وعندما توفي الشيخ سالم عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢١م كان جزع الشاعر عليه جزعًا شديدًا، وكان يتذكره في كل مناسبة بعد ذلك.

بعد وفاة الشيخ سالم توثقت صلته بالمرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت الراحل. وكان يجل الشاعر ويقدره، فكان يستزيره ويود أن يكون الشاعر في مجلسه كل يوم، يناقشه بشرح بعض الأبيات وتفسير بعض الألفاظ اللغوية، فكان الشاعر يزوره مرتين في الشهر.

وكان شاعرنا في هذه الفترة قد توظف بإدارة المعارف آنذاك، فعيِّنت له غرفة يجلس فيها لتدريس من يحب أن يدرس القواعد، أو من يود أن يستفسر عما غمض عليه من الأدب العربي، فكانت غرفته تعج بالشباب الناشئين، للتحدث معه في الأدب على اختلاف أنواعه شعرًا أو نثرًا.

بقي يداوم في هذه الغرفة ما يقارب العام، ثم حدثت أمور انقطع بسببها عن الدوام، ولزم بيته، وانقطع كذلك عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، متعللاً بكثرة السيارات في الطريق، فكان المرحوم الشيخ عبدالله السالم يرسل له سيارته لتنقله أحيانًا إلى قصر الشعب للاجتماع به، ثم رفض أن يخرج من بيته حتى بواسطة سيارة الشيخ، وأرسل للشيخ قصيدة يعتذر فيها عن تلبية طلبه مطلعها:

لئن لم أزُرْ في كل يومٍ محلَّ من
عليَّ له فضلٌ يَجِلُّ عن الشكر

ومنها:

فليس لصقرٍ أن يُبارح وكرَهُ
إذا سَدَّت العينين منه يَدُ الضُّرِّ
فما طار مكفوفُ الصقور فسالمتْ
جناحيه قبل اليوم عاديةُ الكسر

إلى أن قال:

لــهــاتــيــكمُ الأســبــابِ قَــلَّت زيــارتي

وإن كـنتُ من شـوقي إلـيـكم عـلـى جـمـر

فوافقه الشيخ عبدالله السالم على طلبه، وأعفاه من زيارته، وقد طلب سموه إلى إدارة المعارف آنذاك أن تُجريَ له راتبًا دون أن تكلفه القيام بعمل ما، وبعد مدة أحالت دائرة المعارف راتبه على إدارة المالية التي أخذت تدفعه له كل شهر حتى توفاه الله.

سكن بيته الجديد وكانت أختاه قد تزوجتا وانضمتا إلى زوجيهما. وبقي في هذا البيت وحيدًا، فانصرف للمطالعة، ونشر أول قصيدة له في مجلة «المرأة الجديدة» التي كانت تصدر في بيروت، فثار عليه الغوغاء بتحريض من بعض من يدّعون أنهم من رجال الدين، متخذين من هذه القصيدة ومن تركِهِ المسجدَ سبيلاً لمعاداته وإيذائه، وإليك ما قاله الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» بهذا الصدد: «قامت قيامة بعض الجهلة على شاعر الكويت، عندما نشرت له مجلة المرأة الجديدة قصيدة بعنوان «يضر النصح» قال فيها:

وخــلّــوا في الــديــانــات افــتــراقًــا

يــؤول بــكم إلى الحــرب الــعَــوان

وديــنــوا من تــكــاتــفــكم بــدينٍ

لــكم يــلــقى الــتــقــدم بــالــعَــنــان

قامت قيامة بعض الفقهاء على الشاعر الفاضل، إذ فُهم من قوله هذا أنه لا يرى فرقًا بين المسلم والكافر، حتى قال بعضهم: كنت شاكًا في كفره وتدهُّره، أما الآن فقد اتضح لي ذلك.

وقد ضويق مضايقةً شديدةً، حتى أنه أعلن بيع بيته والرحيل إلى حي آخر، وقال في هذا الصدد من قصيدة:

أضــلَّــتــنــي بــشــرقيِّ الــكــويت

خــطــوبٌ ألــزمــتــني بــيـعَ بــيــتي

ومــا بَــيْــعــيكَ يــا بــيــتي بــســهلٍ
ولـــكن فـــيك خـــفت الـــيـــوم مـــوتي

كما أفتى أحد الفقهاء بهجره، فقال صقر:

تـقـول لـقـد أفـتى بـهـجـرك شـيـخُـنـا
أنـــاسٌ بـــشـــرقيٍّ الـــكـــويت تُـــقـــيم
فـقـلت جـزاه الـله خـيـرًا فـهـجـركم
لـنـفـسي به لـو تـعـلـمـون نـعـيم
عـــلـى راحـــتي قـــد حـــثـــكم ومـــراده
شـــقـــائي وربي بـــالـــضـــعـــيف رحـــيم

ولقد وجد الشاعر من يقف إلى صفه مثل الشيخ الجليل يوسف بن عيسى القناعي الذي بعث له بقصيدة غراء، أذكر منها هذا البيت:

وكـــفـــاك أنك في بُـــوَيـــتِكَ لابـــدٌ
وســنــاءُ شــعــرك في الــكــويت أضــاءَ

والمرحوم عيسى القطامي، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وعبدالملك بن صالح المبيض، والسيد عبدالرحمن السيد خلف النقيب، والسيد مساعد، والسيد يوسف السيد خلف، وأحمد المشاري، وحجي بن قاسم، وسليمان العدساني، وكثير غيرهم من الأفاضل ممن لم أذكر أسماءهم.

وكنت أخرج معه في ذلك الوقت للاتصال بهؤلاء الأصدقاء، وكانوا يجتمعون بديوان السيد خلف بعد العشاء، وكان السيد مساعد يشن حملاته بقصائده التي كان يرتجلها في ذلك المجلس، فتنتشر في صباح اليوم الثاني وكلها كانت ردًا قاسيًا على أولئك المتعصبين، فيرد هؤلاء المتعصبون بقصائدهم الركيكة، والمضحكة أحيانًا، على قصائد السيد مساعد، فيكيل لهم الصاع صاعين، والسيد مساعد، رحمه الله يجيد الهجاء إجادة منقطعة النظير، ويستطيع أن يرتجل القصيدة الكاملة وكأنه يقرؤها عن ظهر قلب في

موضوع الهجاء فقط، فكفى شاعرنا مؤونة الرد عليهم، وترك أمرهم للسيد مساعد، اللهم إلا عندما أفتى أحمد المعممين بكفر شاعرنا وحرمانه من الجنة، فإن شاعرنا قال فيه هذه الأبيات:

إن كـــان لا يـــنـــعم في الجَـــنَّـــةِ
إلا امـــرؤ مـــثـــلك ذو جِـــنَّـــةِ
ممن يـــصـــبّـــون عـــطـــايـــاهمُ
في جـــيـــبك الـــفـــارغ ذي الـــفـــسحـــةِ
فـــلـــيس لي في جـــنـــةٍ مـــأربٌ
فـــأعط من شـــئت بـــهـــا حـــصَّـــتي

هذه الحرب الكلامية دامت خمس سنوات تقريبًا، انهزم فيها المتعصبون هزيمة نكراء، فلم يسمع لهم صوت بعد ذلك إلا ما يسرون به في الخفاء لأتباعهم، فتحول ذلك المجلس[1] فلزم الشاعر بيته لا يخرج منه إلا يومًا واحدًا في الأسبوع، وذلك هو يوم الخميس الذي كان يقضيه عند صديقه الحميم عبدالملك بن صالح المبيض، وكان المرحوم عبدالملك يرسل ابنه صالح عبدالملك (وزير التربية الأسبق) ليصطحبه إلى بيته ويرجعه بعد العشاء.

وفي هذه الفترة، وفي أوائل فصل الصيف تحديدًا، قال لي: ما رأيك لو أخذنا سفينة وذهبنا إلى الغوص، فرحبت بالفكرة وقلت: ربما يتيح لنا الحظ أن نعثر على لؤلؤة فنصبح من الأثرياء، فقال اشرح الفكرة للأخ سالم بن محمد البشر والأخ علي المجرن وهما ممن لهم صلة صداقة بالشاعر، ولما عرضت الفكرة عليهما رحَّبا بها، وفي الحال ذهبنا للبحث عن سفينة، فوجدنا سفينة صغيرة، وأخذنا نعدها للسفر، وقد كان لدى الشاعر بعض النقود سلمها لنا لشراء زاد السفر، وبعد أن جهزنا كل شيء قررنا السفر، وأغلقنا بيته، وحملنا فراشه إلى السفينة، ورفعنا الشراع، وفي أثناء الطريق هبت علينا عاصفة شديدة، وذلك قبل أن نصل إلى المكان الأمين، وهو الجليعة، وفي أثناء دخولنا للميناء الصغير

(١) المجلس المذكور ديوان عبدالرحمن النقيب وموضعه الآن (سنة ١٩٦٨) المقر العام لتدريب الموظفين.

غرقت سفينتنا أو كادت، إذ إنها امتلأت ماء إلى أكثر من نصفها، وابتلّ كل ما فيها، فساعدنا من في الميناء الصغير على نشر كل ما في السفينة ليجف، ثم واصلنا العمل لمدة عشرين يومًا، لم نحصل في خلالها على شيء ما، حتى مصاريفنا لم نسددها، فعدنا إلى البلد بخفي حنين وقد رجع سيرته الأولى في زيارة صديقه عبدالملك بن صالح.

دام ذلك قرابة عامين تقريبًا على ما أذكر، ثم امتنع عن الذهاب إلى بيت صديقه، لوجود مسافة طويلة بين البيتين، فأخذ صديقه يزوره في بيته في كل يوم خميس بعد الظهر، وكنت أعد الشاي في بيت الشاعر لهذه المناسبة، وكان المرحوم عبدالملك يصطحب معه حصيلة ما قرأه في الأسبوع، وعلى الأخص في الفلسفة، فيقرأ هذه الحصيلة، ويدور حولها النقاش بين الاثنين، وكان موقفي من هذا النقاش موقف المستمع لا غير. فإذا انفضت الجلسة، وخلا المجلس، أخذت استوضح الشاعر عما غمض عليّ من النقاش، فيوضح لي ذلك بكل رحابة صدر.

وفي يناير عام ١٩٤٦ سافرت إلى «بمباي» وبعد وصولي بشهر تلقيت من الشاعر كتابًا ينعى إليَّ فيه صديقه الحميم الذي توفي في فبراير من العام نفسه، ولا أنسى تأثير ذلك الكتاب في نفسي، فقد كان شظية من الألم تطايرت من قلب شاعرنا، ولم أتمالك نفسي من البكاء، لأنني ألِفتُ المرحوم عبدالملك، ولأنني استفدت منه الكثير، فعبدالملك معروف لدى الكويتيين قاطبة، لما أداه من خدمات لهذا البلد لا يمكن أن تُنسى، كما أن الذي أعرفه عن المرحوم عبدالملك فوق ذلك، أنه كان عالمًا جليلاً كثير الاطلاع، وعلى الأخص الفلسفة والأدب، غير أن الرجل يمقت الإعلان عن نفسه أو حب الظهور والتهالك على الشهرة.

عدت إلى الكويت في أوائل شهر إبريل عام ١٩٤٦ ويممت بيت الشاعر فور نزولي من الباخرة للسلام عليه، ولتعزيته في أخلص أصدقائه، فلاحظت دمعتين نزلتا من عينيه حاول أن يخفيهما عني بمسحهما.

لزم الشاعر بيته منذ أن امتنع عن زيارة عبدالملك حتى وفاته لم يخرج ولا مرة واحدة ولم يدخل عليه أحد لم يألفه اللهم إلا لجنة التثمين يوم جاءت لتثمين بيته الذي قررت البلدية

استملاكه وإعطاءه قسيمة مساحتها ألف متر بقرب بيوتنا، والتي لم يشأ القدر أن يسكنها، فقد توفي قبل إتمام بنائها.

فضل هذه العزلة على الحياة التي اعتادها الناس، لأنه يبغض ويمقت أكثر ما تعارف عليه الناس وما اتفقوا عليه من العادات التي أصبحت بمثابة دين يعتبرون الخروج عليها من الأمور التي لا يمكن السكوت عنها، فهم يريدون أن يأكل كما يشتهون، وأن يلبس كما يهوون، وأن يتكلم بما يشاؤون، وهو يريد أن يأكل ما أحب، وأن يلبس ما يهوى، وأن يتكلم بما يشاء، فلزم البيت.

والشاعر المترجم له لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة، ولم يتلق معلوماته من منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم، بل كل ما هنالك أنه عكف على المطالعة مع حفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء، سواءٌ المتقدمون منهم والمتأخرون، وقد يستغرب القارئ إذا قلت له – وذلك دون مبالغة – إنه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين ألف بيت من الشعر، فقد كان يحفظ ثلثي ديوان أبي تمام، وقسمًا من ديوان البحتري، وأكثر لزوميات المعري، ونصف ديوان المتنبي، وكل ما طبع لابن الرومي، وكان يفضله على جميع الشعراء باستثناء المعري الذي يرى أن له نهجًا خاصًا بشعره حيث يجنح فيه إلى الفلسفة، هذا عدا ما كان يحفظه لشعراء الجاهلية والعصر الأموي والعصر العباسي والشعراء المعاصرين أمثال شوقي، والزهاوي الذي كان يحبه، والرصافي، وحافظ إبراهيم، وإسماعيل صبري.

وكان حريصًا على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علمًا باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظةٍ من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظمًا أم نثرًا.

كانت حافظته قوية جدًا، ويعرف ذلك عنه كل من قرأ له، فلا تكاد تقرأ له عشرين بيتًا من الشعر فيتابعك في ترديدها بيتًا بيتًا حتي يعيد إليك أوائل الأبيات التي سمعها وردّدها، ثم تتركه فتجده بعد مدة وجيزة يعيد قراءتها عليك كما سمعها منك.

وهو بعد ذلك حريصٌ أشد الحرص على إبقاء ما يحفظه في ذاكرته، ولذلك خصص له وقتًا لقراءة محفوظاته وترديدها والتفكير في حل عويصها.

إن هذا الشاعر مجهول من قراء الأدب العربي خارج الكويت، وذلك لميل الشاعر نفسه إلى الخمول، ولأنه يهتم بما يقال لا بما يقول، وإلا فلديه من القدرة ما يجعل شعره على كل لسان.

فهنالك شعراء تهالكوا على الشهرة فملؤوا الصحف والمجلات من شعرهم الغث، الذي لو تُركت الورقة التي دوِّن عليها بيضاء لكان خيرًا من تسويدها بشعره، ولذلك فقد أصبحت لهم أسماء معروفة لدى أكثر القراء، لكنها شهرة مؤقتة تزول بزوال الشاعر من هذه الدنيا التي ملأها صراخًا وعويلاً «فأما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». ولم يكن شاعرنا من هذا الفريق، ولا نود نحن أن يكون من هذا الفريق، وإن كنا لا نوافقه على إيثاره هذا الخمول الذي اختاره لنفسه طائعًا، وإن كان يدعي أن هناك ما يبرر ذلك.

شعره:

ليس هناك داعٍ لتحليل شعره، وعرض نماذج مختارة منه في هذه المقدمة، ما دام الديوان بين يدي القارئ، غير أن الشيء الذي أود أن أقوله هو أن شعره ينقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى ما نظمه في صباه وفي بدء تمرُّسِه على النظم، ولابد أن يشوب شعره في هذه المرحلة شيء من الضعف، ككل شاعر في بدء محاولته للنظم، وإجادةُ بناء القصيدة دربةٌ وتمرسٌ وإلمامٌ واسعٌ بعلم اللغة، لهذا فإن شاعرنا لا يعتدّ بما نظمه في صباه وقد أتلف أكثره.

أما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته، وما نشرته له المجلات العراقية، كالسجل، ومجلة اليقين التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد،

ومجلة المرأة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت، ومجلة الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وغير ذلك من المجلات والجرائد، والشاعر نفسه يعترف بذلك في كتاب أرسله إلى الأستاذ الأخ فاضل خلف يقول فيه:

عزيزي، إن ما نشر لي في تاريخ الكويت، وما نظمته قبل ضعيف، لأني نظمته صغيرًا، أما ما نشر لي بعد تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، وفي مجلة الكويت الغراء التي لا يكاد يخلو منها شيء من أشعار أخيك أو نشر في غيرها فكله مما لا بأس فيه.

وأنت حين تقرأ ديوانه تجد فيه ثورةً جامحةً على الذين وقفوا في سبيل الإصلاح، وحرَّموا التعليم، وأثاروا الفتن بين طبقات الشعب باسم الدين، وجعلوا من أنفسهم بوابةً بين الله وبين الناس، فلا تصل إلى رضاه وطاعته إلا عن طريقهم ورضاهم، فأنت من أهل الخير ومن المبشرين بالجنة إذا رضوا عنك، وأنت عكس ذلك إذا هم غضبوا عليك، كل ذلك من أجل أن يتسنى لهم ما يتوقون إليه من الكسب الحرام.

وإليك أيها القارئ نموذجين من هذه الثورة: من قصيدة:

كلما زارنا معمَّمُ سوءٍ
رَدَّ منظومَ شملنا منثورا
وثنانا إلى شقاءٍ مبيدٍ
باسم دين الإله مينًا وزورا
ليسوق الشقاق منا إليه
ما رجاه من رفدنا موفورا
مستعينًا بالجهل منا على ما
نحن نلقى عقباه شرًا كبيرا

في ذكرى المولد:

رفع اللهُ مجدَ بيت الضاد
وذويها منه بخير عِمادِ

فـــــعـــــلــــيه مع الـــــصلاة سلامٌ
فـيه يُـمـلـيـهـمـا جـمـيلُ اعـتـقـادي

سـيـد الـرسل كـلـمـا رمتُ مـدحًـا
لك أرجـــو بـه صلاح مـــعـــادي

صـفـدتـنـي يـدا قـصـوريَ عـنه
فـأنـا عـنه مـنـهـمـا في صِـفـاد

ومنها:

فـإذا مـا أذنتَ لي بـالـتـشـكّي
من هـمـومٍ عـليَّ ذات احـتـشـاد

فـشـكـاتي إلـيك من كلِّ مُـغـوٍ
ومـضلٍّ بـاغي المـقـالـةِ عـادِ

قـد أضـلّـوا بـاسم الـديـانـة ممن
جـهـلـوا كل رائحٍ أو غـاد

كم أمـاتـوا لـكي يـعـيـشـوا نـفـوسًـا
لـم تـزل بـعـدُ حـيـة الأجـسـاد

فـادع يـا خـيـر مـنـقـذيـنـا عـلـيـهم
بـزوالٍ يـعـمُّـهم ونـفـاد

أخلاقه وطباعه:

كان عاطفيّاً حاد الشعور رقيق الحساسية، يتأثر لأقل شيء، وكان ينفر أشد النفور من أن يبقى في ذمته حق لأحد، حتى أننا كنا نقع في مشكلة عندما كان يوصينا بشراء حاجة له، مثل كيس أرز أو غير ذلك من الحاجات الثقيلة الوزن، فأول ما يسأل عن أجرة الحمال، فإذا قلت له تم الاتفاق بيني وبينه على مبلغ كذا أوقف الحمال، ثم ذهب الى الحاجة يحاول رفعها عن الأرض، فيرجع ويقول إن الحمال مغبون، ضاعف له الأجر، فإذا ضاعفت للحمال الأجر استدعى الحمال وأخذ يسأله، هل يحس بآلام في الصدر بعد

حملها، فإذا أجابه بأنه لا يحس بشيء أبدًا التفت إلى من أتى بالحاجة إليه وقال: زده ضعفًا، فإذا ذهب الحمال بعد ذلك أخذ يوسوس: هل يا ترى لم يصب الحمال بأذى من جراء هذا الحمل الثقيل؟ وهكذا في كل مرة، وقد يسألك في اليوم الثاني: هل رأيت الحمال؟ وهل هو معافى؟ وهل تعرفه؟

وكان يحرص على جميع النقود المشكوك في سلامتها، والتي تصل إلى يديه، فإذا اجتمعت لديه كمية من هذه النقود ألقاها في البئر خوفًا من أن تصل هذه النقود إلى يدي أرملة أو بائس عن طريق أصحاب البقالات أو الباعة الآخرين، فيصبح كما يقول هو المسؤول عن ذلك، أما كيف يتحقق من وجود مثل هذه النقود لديه فإنه يعرض كل ما لديه على من اعتادوا زيارته، ويطلب منه فرز المطموس والمشكوك فيه من بين نقوده، ثم لا يكتفي بذلك فيعرض السليم على زائر آخر، ويقول له إن من بين هذه النقود نقودًا غير سليمة، أرجوك إبرازها، وفي العادة لا يجد الزائر بها نقودًا غير سليمة، لأنها منتقاة، عند ذلك يطمئن.

وكان إيمانه بالله وخوفه منه منقطع النظير، فلا يلقي ورقة على الأرض وفيها كتابة، خوفًا من أن يكون اسم الله من بينها، ولا يجرؤ أن يمزقها، ولهذا فهو يحتفظ بمثل هذه الأوراق في صندوق خاص، وعلى طول صحبتي له لم أسمعه أقسم بالله، حتى إنه ليتحاشى الكلام بالقرب من دورة المياه مخافة أن ينطق باسمه عز وجل سهوًا، وينقطع عن الكلام، ويمنع المتكلم عند سماع المؤذن حتى ينتهي من الأذان، وله في هذا الموضوع غرائب يطول شرحها.

وكان رحمه الله لا يطيق الحر، وينسب إليه جميع ما يصيبه من مرض، أما البرد فإنه لا يهتم له كثيرًا، ولا يتوقع أن يصيبه من جرائه أثر.

لم يعرض نفسه طول حياته على طبيب مهما يُصَب بمرض، وهو يعالج نفسه بنفسه، ولا يستعمل في العلاج نوعًا من الأدوية المعروفة، وربما يغير نوع غذائه بنوع آخر، ويزعم أن الأخير بارد أو أنه حار، أو أنه مرطب وأنه مناسب لإزالة ما به من مرض، وهو ينفر من

الأدوية الحديثة، كالحبوب والكبسولات، والإسبرين وغير ذلك من هذه الأنواع، ولم يتناول منها شيئًا طول الفترة التي صحبته فيها.

ومن الغريب أنني عندما أشكو من حمى يلح عليّ بمراجعة الطبيب، وأذكر أنني قلت له في أحد الأيام: وأنت لماذا لم تذهب إلى الطبيب الذي تنصحني بالذهاب إليه؟ فقال: إنني أعرف بأمراضي وبطبيعتي من الطبيب.

كان يدخن، ثم ترك التدخين قبل وفاته بخمسة وعشرين عامًا، وأذكر أنه يوم كان يدخن كان في أثناء تدخينه السيجارة لا يتكلم أبدًا، وكان ينبه عليّ أن لا أكلمه حتى ينتهي من التدخين، وكان يدخن السيجارة بكل سرعة حتى ينتهي منها في أقصر مدة.

وهو يقوم بطبخ غذائه بنفسه وذلك بعد أن يعد له الخادم كل شيء، كغسيل الأواني وغير ذلك، ثم يذهب الخادم فيقوم هو بالطبخ، ويستعمل الطباخ الكهربائي، ويعتمد على معرفة نضج الطعام الذي يطبخه بواسطة رائحته، ولا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم والليلة وذلك بعد العشاء.

أما في باقي يومه فإنه يتناول الشاي فقط، ويصنعه بنفسه ويعتبر الغذاء إبقاء على الحياة فقط، وليس للتلذذ، ومن المستحيل في آخر أيامه أن يأكل وجبة جلبت من الخارج، زاعمًا أنها لا تخلو من الأفاويه الحارة التي تضر بصحته أو غير ذلك مما يرى أنه لا يناسبه.

بيته وأثاثه:

يحتوي بيته على ثلاث غرف في الدور الأول، وغرفة واحدة في الدور الثاني يحيط بها سطح الغرف الأخرى.

فإحدى الغرف في الدور الأرضي معدة للجلوس، وليس فيها غير أريكة واحدة تسع ثلاثة أشخاص، يجلس عليها من يطالع له أو من يكتب له قصائده، وهم إما أنا، أو سالم محمد البشر الرومي، أو سلمان أحمد الرومي، أو علي حسين المجرن، والجهة الثانية من هذه الغرفة معدة لجلوسه، وهو يجلس على الأرض وليس تحته غير حصير.

والغرفة الثانية في الدور الأرضي معدة للطبخ وللأكل، فإذا أراد أن يأكل جلس القرفصاء على كرسي، ووضع إناء الأكل أمامه على نفس الكرسي، وأنهى وجبته بكل سرعة، والوجبة دائمًا من الأرز وأحيانًا يضيف السمك إليه، أما اللحم فلم يأكله في سني حياته الأخيرة.

والغرفة الثالثة في الطابق الأرضي مهجورة منذ أكثر من عشرين عامًا، لم يدخلها ولا مرة واحدة، وليس فيها شيء يحتاج إليه.

والغرفة التي في الدور الثاني ومساحتها أربعة أمتار في ثلاثة أمتار يستعملها للنوم، ولا يستعمل نوعًا من أنواع المراتب (الدوشق) وإنما ينام فوق الحصير المصنوع من خوص النخيل، وفي فصل الصيف يضع هذا الحصير على سرير من الحديد، ومن النوع الرخيص، موضوع في السطح بجانب الغرفة وينام عليه.

الأصوات والغناء:

تؤذيه الأصوات حتى أنه لا يستطيع مواصلة حديثه إذا كان في الشارع أحد الباعة يرفع صوته للإعلان عن بضاعته أو كان في الشارع أطفال يلعبون ويحدثون ضجة ولو يسيرة، وهو لا يستطيع مواصلة حديثه أيضًا ما دام الراديو مفتوحًا حتى لو كان صوته منخفضًا جدًا.

أما الغناء فإنه لا يسمع إلا الغناء العراقي، وهو مفتون به، وله قصيدة في هذا الصدد، أما الغناء غير العراقي فهو لا يسمعه بتاتًا، فإذا فتح الراديو على غير الإذاعة العراقية فإنه يبحث عن حديث أدبي أو أخبار فقط.

زواجه:

تزوج في حياته ثلاث مرات، ولم يفلح في الحصول على زوجة تلائمه، وأطول مدة بقيت فيها زوجة في ذمته لم تتجاوز ثلاثة أشهر، ثم يتطرق إليه السأم من وجودها بجانبه فيطلقها، ويعزو أسباب الطلاق إلى مضايقتها له في كثير من الأحيان.

صلاته بأصدقائه:

له أصدقاء، ولكنهم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، هؤلاء الأصدقاء وهب لهم كل قلبه، فلا يكاد يغيب أحدهم عنه في سفر أو يتأخر عن عادته في زيارته إلا بعث إليه برسالة أو أبيات يستفسر فيهاعن صحته إن كان غائبًا، أو عن سبب تأخره إن كان حاضرًا.

فمن هولاء عبداللطيف إبراهيم النصف، وكان يزوره بعد العشاء من كل يوم، فتغيب أربعة أيام على التوالي، فأرسل له أبياتًا أذكر منها:

مـغـيـبك عـنـا في الـلـيـالي يـسـوؤنـا

لأنك يـا عـبـدالـلـطـيف بـهـا بـدر

يـجـوب ظلام الـهـم عـنـا طـلـوعه

فـأشـرِقْ عـلـيـنـا في الـدجى ولك الـشـكـر

ولا تـعـتـذر إمـا تـأخـرت لـيـلـةً

فـلـيس يـرى عـنـدي مـكـانًـا له الـعـذر

فأجابه عبداللطيف بهذه المقطوعة:

لـقـد هـيج الأشـجـان شـعـرك يـا صـقـرُ

وزدت هـمـومـي بـالـعـتـاب وهُمْ كُـثْـرُ

فـأقـسم مـا هـمت بمـا قـد ظـنـنت بي

من الـهـجـر نـفسي والحـفـيـظـةُ والـصدر

لـئن بَـعُـد الجـثـمـان فـالـقـلـب لم يـزل

لـديك أسـيـرًا حـبـذا ذلك الأسـر

فـديـتك من خل صـفـا صِـدقُ ودِّه

عـلـى حـينٍ قلَّ الـصـدق أو كـثُـرَ الخَـتْـر

وشـبـهـتـني بـالـبـدر لـطـفًـا وإنـني

كـذاك وأنت الـشـمـس من نـورهـا الـبـدر

وأنت لــوردي إن أمــضَّــنِيَ الــظــمــا
نمــــيــــرٌ زكـــا عن أن يمـــازجه مُـــرٌّ
وأنت لــروحي إن تــمــادى ظلامــهــا
ســـراجٌ أضـــاءته خلائـــقه الـــغُـــرّ
وأنت أخي حـــقًّـــا وصـــارميَ الـــذي
أذود به عــــني إذا نـــابـــني أمــــر
لـعـمـرك إن الـشـعـر حـين تـصـوغه
يـدب بـأعـضـائي كـمـا دبت الخـمـر

ومنهم المرحوم خالد الفرج، وقد انقطعت رسائله عن شاعرنا يوم كان المرحوم خالد الفرج في البحرين، فأملى عليّ الشاعر أبياتًا لم يشأ القدر أن أسجلها آنذاك، فأجابه المرحوم خالد الفرج بقصيدة غراء نشرت بتاريخ الكويت، ومطلعها:

مَـــعَـــرّي الـــكـــويتِ وبـــشـــارَهـــا
هــــززتَ من الــــنـــــفس أوتـــارَهـــا
وألمـــســـتـــهـــا من دقـــيق الخـــيـــا
لِ مـــا كـــان يُـــعـــجـــز أفـــكـــارَهـــا
بـــآيـــات ســـحـــرٍ هـــتـــكن الـــقـــلـــوب
أزحن عن الــــنـــــفس أســـتـــارَهـــا
ولـــو كـــان (رِنْـــتـِـجنُ) من قـــبل ذا
ك رأى هـــذه الـــروح لاخـــتـــارَهـــا
هي الـــســـهل لـــلـــسامع المـــســتـــصـــيـخ
ولـــكن من الـــصـــعب إحـــضـــارهـــا[(١)]
هي الـــشـــمس تـــســـطع فـــوق الجـــبـــا
ل وتـــرمي إلى الـــقـــوس أنـــوارَهـــا

---
(١) هكذا وردت في ديوانه، وهو ما يسمى في العروض: الإقواء.

ومنها:

أتـــانِيَ شـــعـــرُك مـــثل الحـــيـــاةِ
فـــجـــدد لـــلـــنـــفس تـــذكـــارَهـــا
ومـــا كـــنتُ ســـالٍ ولـــكـــنـــمـــا
ألِـــفْتُ الخـــطـــوبَ وأكـــدارَهـــا

الخ...

ومن أطرف ما حدث بينه وبين المرحوم خالد الفرج يوم كان الأخير في القطيف، وقد اقتنى له هناك أرضًا زراعية، وحدث خلاف على حدودها بينه وبين جاره الذي رفع دعوى ضده لدى قاضي المنطقة، فخسر الجار الدعوى، فراح يطعن في الحكم، متهمًا القاضي بالتحيز في حكمه لخالد الفرج، فذهب هذا الخصم إلى الرياض ليشكو القاضي عند المرحوم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود، فدخل على الملك، وكانت القاعة التي يجلس فيها الملك مكتظة بالزائرين من جميع أطراف الجزيرة العربية، فوقف يشرح قضيته أمام الملك، ويتهم القاضي بالتحيز، فرأى الملك أن يتخلص منه بطريقة مناسبة فقال له: «وصلتنا برقية قبل ساعة تفيد أن خالد الفرج مات، رحمه الله، وترك أطفالاً بدون معيل فمن الدين والرحمة في هذه الحالة أن تتنازل عن دعواك» سمع الحاضرون من الملك ما قاله، وانفض المجلس، وفي اليوم الثاني وصل الكويت بعض من حضر ذلك المجلس، فأشاعوا وفاة خالد الفرج، وعلم الخبر صديقه، فرثاه بقصيدة غراء.

ومرت الأيام وإذا خالد الفرج يصل الكويت، والتقيتُ به في السوق صدفة وأخبرته بمرثيته، واتفقت معه على زيارة شاعرنا في بيته قبل أن يعلم، وفعلاً دخلنا عليه، فإذا به يبهت ويتلعثم في كلامه، ويقص خالد الفرج على الشاعر سبب إشاعة وفاته.

وفي اليوم الثاني أملى عليّ هذه القصيدة:

يـا خـالـد الـفـضلِ في أشـعـاره الـغُـرَرِ
رغم الأواتي من الأحـــداث والـــغـــيَـــرِ
وبـــاقيَ الـــذُّكـــرةِ المـــثـــلـى بـــكل فمٍ
إذا الـــتـــقـــادم أبـــلى جِـــدَّةَ الـــذِّكَـــر

لمـا سـمـعت بمـنـعـاك الـذي كـرَبَتْ
تـأتي مـرارته مـني عـلى الـعـمُـر
طـفـقت بـين زفـيـرٍ لا تـنـهـنـهه
قـوى اصـطـباري ودمعٍ غـيـر مـنـزجـر
أصـوغ فـيك رثـاءً كل ضـامـنـةٍ
إشـجـاء أفـئـدة الأفـراد والـزُّمَـر

ومنها:
وقـد لـقـيـتك حـيًـا والحـيـاة لمـا
قـد صـغـتُه فيك مـوتٌ غـيـرُ مـنـتـظَـر
فـفـرحـتي مـنك بـالمحـيـا يـسـاورهـا
حـزني لمـوت الـلـواتي أنجـبَت فِـكَـري

ومنها:
مـصـيـبـةٌ طـاردتـهـا نـعـمـةٌ عـظُـمتْ
ونـعـمـةٌ لـو نجت من صـولـة الـكـدر
ولـيس يمـكن في الـعـيش اشـتـراككمـا
فـهل تـخـلّي لـشـعـري ظـلـمـة الحُـفَـر
والـرأي عـنـدك فـاخـتـر مـا يلائـمـني
وإن تـبـرقع وجه الحـزم فـاسـتـشـر

ومن أعز أصدقائه أحمد المشاري، وكان في بمباي، وذلك عام ١٣٣٩هـ فأرسل إليه شاعرنا قصيدة في بمباي يعاتبه فيها، ويشكو جفاه، فأجابه أحمد المشاري:

سلام كـوصل الحب لـلـواله الـصَبِّ
وإلا كـرشف من لمى ثـغـره الـعـذبِ
تحـيـة مـشـتـاق إلى خـيـر صـاحب
خلائـقه تـذكـو عـلى المـنـدل الـرطب
أيـا صـقـر أشـجـيت الـفـؤاد وزدت في
تـباريح شـوقٍ أذكت الـنـار في قـلـبي

فما أنا من يجفو على البعد خِلَّه
ويومقه إن كان منه على قرب

الخ....

صلاته بالخارج:

كانت له صلة بالسيد الأستاذ محمد الهاشمي محرر مجلة اليقين التي كانت تصدر ببغداد، وكان يراسله، وقد نشر عددًا من قصائده بمجلته اليقين.

وكانت له صلة بالأستاذ أحمد حامد الصراف، وقد اتصل بالشاعر يوم زار الكويت.

وكانت له صلة بالشاعر العراقي عبدالرحمن البنّاء، وقد زار الشاعر في بيته عند قدومه إلى الكويت، وأذكر أن الشاعر حياه ببيتين هما:

تفضَّلَ بنّاءُ القوافي بزورةٍ
عليَّ فلن أنسى عليها له الشكرا
أتاني وصدري من سروري مقفرٌ
وعاد ومنه الأنس قد ملأ الصدرا

فأجابه الشاعر عبدالرحمن البناء:

نعم زرتُ صقر الشعر يومًا بداره
فألفيتُ منه الشعر طال على الشِّعرى
فزاد سروري عند لقيا سروره
فطرنا وأنَّى لي بأن ألحق الصقرا

ومن أصدقائه المرحوم طه الفياض العاني محرر جريدة السجل، التي كان شاعرنا ينشر بها أكثر قصائده.

وفاته:

في السنوات السبع الأخيرة من حياته مَلَّ الدنيا، وسئم تكاليف الحياة، وأصبح وجوده عبئًا عليه لا يطيق حمله، وكان فصل الصيف من كل سنة من السنوات السبع

يخيفه أشد الخوف – هذا مع وجود مكيف في غرفته – وكان ينبه على من اعتادوا زيارته أن ينقطعوا عن زيارته في الأشهر الثلاثة التي تبتدئ بشهر يوليو إلا عند الضرورة القصوى، فإذا مرت هذه الأشهر الثلاثة تنفس الصعداء، ومن الغريب أنه حتى لو ارتفعت درجة الحرارة بعد هذه الأشهر الثلاثة فإنها لا تهمه.

وفي مطلع عام ١٩٦٣م وما تلاه من أشهر لاحظت أن الهزال باد عليه فنبهته إلى ذلك، غير أنه قال: إن مصدر ذلك الشيخوخة.

وكان يتلهف على الموت ويتمناه، ويردد دائمًا قول المعري:

مــــوت يــــســــيـــر مـــعه رحـــمـــةٌ
خـــيـــر من الـــيـــســـر وطـــول الـــبـــقـــاء

وهو لا يرى أن في الحياة متعة من المتع، ويتطلع إلى ما ورائها، ويستعجل الرحيل عنها، ومن قوله في هذا الصدد من قصيدة:

يــا قــدرةً ســجــنت بــجــســمي روحه
ضاق الخناق على السجين المضطهدْ
إن لم تـــفـــكي الـــروح من جـــثـــمـــانه
فـــتـــداركي مـــنـــزور صـــبـــري بـــالمـــدد
أرجـــوكِ لا أرجـــو ســـواكِ فـــأنـــعـــمي
عـــجـــلى عـــليّ بمـــا تـــرين من الـــرشـــد
ثِـــقَلُ الحـــيـــاة ضـــعـــفتُ عن حـــمـــلي له
ضـعـفًـا به لي الـشـيبُ أعـدلُ من شـهِـد

مات ولكن كيف مات؟

حاولت زيارته بتاريخ ١٩٦٣/٧/١٤ فقرعت عليه الباب فلم يجبني، فعزوت عدم إجابته لي أنني بالأشهر الممنوع زيارته فيها، وفي مساء ١٩٦٣/٧/٢٤ تقرر سفري إلى اليمن، فذهبت صباح ذلك اليوم إلى بيته لوداعه، غير أنه لم يجبني عندما قرعت بابه، وفي المساء سافرت إلى القاهرة ومنها إلى صنعاء عن طريق عدن، وعدت من اليمن إلى القاهرة

يوم الأحد ١٩٦٣/٨/١٨ وذهبت فوراً إلى سفارة الكويت، فإذا بالمعزين يستقبلونني بالتعزية بوفاته، وكان أول من تلقاني المرحوم سعود الزيد، ولا تسل عما أصابني من الذهول حتى أنني لم أستطع النوم ثلاث ليال حزنًا عليه.

أما كيف مات فإنه مرض خمسة أيام، ولم يستعن بطبيب، وفي اليوم السابق لوفاته طلب من الخادم أن يستدعيني، ولما علم أنني غير موجود في الكويت سكت، ولما طلب منه الخادم أن يستدعي له أحداً من الإخوان أو الأصدقاء قال ليس هناك من داع لذلك، ولم يكن الخادم معه في البيت، بل كان يمر عليه ساعةً واحدةً في اليوم، ولما أراد الخادم أن يخرج من عنده، وذلك صباح يوم الثلاثاء ١٩٦٣/٨/٦ طلب منه أن يضع بقربه إناء الماء، وكان على سريره، وأوصاه وشدد عليه في أن لا يخبر أحداً بمرضه، وأن يقفل عليه باب البيت ويأخذ المفتاح معه، فخرج الخادم من عنده، وفي صباح يوم الأربعاء ١٩٦٣/٨/٧ فتح الخادم الباب، ودخل عليه فوجده على الأرض نائماً على ظهره، وإحدى رجليه مثنية إلى أعلى، وقد فارق الحياة، وفي الحال أخبر الإخوان، فشيعت جنازته من قبل أهل المحلة، ولم يتجاوز عدد مشيعيه العشرين، وهكذا انتهت حياة الشاعر.

فرحمك الله يا صقر، فقد قنعت بما تيسر لك من شظف العيش في دنيا تعج بالترف، والرفاهية، خادمك يداك، ومطيتك رجلاك، تركت لهم النعيم والنعم، والراحة في شقاء الخدم، جمعوا باسم الدين الدنانير، وأكلوا باسم الحق حق البائس الفقير، سرقوا وطالبوا بقطع يد السارق، وشتموا باسم الدين من ليس بالسارق، فلا غيرهم سرق، ولا غيرهم فجر ومرق.

اعتمدت على الله بارئ النسم لا على إنسان، وكفروا بالله واعتمدوا على الشيطان، جعلوا من الله جلت قدرته غافلاً لا يفقه ما يصنعون، فأكبرت الله عما يدّعون، فأنت المؤمن وهم الكافرون، لك من نفسك عالم، ومن انفرادك دنيا، ومن عزلتك دين، ولهم في عالمهم وحشة، ومن اجتماعهم موت، ومن ضجيجهم كفر.

فأنت الناطق وهم الخرس، وأنت العاقل وهم المجانين، وأنت المحق وهم المبطلون، سماؤهم الأرض وأرضك السماء، وأموالهم الفقر، وفقرك الثراء، سموت وانحطّوا، واهتديت وشطّوا، لم تأبه بمن تركتهم فلم يتركوك.

الكويت ١٩٦٨/٣/٢٣

الفـــرع الثاني

كتبه: الدكتـور يعقوب يوسف الغنيم

الشعر والشاعر

هـذا خـيـال امـرئ قـد شب مـا اشـتـملت
عـلـى المـسـرة حـتى شـاب أضـلـعُهُ
مـا إن تـنـاول من آمـالـه سـبـبًـا
إلا رأى مـديـة الأيـام تـقـطـعُه
وأي صـادٍ من الأحـرار مـا وقـفت
دنـيـاه عن كل مـا يُـرويه تـدفـعُه

هذهِ أبيات قالها صقر الشبيب حين قيل له هذه صورتك فماذا يمكنك أن تكتب تحتها من شعر، ولقد اختزل كل ما مر به من معاناةٍ في حياته لكي يصوغه في هذه الأبيات الثلاثة. فهي تدل على أن حياته كلها لم تشتمل على المسرة في يوم من الأيام، وأنه كلما أحس بقرب تحقيق أمل من آماله قطعت مدية الأيام هذا الأمل، وهو يرى أن شأنه هو شأن الأحرار الذين تمنع عنهم دنياهم كل ما يرويهم ويبل عطشهم.

وهو شاعر غزير الشعر، تطرق في نظمه إلى أغراض عدةٍ، وبدت في كل قصيدة من قصائده ملامح تدل عليه، أولها أسلوبه الجزل، وثانيها شكواه المستمرة لما يلاقي من بؤسٍ في حياته، إضافة إلى ضيقه بما حل به حين كف بصره فانقطع عن الناس. وقد تكالبت عليه الأمور السيئة حتى أدخلته إلى داره، فظل فيها حبيسًا لا يرى أحدًا ولا يراه أحد إلا أقرب الناس إلى قلبه وهم لا يزيدون على ثلاثة بمن فيهم الخادم وأولهم أحمد البشر الرومي الذي رعاه طيلة فترة محبسه.

وكان قبل هذه الفترة متصلاً بالناس له علاقات طيبة مع عدد من الأدباء والشعراء في الكويت وما جاورها، منهم الشيخ عبدالعزيز الرشيد صاحب كتاب تاريخ الكويت، وكان هذا الرجل مهتمّاً جدًا بشاعر الكويت، يسعى إلى نشر شعره في كل مكان،

وبخاصة في مجلته (الكويت) وفي كتابه (تاريخ الكويت). وقد دلت على العلاقة بين الرجلين دعوة الشاعر للشيخ الرشيد لتناول الشاي في بيته، وتقديم قصيدة له بهذه المناسبة مطلعها:

أقـــدم لابن أحـــمـــد كـــأس شـــايٍ
وودّي أن أمـــــدَّ لـه خُـــــوانــــــا
يـــــضـم مـن المـــــآكل كل صـــــنفٍ
به الـطـاهـي قـد افـتَنَّ افـتـنـانـا

ومنها:

فــــأهلاً يـــا ابن أحـــمـــد ثم أهلاً
وســــهلاً يـــا أعـــزَّ أخٍ غَـــشـــانـــا

ومن ذوي العلاقة بالشاعر الأستاذ عبدالملك الصالح وهو رجل عالم أديب محبوب من الناس لما يتميز به من أخلاق عالية. وكانت له صلة متينة بصقر الشبيب حتى كانت له زيارة أسبوعية كل يوم خميس، وكان المرحوم صالح عبدالملك الصالح يذهب مع أبيه إلى هذه الزيارة في موعدها المقرر، وكان الشاعر في البداية هو الذي يذهب إلى منزل الأستاذ عبدالملك الصالح، ولكنه فيما بعد صار لا يستطيع الذهاب إلى صاحبه فأصبح الأستاذ هو الذي يأتيه في بيته مصطحبًا ابنه.

ومما يدل على حسن العلاقة بينهما أن الأستاذ تأخر في أحد أيام الخميس عن زيارة صديقه، فكتب هذا إليه قصيدة طويلة خاطب في مطلعها يوم الخميس قائلاً:

يـوم الخـمـيس لـبـستَ ثـوب خَـدوعِ
حـتـى حـسـبـتك غـرَّةَ الأسـبـوعِ
مـا زلت يـكـسـوك الـتـواصلُ بـيـنـنـا
ثـوب المـسـرة رائق الـتـوشـيـع
إذ تـلـبس الأيـام - غـيـرك - حـلَّـةً
من نـسـجِـهـا يـدُ شـمـلِـنـا المـصـدوع

ومن الذين ارتبط بهم صقر الشبيب الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يقوم بتعليمه والعناية به، وللشاعر قصائد كثيرة في هذا الرجل في أغراض عدة، وله بكائيات نظمها بعد وفاة الشيخ تدل على محبته له، وعلى التقدير الذي يحمله في قلبه له. ومنهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وله فيه قصائد متنوعة.

ومن الشعراء فهد العسكر وخالد الفرج اللذان ذكرهما في شعره كما سوف نرى في هذه الأعمال الشعرية التي يضمها هذا الكتاب.

ومن علاقاته ذلك الرباط الودي الذي ارتبط به مع الزعيم التونسي الأستاذ عبدالعزيز الثعالبي، وهو عالم قدير ومجاهد مخلص لوطنه ولدينه. جاء إلى الكويت في شهر أغسطس لسنة ١٩٢٤م، وقد استقبل من الهيئات الشعبية استقبالاً باهرًا، وأقيمت على شرفه احتفالات كثيرة ألقيت فيها الخطب والأشعار ترحيبًا بمقدمه، وألقى هو عددًا من الأحاديث وحضر شيئًا من الأنشطة الثقافية التي أقيمت آنذاك.

وفي سنة لاحقة زار الثعالبي الكويت مرة أخرى وأقيمت له حفلة في مدرسة السعادة ألقى فيها الشاعر عبداللطيف إبراهيم النصف قصيدة كتبها صقر الشبيب، وفي مطلعها:

بالرغم مني كنت أمسِ مقصِّرًا
في واجبي نحو الزعيم التونسي

وهي قصيدة طويلة اعتذر فيها له عن عدم مبادرته إليه في الزيارة الأولى، وقد أعجب الثعالبي بشاعر الكويت وزاره في منزله. كما أعجب الشبيب بتواضع الزعيم التونسي وقال فيه قصيدة بهذه المناسبة مطلعها:

أكذا يكون تواضعُ الكبراءِ
وتلطُّف العلماء بالشعراءِ

وقد تعانقا عند اللقاء، فهم الشاعر بتقبيل يد الزعيم لكنه لم يمكنه من ذلك، وهذا هو ما أشار إليه صقر الشبيب بقوله:

إني هممت بأن أقبِّل أنمُلاً
رُكِّبن في يمنى الزعيم التونسي

واستمرت العلاقة بين الرجلين حتى بعد أن سافر الثعالبي فكان يكتب لشاعر الكويت، وقد وردت في شعره قصيدة يرد بها على رسالة تضمنت تهنئة بعيد الفطر كان قد أرسل بها الزعيم التونسي من بلاده.

✲✲✲✲✲

ألمحنا فيما سبق إلى بعض دواعي اعتزال صقر الشبيب للناس، وإقامته الدائمة في منزله لا يبرحه حتى شبَّهه البعض بالمعرِّي رهين المحبسين، ولكن ما ذكرناه يحتاج إلى مزيد من الإيضاح لأن المشكلات تكالبت على هذا الرجل حتى ألجأته إلى الموضع الذي وضع نفسه فيه ومن ذلك:

١ - الفقر، ومن المعروف أن هذا الشاعر الكبير الذي أطلق عليه المعجبون بشعره لقب شاعر الكويت، لم يكن له مورد يقتات منه. وقد حاول مرارًا الحصول على عمل يناسبه فلم يتمكن من ذلك إلا بشق النفس ولفترة محدودة، ولذلك كتب إلى أعضاء مجلس دائرة معارف الكويت قصيدةً يطلب بها زيادة المرتب الذي حدد له وهو ٥٠ روبية شهريًا، وكانت قصيدته هذه تحت عنوان: «حق شيخوختي على وطني» ومطلعها:

لا يدفع الجوعَ والعريَ اللذين هما
شرُّ النوائب إيلامًا وإيجاعا
خمسون في الشهر عن مثلي فهل لكم
في رد هذين إلباسًا وإشباعا

ومنها:

قد كان فيما مضى الخمسون ترضعني
درّاً به مُسكة الحوباء إرضاعا
ومن غلا القوتِ والملبوسِ لم أرَ لي
فيها لما يمسك الحوباء إقناعا

وعندما رد على تهنئة الثعالبي بالعيد قال:

أزعيمَ تونسَ والكويتُ فسيحةٌ
قد ضاق بي منها الفسيحُ الأرحب

إن يُـردنِي بـؤسي فـلـومـوا مـوطـني
بَـعـدي عـلى تـفـريـطه بي واعـتَـبـوا
حـاولت إدراك الـوظـيـفـة جـاهـدًا
بـالـقـوت من قـومي فـعـز المـطـلب

٢ – العمى، وصقر الشبيب شديد الإحساس بهذه العاهة التي ألمت به وهو ابن التاسعة، وإحساسه بهذا الوضع نجده بارزًا في شعره، وهو يرى أن هذه العاهة هي التي حرمته من العمل.

في قصيدة له بعنوان «من أعمى إلى عميان» تخيل أن العميان يتساءلون، وأنه يرد على تساؤلهم وهذا مطلعها:

ألـلأعـمى بمـحـيـاه سـرورُ
وهل يـا صـقـر فـيه له حـبـورُ
فـقـلت لـهم عـمى الـعـمـيـان أسـرٌ
وهل في الأسـر يـبـتـهج الأسـيـر

ثم يستنهض همم العميان قائلا:

عـلـيـكم مـعـشـر الـعـمـيـان ألا
يمـسَّـكمُ عن الـعـلـيـا فـتـور
فـقـد يـبـني ضـريـر الـقـوم مـجـدًا
يـقـصِّـر أن يـفـوز به الـبـصـيـر

وهذه القصيدة من القصائد التي تدل على سعة اطلاع هذا الشاعر وفيها حث على إدراك العلوم لما فيها من تمهيد السبل إلى رقي الأمم وسعادة الأفراد.

ثم يستطرد في وصف الحال إلى أن يقول إن العميان قد تخلفوا عن غيرهم بسبب بعدهم عن العلم، وإن هذا التخلف الذي يشعر به عند أمثاله يمزقه حزنًا، وبخاصةٍ وهو

يعلم أنهم قادرون على الوصول إلى العلياء، ويضرب المثل بعدد من العميان الذين بلغوا مراتب عالية في الآداب مثل هوميروس وطه حسين.

وفي قصيدته «في بيتي الراحة» إشارة إلى انزعاجه من أصواتٍ حول بيته، وعدم تمكنه من السير إذ لا يجد من يعتمد عليه، كما أن العصا لا تفيده في ذلك شيئًا. وهذا كله رمز منه لحالته مع العمى الذي أوصد أمامه الأبواب.

✩✩✩✩✩

لقد كان هذان الأمران من أهم أسباب عزلته، وقد يظن البعض أنه كان يشقى بهذه العزلة، ولكن الواقع الذي يدل عليه شعره غير ذلك، فهو يقول موجهًا حديثه إلى أحد لائميه:

فـإن تـسـعَـدْ بمـجـتـمع الـبـرايـا
فـإني بـانـفـرادي قـد سـعِـدتُ

وعلى الرغم من بؤسه وحاجته، واعتقاده بأن الدنيا تناصبه العداء، ولا تتيح له شيئًا مما تتيحه لغيره فإنه كان شديد الاعتزاز بنفسه، وكان صريحًا في توجيه حديثه إلى الناس جريئًا في قول الحق، وقد اكتسب شيئًا من عداء بعض الناس لهذه الأسباب، ولكنه لا يبالي بذلك، بل هو يدعو المنون إلى زيارته بعد أن نبذ الناس وراء ظهره، وعبر عن ذلك بقوله:

أخـاف إذا بـقـيت تـذلُّ نـفـسي
عـلى طـمعٍ لـذي مـال كـثـيـر
فـتـمـنـحه مـدائـحـهـا الـلـواتي
تـعـز عـلى الـفـرزدق أو جـريـر
ولـكـني - كـمـا سُـمِّـيتُ - صـقـرًا
وهل أبـصـرت ذلاً في الـصـقـور

هذه هي عزة النفس التي أبعدته عن الكثيرين.

أسلوبه الشعري

لصقر الشبيب أسلوب متميز في شعره، حتى لتكاد تعرف قصيدته منذ بداية قراءتها، فشعره ذو صفات واضحة، له لغة خاصة يُعرف بها، وهي نتيجة دراسته التي واصل من خلالها التحصيل اللغوي والنحوي بخاصة، وكان قد أكب على الدراسة واغترف من عدة منابع، ومن أهمها ما حصل عليه من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان الذي كان يهتم به كثيراً، وتعلم على يده النحو مبتدئًا بحفظ ألفية ابن مالك المشهورة بين النحاة، ثم دراسة شرحها لابن عقيل، وكان ينتهز الفرصة للتزود من علم من يزور الكويت من العلماء مما مكنه من فهم هذه المادة وحفظها.

وضمن مطالعاته اهتم بقراءة الشعر وحفظه، وقد مر بنا قول الأستاذ أحمد البشر الرومي عنه في هذا المجال حين قال: «وكان حريصا على تتبع ما ينتجه المؤلفون في هذا العصر، من كتب في الأدب أو في الفلسفة أو في الاجتماع أو في العلوم الأخرى، لكنه لم يكن يميل إلى قراءة المسرحيات.

أفاده حفظه لهذه الكمية من الشعر علماً باللغة العربية وأسرارها، فلا أذكر أنني سألته في يوم من الأيام عن معنى لفظة من ألفاظ اللغة العربية إلا وجدت الشاهد على شفتيه سواء أكان ذلك الشاهد نظمًا أم نثرًا».

وكان محبّاً للغة الفصحى حريصًا عليها، وله في ذلك قصيدة طويلة جدًا نظمها عندما زار المدرسة المباركية واستمع إلى أحد المدرسين وهو يلحن في أثناء إلقائه للدرس. وقد عبر صقر الشبيب عن حبه للغة بقوله:

يا أيها اللغة الجميلة إنني
مُغرى الفؤاد بحسنك الفتان

وقوله:

ألـــقى جَـــنـــاني حب غـــيـــرك مـــذ رأت
ســـر الجـــمـــال لـــديك عـــينُ جَـــنـــاني
مـــا كـــان مـــني الـــقـــلـب لـــولا خـــوفه
من أن تُـــســـائي دائم الخـــفـــقـــان

وهذه الدراية باللغة والحب الشديد لها قد انطبعا في شعره إتقانًا وجودةً وجزالةً، وتمكنه من ناصية اللغة لا يخفى على قارئ شعره دون شك.

✵✵✵✵✵

وكان يملأ قصائده بالغريب من الألفاظ، ويستطيع القارئ أن يستخلص من هذه القصائد عددًا كبيرًا من الألفاظ الغريبة التي يصعب الوصول إلى معناها إلا عن طريق المعاجم. ولا تكاد تمر بك قصيدة إلا وجاء فيها شيءٌ من ذلك. كاستعماله كلمة (السِّبُّ) للقماش الرقيق من الكتان، و(الشوب) للعسل، و(الانقباع) لإدخال الرأس في التراب، و(الهنابث) للمصائب، و(الروابث) للموانع، و(ماغَثَ) بمعنى يخاصم، و(لحزٌ) بمعنى شحيح، وهكذا.. وهو في شعره كثير الاستطراد، ويكفي الاطلاع على إحدى قصائده لكي يرى القارئ ما يلي:

يعتذر في قصيدته التي وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح عن عدم تمكنه من القيام بزيارة الشيخ كما تعود من قبل. وقد بدأ قصيدته بذكر ذلك، ثم بين السبب الذي دفعه إلى عدم القيام بالزيارة وقد استغرق ذلك ما يقرب من ثمانية أبيات ولكنه استطرد كثيرا – بعد ذلك – في وصف ما يحدث له في أثناء سيره، وما يتعرض له من مصاعب، وصعوبة الحصول على قائدٍ يقوده إلى حيث يريد، لأن طبائع الناس مختلفة، وبعد أن أنهى ما يقرب من سبعين بيتًا على هذا المنوال عاد إلى حديثه إلى الشيخ قائلا:

لـــهـــاتـــيـــكم الأســـبـــاب قـــلَّت زيـــارتي
وإن كـنتُ من شـوقي إلـيكم عـلى جـمـر

فلم يستغرق الاعتذار أكثر من سبعة عشر بيتًا بينما كان الاستطراد كبيرًا، ولم يكن له داعٍ أبدًا، بل إن المعاني نفسها مكررة في عدد من قصائده.

ومن الجمل المعترضة ما جاء في قوله:

ســـأبـــقى - مـــثل مـــا أنّي قـــديمًـــا
بـحـبل الـصـبـر مـعـتـصـم - حـديـثـا

وتكثر في أبيات شعره الجمل المعترضة، حتى لتؤثر على صياغته، وتجعل قارئه يعيد النظر مرات في تلك الأبيات رغبة في الوصول إلى ما يعنيه الشاعر فيها. وذلك مثل قوله:

فـــمن حـــربٍ تـــبَـــرَّحَ - عن فـــنـــونٍ
من الإفـــنـــاء بـــيـــنـــهمُ - الخـــفـــاءُ

ففصل بين قوله تبرح الخفاء بجملة طويلة معترضة وقوله:

قـــدومك ســـرَّنـــا حـــتى أقَـــلْـــنـــا
- به ممـــا جـــنى قـــبلُ - الـــزمـــانـــا

يريد أقلنا الزمان ففصل بين الكلمتين بجملة معترضة، كما يكثر في أبياته التداخل مثل قوله:

كم قـــلتُ إن الـــســـيف لـــيس بـــغـــمـــدِهِ
بل إنمـــا هـــو حـــدُّهُ والمـــضـــرَبُ
لـــكن إلى ألـــبـــابـــهم مـــا قـــلـــته
مـــا كـــان من أســـمـــاعـــهم يـــتـــســـرب

يريد أن يقول إن الذي أقوله لهم يتسرب من أسماعهم دون أن يستفيدوا منه، إنما قصد توجيهه إلى قلوبهم.

كما يكثر من التقديم والتأخير مثل قوله:

وخُصَّ بـــالـــتـــحـــطـــيم أقلامَ الألى
عـــقـــولـــهم حُبُّ الـــصـــراحـــات سَـــبـــا

ومما دخله الاختلاط من أبياته قوله:

بـــني يـــعـــربٍ من فـــاته أمس ســـلَّه
حـــســـامًـــا به من قـــوته يُـــحـــسن الـــذَبّـــا

وهو من مطلع قصيدة له عن فلسطين، ومن غرائبه قوله للشيخ عبدالعزيز الرشيد:

فــأصــبــحــنــا نــقــول وقــد رأيــنــا
جَــنى غــرسَ المــتــاعب إذ سَــرَيْــتــا
لــوَ انّــا، لــيــتــنــا، لــولا، وهــاتــا
نــقــول هــوازئًــا هــيــهــات هَــيْــتــا

ومن ذلك قوله:

وكــيف تــخــيَّــروا نــفــرًا تُــنــافي
ســيــاســتُــهم لجــنــســهمُ الــبــقــاءَ
رجــــاء زيــــادة الأملاك حــــتى
لأشــبَــهَ ســـائــســـيـــهِ الـــكُلُّ داءَ

فانظر الشطر الأخير من البيت الثاني وما فيه من صعوبة السبك.

✡✡✡✡✡

وصقر الشبيب يعرف كل ذلك في شعره، ولذا فهو يأبى أن يقترح عليه أحدٌ قصيدةً في موضوع معيّن، وهو يرى أن الشعر ليس طوع يديه، على الرغم من أنه يجد سلوته الوحيدة في نظمه لما فيه من تعبير عن دخيلة نفسه، ثم هو يقول:

أرى الشعر نجوى النفسِ والنفسُ حُرّةٌ
تــخــيَّــرُ مــا تــهــوى من الــوقت لــلــنــجــوى
أنــاديه أحــيــانًــا فــيــأبى إجــابــتي
ومــا ليَ من مُــعْــدٍ عــلــيــه ولا عــدوى

✱✱✱✱

أغراض شعره

المطَّلع على ديوان صقر الشبيب يعرف مقدرته الشعرية من تنوع الأغراض التي تطرَّق إليها في شعره ومن إسهابه في عدد كبير من قصائده حتى لنرى أنه يلم بموضوعات متعددة في القصيدة الواحدة.

وكان الناس يطلقون على شاعرنا صقر الشبيب لقب رهين المحبسين أسوة بالمعري. وذلك لأنه كان كفيفًا مثله، وكان في أواخر حياته قابعًا في بيته لا يتعداه. ولأنه كان ضليعًا في اللغة مكثرًا من شعر الحكمة. ولكني حين قرأت قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري عن أبي العلاء، وجدت صفة جديدة تصل صاحبنا بذلك الشاعر الكبير، ألا وهي الاهتمام بالحيوان، والحرص على رعايته، والنهي عن تعذيب الطيور، فالجواهري يقول من تلك القصيدة:

إن الذي ألهث الأفلاكَ مِقوَلُهُ
والدهرَ، لا رغبًا يرجو ولا رهَبا
لم ينس أن تشمل الأنعامَ رحمتُه
ولا الطيورَ.. ولا أفراخَها الزُّغُبا

وفي مثل هذا يقول معري الكويت من قصيدة له طويلة تحت عنوان «انقذوا الحيوان من أذى الصبيان» يدعو أولياء الأمور إلى منع أبنائهم من إيذاء الطيور التي يقومون باصطيادها وقت الربيع وهو الوقت التي تتكاثر فيه، حيث تحط وهي في مهاجرها إلى الأماكن البعيدة لترتاح في الكويت، ولكنها تجد التعب بعد ذلك لترصُّدِ الأولاد لها:

كل طفلٍ بكفه عصفورُ
من أذاها يكاد فيها يبور

وفيها يقول:

أيـــهــا الــطــفل أنت عــنــدي عــلــى مــا
سُـــمــتَـه الــطـــيــرَ من أذًى مـــعـــذور
مـــا لأمـــرٍ تـــمـــرٌ عـــقـــبـــاه أو تحـ
ـــلـــو لـــدى ذي طـــفـــولـــة تـــقـــديـــر
لـــستَ أنت الــذي جـنــيتَ عــلـى الــطـيـ
ـــر ولـــكن جـــنـى أبـــوك الـــكـــبـــيـــر
أنـت لـــــــولا ولـيٌّ أمـــــرك لـم تَــــــقْـ
ـــرُبْ إلـى الـــطـــيـــر من يـــديك شُـــرور

وتـطرَّق فـي قـصـيـدةٍ له من الـطوال إلى الـحديث عن عـنـزٍ أكلت بـعض كـتب أحـد أصـدقائه، وقد كان في البداية شـديدًا على العنز، ولكنه عاد بحكم طبعه إلى الاعتذار لها والدفاع عنها إلى أن قال في آخر القصيدة:

فلا تـهـمـلـوا حق الـبـهـائم واسـلـكـوا
بــهن ســهـولَ الـسُّـبْلِ والمرتـعَ الـخـصـبـا

ولا حاجة هنا إلى عرض كافة الأغراض التي تناولها في شعره فهي واضحة في الديوان ولكننا نشير إلى بعضها مما تنبغي الإشارة إليه لخروجه عن الأغراض التي اعتاد الشعراء صياغة أشعارهم حولها، بل سنختار أمورًا مثل الذي قدمناه هنا عن لقبه. ومثل الذي نشير إليه هنا:

كان صقر الشبيب محبا للخير، ولكنه يسير في تعبيره عنه وفي تقديمه للمحتاجين على طريقته الخاصة، فهو لا يملك من المال ما يمكن أن يدفعه لمحتاج، ولكنه لا يتأخر عن عمل يجد فيه مصلحة للناس:

لـكم بـالـذي أخـفـيه وجـهيَ يـنـطقُ
صـريـحًـا ووجـهي مـا تـرون فـحـدِّقـوا

أجـيـلـوا به الأنـظـار بـضع دقـائق

لـكم يـنـفـتح من سـرٍّ نـفـسيَ مُـغـلَق

فـمن كـان مـنـكم في الـتـفـرُّس حـاذقًـا

فـوجـهي له عن طـبع نـفـسي يـصـدق

فـإن كـان حب الخـيـر فيَّ سـجـيـةً

فقـولـوا لـيـسلَمْ ذا الـضـريـرُ وصفِّـقـوا

وإن كـان حب الـشـر فيَّ غـريـزةً

فصبّـوا على وجـهي الشـتـائمَ وابـصـقوا

ومن أعمال الخير حرصه على عدم إيذاء الحيوان، كما بينّا قبل قليل، وقصيدته التي قدمها إلى بلدية الكويت شاكيًا أصوات باعة الكيروسين الذين يمرون بين البيوت فيزعجون الناس بنداءاتهم، وبأصوات أجراسهم، بينما يكون ذلك في وقت الظهيرة حين يهجع الناس في قيلولتهم، فيندُّ عنهم النوم بسبب هذا الإزعاج المتواتر.

ولما علم بالمخاطر التي تحدق بالناس بسبب تناولهم بعض أنواع من المعلبات تكون قد تلفت أو انتهت مدة صلاحيتها كتب قصيدة في هذا المعنى داعيًا إلى الاهتمام بغذاء الناس، والحذر من المعلبات الفاسدة.

وعن الغلاء كتب قصيدته التي مطلعها:

غلاءٌ أهـلك الـفـقـراء جـوعًـا

وعُـريًـا، أهـلكَ الـلـهُ الـغلاءَ

وقد دعا إلى مراعاة المحتاجين، والحد من موجة الغلاء التي يبدو أنها كانت قد داهمت الناس في وقت إنشاده لهذه القصيدة.

هكذا نراه يقدم الخير للناس بحسب إمكانه ويسعى إلى التخفيف عن المحتاجين، ويدعو إلى إزالة كل ما يتسبب في الأذى للناس، وهذا كله من أعمال الخير المطلوبة.

يحس قارئ شعر صقر الشبيب بمدى حرص هذا الشاعر على تقديم النصح لقومه، فهو ينصح بالاهتمام بطلب العلم، وينصح بالقناعة التي يراها هي الغنى الحقيقي، وهو – أيضًا – ينصح قومه بالحرص على التكاتف، وينصح أمته العربية بالحرص على وحدة الصف وعلى دحر المعتدين، وينوه في شعره كثيرًا بمأساة فلسطين وبثورة الجزائر وبأحداث مصر في سنة ١٩٥٦م بخاصة. وهكذا فهو لا يدع مجالاً فيه فائدة للأمة إلا طرقه مناديًا حاثّاً مخبرًا بشعوره الحقيقي تجاه ما يراه من أمور.

****

الشكــوى

أمضى صقر الشبيب حياته شاكيًا متذمرًا لما مر به من مآسي منذ نشأ إلى أن انتهى به العمر. كان كثير الحديث في شعره عن فقده لبصره، والإعلان عما يتحمله من أجل هذه العاهة التي ألمت به منذ صغره، وقد ذكر ذلك في قصيدة وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح يعتذر له فيها عن عدم تمكنه من زيارته، فيؤكد له أن عماه هو السبب في ذلك، وبين أنه عرضة للإصابة إذا خرج من بيته بمفرده:

ولــو أنــني أســطـيعُ وحــدي ازديــارَهُ
لــكـنت إلــيه الــدهــرَ مــتــصلَ الــسـيـر
ولــكــنــني مــا ســرت وحــدي مــرَّةً
فــعــدت ولـم تجـرح جـبـيـني يَـدُ الجُـدْر
كــأن لجــدران الــكـويت جـمـيـعِـهـا
عــليّ تِــراتٌ غــيــر مــنــسـيَّـة الــذكـر

وشكى فقره، وقلة موارده المالية التي لم تزد على خمسين ربية في الشهر، فقال:

لا يــدفع الجـوعَ والـعـريَ الـلـذيْن هُـمـا
شــرُّ الــنــوائب إيلامًــا وإيــجــاعــا
خـمـسون في الشـهـر عن مـثـلي فهل لكمُ
في رَدِّ هـــذين إلـــبــاسًــا وإشــبــاعــا

وهو من أجل ذلك يهاجم البخلاء من الأغنياء ويكثر في شعره من ذمهم، وينعى عليهم عدم اهتمامهم بالمحتاجين الذين يحس هو بحاجتهم أكثر من غيره لطول معاناته فرط الحاجة والفاقة.

سبحان مُغني الألى تأبى غرائزُهم
أن يذخَروا نفعَ ما أوتوه سبحانا
كأنما استودعوا أموالهم فغدَوْا
على الودائع حرّاسا وخُزّانا

ولا يكتفي بشكواه العامة، بل هو يبسط شكواه في القصائد التي يوجهها لزواره أو مراسليه من غير الكويتيين، ويتحدث عن الكويت وكأنه يتحدث عن وطن غير وطنه، وذلك بسبب معاناته وعدم وجود من ينتبه إليه، وحين زاره الأديب عبدالهادي الجواهري في بيته قدم له أبياتا جاء فيها:

إن الكويت أديبها في شقوةٍ
ممتدّةٍ ليست بذاتِ نَفاد

وفي قصيدة وجهها إلى حافظ وهبة يقول:

كأني في الكويت على رُواها
سكنتُ مفازةً حُفَّت ببيدِ
ولو أني حصلت على بَلاغي
لما أعملتُ بالشكوى قصيدي

أما قصيدته التي وجهها إلى الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي، فقد تحدث فيها عن نفسه وعن الكويت قائلاً:

أنَّى يَرى وجهَ المسرَّة بارزًا
من لم يزل من أبأسِ البؤساء
يشكو طَواهُ معلنًا لكن إلى
أُذُنٍ - عن الشاكي الطَّوى - صمّاء
قلب الكويت من الشراسة مفعَمٌ
لكن على مثلي من الأدباء

وهكذا نراه لا يتوقف عن الشكوى في جميع الحالات إلى أن قال:

جـــهَـــدَتـــني صـــروفُ دهـــريَ حـــتى
غـــيـــرَ شـــكـــوى صـــروفه لا أجـــيـــدُ

بل بلغ به الأمر أن تمنى أن يغادر الكويت إلى بلد آخر لعله يجد فيه ما يزيل عنه بعض ما يجد من بلاء، فها هو ذا يوجه قصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو – آنذاك – في البحرين، فيقول له فيها:

فـــلـــيـــتك إذ رحـــلـتَ إلى «أوالٍ»
جـــذبتَ إلـــيك من صـــقـــر زِمـــامَهْ
فـــمُـــنـــيَـــتُهُ الـــتـــرحُّلُ عن بلادٍ
بـــهـــا مَـــشـــقـــاهُ لم يُـــغـــمِـــدْ حُـــسـامَهْ

ومع كل ذلك فإننا نجد له العذر كله في كل ما قال لأنه كابد ما فيه الكفاية، لقد عانى الفقر والإهمال، ولقي تهجمًا شديدًا من كثيرين ناصبوه العداء دون وجه حق، وما كان أمامه إلا أن يعبر عن أحاسيسه بما أنشده من أشعار كانت كلها صوره صادقة لما كان يتحمله من شقاء طوال حياته.

ومن أدَلِّ أشعاره على رغبته في مغادرة وطنه قوله:

لم يَـــحْلُ في قـــومي مـــقـــامي ســـاعـــةً
لـــو أنـــني أســـطـــيع مـــنـــهم هَـــرَبـــا
فـــإن أقـــمتُ في الـــكـــويت مـــرغـــمًـــا
مـــضـــطـــهـــدًا من أهـــلـــهـــا مـــكـــتـــئـــبـــا

وقوله:

فـــإن تَـــضـِقِ الـــكـــويت الـــيـــوم عـــني
ومـــا ضـــاقت بـــأمـــثـــالي الـــديـــارُ
فـــكم بـــلـــد لـــقـــومي الـــعُـــرْبِ فـــيه
ســـيـــحـــلـــو لي من الـــسَّـــعَـــة الـــقـــرار

****

الهجوم عليه

تعرض الشاعر صقر الشبيب لما يتعرض له المتنورون عادةً، فأولئك الذين نشؤوا على طريق التعصب دون أن يحصلوا على قسط وافر من العلم تتفتح به أذهانهم، لا يمتنعون عن التهجم على كل من يظنون - مجرد ظن - أنه مخالف لما يرونه من آراء، وبخاصةٍ فيما يتعلق بالدين. لقد فهم هذا الشخص أن صقر الشبيب قد اتخذ مبدأً لا يرى فيه أي فرق بين المسلم والكافر حين قال:

وخَـلّـوا في الـديـانـات افـتـراقًـا

يـؤول بـكم إلى الحـرب الـعَـوانِ

ومن ثَمَّ أفتى بمقاطعة الشاعر مقاطعة تامة، وكما يقول الشيخ: عبدالعزيز الرشيد «ثم تمالأ هو وأسافلة مثله على قتله، ولكن الشاعر وقد علم بما يبيت له حاول مغادرة الحي الذي كان مقيمًا فيه».

وهذا نموذج من معاناة شاعرنا الذي لم يقل في هذا البيت غير النهي عن التفرق في الدين، والأمر بالتكاتف معه.

ومن هنا نمضي في حديث عن موقف الشاعر الديني الذي لا يشك من يقرأ شعره في إيمانه بالله ويقينه بربوبيته، ومن ذلك قوله:

فـيـا من به آمـنت غـيـر مـقـلِّـدٍ

أدِمْ بك إيمـاني بـعـيـدًا عن الخـطَـرْ

فـكم شـبـهـة دكـنـاء جُـبتُ ظلامـهـا

فـكـدت أضل الخـرق فـيه إذِ اعـتـكَـرْ

ولـو لم تـنـر سُرْجُ الـعـنـايـة لـيـلـهـا
لأفـنـيـتُ فـيه الـعـمـرَ أسـري عـلـى غَـرَرْ

ويعبر عن حزنه للهجوم الذي لقيه من الذين يناصبونه العداء دون سبب جوهري، بل دون أن يفهموا مقاصده في كثير من شعره فيقول:

وممـا يـزيـد الحـزنَ في الـقـلب ضِـعـفَهُ
ويُـلـهـبُهُ بـين الـضـلـوع فـيـلـتـهبْ
صـدود بـني قـومي إذا قـام مـرشـدٌ
يـذكّرهم بـالـشـعـر طـورًا وبـالخُـطَبْ
وفي الـصَّـدِّ مـا يـثـني عـزيمـة من غـدا
لـنـصـحـهمُ تـقـريـبُه الـدهـرَ والخـبَبْ
فـكـيف إذا مـا زنـدقـوه وأسـبَـلت
عـلـى رأسه من مـزن غـيـظـهمُ سُـحُبْ

وهذا الذي (يُزندَق) على حد قوله هو الذي يقول:

تـأمـلـت أديـان الـبـريـة كـلـهـا
فـمـا ركـنت إلا لإسلامـهـا نـفـسي

وعلى الرغم مما تعرض له فإنه كان يتفادى الهجاء، أو الإقذاع على الرد على من أساء إليه. بل إن له من الهجاء موقفًا عرضه في قصيدة كاملة تحت عنوان «التمويه جبن» تحدث فيها عن الذين يتهجمون على الناس باسم النقد فقال في مطلعها:

إذا مـا كـاتبٌ أضـنـاه حـقـدٌ
عـلـى قُـرَنـائه بـين الأنـام
هـجـاهم ثم سـمّى الـهـجـوَ نـقـدًا
لـيـبـقى خـافـيًـا سـوءُ المـرام

ولا نستطيع أن نشك في عقيدة الشبيب بسبب ما نراه في شعره من تأكيد صدق عاطفته الدينية فهو يحتفل مع الناس بذكرى المولد النبوي الشريف يشاركهم شعرًا غزيرًا معبرًا، وهو يتضرع إلى الله في عدة قصائد منها قصيدته «أمع الحياة سعادة؟».

يـــا رب فـــاعفُ فـــلــــيس لي إلا إلى
تـــأمــيل عــفــوك عن ذنـــوبي من مــرَدّ
يـــا من يـــؤمِّلُ عـــفـــوه الجـــاني وإن
فـاتت لـكـثـرتـهـا الجـنـايـاتُ الـعَـدَدْ
خـوف الحـسـاب عـلى ذنـوبي هـدَّني
وعـلـيك في الـتـأمـين مـنه المـعـتـمـد

وهو يحب مادة الفلسفة، ويتأمل الأفكار الفلسفية التي يتبادلها مع الأستاذ عبدالملك الصالح الذي يشهد الجميع له بالاستقامة وصحة العقيدة، ولكن حبه للفلسفة لا يعني ما يفهمه البعيدون عنها من أنها السبيل إلى الخروج عن الدين، وفي قصيدة طويلة عنوانها «يوم الخميس» تحدث عن لقائه مع صاحبه، وهو موعد متفق عليه بينهما يتدارسان فيه الكثير من الأمور، يأتي الأستاذ عبدالملك وقد حضَّر لصاحبه ما يعتقد أن الشاعر يحب أن يستمع إليه ولا سيما في موضوع الفلسفة الذي يُمضيان وقتًا في تدارسها. وقد ضمت هذه القصيدة الكثير من الأمور التي كان تداولها يتم بين الصديقين في أمسية يوم الخميس. وفيها نرى تمكن صقر الشبيب من هذه المادة، ويقينه من أن الأستاذ قد أسدى إليه جميلاً لا ينسى حين فتح له هذا الباب. ولكن ما يتدارسانه – بالتأكيد – ليس له أثر سلبي على معتقدهما الديني فالفلسفة أداة لشحذ الفكر لا لتغييبه.

ومن أبرز نظراته الفلسفية ما جاء في قصيدةٍ له بعنوان «نظرة في السر الإلهي» تحدث فيهاعن حكمة الله سبحانه وتعالى في إدارته لشؤون الخلق جميعًا، دون أن يعلموا شيئًا عن هذه الحكمة الإلهية، وهم يرون أن الناس أمثالهم على نوعين، أحدهما يعوم في بحار الرزق، والآخر يشكو الفاقة والجوع، فهناك من هو متنعم في جنان اليسر ومن هو يصطلي بنار العُسر. ومع ذلك فهم راضون في عيشتهم هذه، ولا يبحثون في هذا الأمر، ولو دخل الحسد إلى نفوس المحتاجين في مواجهة الأغنياء لكانوا كما قال:

وإلا جـــرّدوا حـــســـدًا وغـــيـــظًـــا
عـلى المـثـرين لـلـحـرب الحـسـامـا

فـــلـم يـــدعـــوا بـــراحـــته غـــنـــيّـــاً
ولـم يـــــذَروا عــــلـى أرضٍ سلامــــا
ولـــــكـن جَلَّ من أجــــرى فـــأرضى
بـــرايـــاه بـــحـــكـــمـــته الـــنـــظـــامـــا

هذا النظام الذي عجز الحكماء عن معرفة أقصاه، وعن كشف لثامه، بل إن كل ما يقولون عنه لا يخرج عن دائرة الظن:

يـــقـــول بـــكُـــنـــهـــهـــا الـحـكـمـاءُ ظَـنّـاً
وعـــلـم الـــكـــنـه عـــنـــهم قـــد تَـــرامى

إن النُّظُمَ قد استعصت على الدراية.

ثم يتأمل في حكمة الحياة في قصيدته «لحكمة أتينا الدنيا» يبدؤها بنعي السعادة قائلاً:

لـــيس في الأرض من طـــريقٍ يـــؤدّي
ســالـكـيه أو بـعـضَـهم لـلـسـعـاده
فـلـــهـــا اسمٌ بـــين الأنـــام شـــهـــيـــدٌ
ومـــســـمّـاهُ مـــســـتـــحـــيلُ الـــشـــهـــاده

يعلن في هذه القصيدة أننا لا نحس في هذه الدنيا إلا بالشقاء، ومع ذلك فإننا حريصون على زيادة نسلنا وكأن الواحد منا يقبل على أولاده بالشقاء الذي يتلقاه في دنياه. إنه يشبه في ذلك الحاقد الذي يريد أن يحل بهؤلاء ما حل به، على الرغم من أنهم لم يكونوا ضداً له، بل كانوا في عالم الغيب لم يسؤهم منه شيء.. إذًا فإن هذا التدفق البشري إنما جاء لحكمة أرادها الله سبحانه فهو الذي:

أَوجَـــدَ الـــوالـــدَ الـــقـــديمَ لأمـــرٍ
ســابِغ الـكـتْمِ يـقـتـضي إيـجـادَهْ
فـــأتى الـــوالـــدُ الـــقـــديمُ إلى الـــدُّنْـ
ـــيـا اضـطـرارًا كـمـا أتـتـهـا الجـرادَهْ

ثم ينثني إلى موضوع آخر يبنيه على ما تقدم، مؤكدًا أن كل إنسانٍ يسير في حياته وفق الطباع المركبة فيه.

وفي قصيدته «يا عقل» نداءٌ إلى عقله الذي وَجَدَ أنه لا يتعارض مع صحيح النقل، وهو لا يرى أن النقل فيه مخالفة للعقل إذا عُرض عليه، فالله سبحانه وتعالى هو خالق العقول:

قالوا انصرفت إلى المعقول متَّركًا
ما لم يكن وَفْقَهُ من كل منقولِ
فقلت لو لم يُرِدْ هذا مكوِّنُنا
مني ومن كل معروفٍ ومجهولِ
لما حشا الهام بالألباب قائمةً
بالفرق ما بين مسمومٍ ومعسول

ثم يقول:

يا عقل أنت سماوي الهدى فأبِنْ
ما غاب من وجه تحريمٍ وتحليلِ
وسُدَّ أذنيَ عمّا القوم قد أخذوا
فيه يخوضون من قالٍ ومن قيل

والاعتماد على العقل بالصورة التي طرحها هنا لا يؤثر على عقيدته بل هو بحسب ما يرى يُمحِّص المعقول ويعرضه على المنقول فيأخذ بما توصل إليه، ولا شك في أنه إنما يقصد بالمنقول هنا أقوال العلماء الذين يدلون برأيهم في بعض المسائل التي لم يرد بها نص صريح في الكتاب والسنة، وهؤلاء هم الذين قيل فيهم «كل يؤخذ من كلامه ويُرد» ما لم يعتمد على أصلي التشريع الإسلامي، وإذا كان هذا جائزًا للسابقين فلا غرابة أن يجوز لصقر الشبيب الذي لم يكن شاعرًا فحسب بل كان عالمًا قرأ الشريعة بكل فروعها واطلع على العربية وأجادها وحفظ غريبها وأشعارها وأحاديث ماضيها.

ثم انظر في أبيات قصيدته «ظن جميلا بالله» وتأمل كيف صاغ مبدأه في النظر إلى حكمة الله في الكون، وقد راقت هذه الأبيات للأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري فأوردها في صدر كتابه «صقر الشبيب» وفلسفته في الحياة الذي نشره في سنة ١٩٧٥م، وفيها يرى

صقر أن أهداف القدر كثيرة ولكن المرء لا يستطيع الوصول إلى معرفة أي منها، حيث إن من رفع رأسه بتعليل ما صنع الله في خلقه سُرعان ما يطأطئ رأسه عجزًا.

وهو يرى أن هاتيك مفاوز يصعب على المرء ارتيادُها مهما أوتي من عقل، وفي مطلع الأبيات:

ولله فيما يفعل الله حكمة
يفوت بها كتمانُها العقلَ والحِسّا
فمن حكمةٍ فوق العقول سما بها
أطاف بنا خُشْنَ الحوادثِ والمُلسا
يُطيف بنا سَعْدَ الخطوب ونحسَها
ويمنعُنا تعليلَنا السَّعدَ والنحسا

أما كتاب الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري الذي أشرنا إليه فهو كتاب يضم ٣٣٠ صفحة من الحجم المتوسط. يستعرض فيها الكاتب ديوان الشاعر، ويحدد النقاط التي تدل على فلسفته في الحياة، ممثلاً لكل ذلك بما ورد من شعر ضمه الديوان الضخم الذي جمعه واعتنى به الأستاذ أحمد البشر الرومي، وقد كانت دراسة الأنصاري واسعة، تفي بالغرض، وتقرب الكثير من الأشعار إلى فهم القارئ وبخاصة تلك القصائد ذات النزعة الفلسفية ومنها القصيدة التي عنوانها «ماذا اعتقد» فقد شرحها شرحًا وافيًا، وقرب معانيها إلى القارئ بحيث تنجلي دلالاتُها دون أي لبس.

✡✡✡✡✡

هذا وسوف يجد قارئ ديوان هذا الشاعر الكثير مما يتعلق بحرصه على دينه على الرغم مما أرجف به المرجفون، وسوف يجد الكثير من فلسفته التي لا تخرج عن مجرى الدين ولا تسيء إلى العقيدة الصادقة بأي حال من الأحوال، وفيما تقدم عن كل ذلك الكفاية.

✡✡✡✡✡

هذا ولا يفوتنا في ختام ما ذكرناه عن الهجوم عليه، وعن ديانته وحرصه عليها، الإشارة إلى هذه القصيدة التي صرح فيها بكمال اليقين والإيمان بالله تعالى أتم تصريح.

كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد قد بعث إلى صقر الشبيب بقصيدة من قصائده، ويبدو أن صقرًا قد أعجب بها غاية الإعجاب، وأنها أثارت في نفسه الكثير من الإحساسات التي

كان يكتمها، فلما جاءته قصيدة الرشيد وجد أنها قد فتحت له مجال التعبير.

عنوان القصيدة هو: «أفي الصحيفة در؟» ومطلعها:

إن شـــجـــاكم مـــني الأنـــينُ المـــديـــدُ
فـــعـــذابي بـــالـــفـــقـــر جـــداً شـــديـــدُ
كـــلـــمـــا قـــلتُ ذات يـــومٍ ســـيـــمـــضي
مـــنه عـــني اشـــتـــدادُهُ أو يـــبـــيـــدُ
عَنَّ خـــطبٌ يـــقـــول إني كـــفـــيلٌ
أن ســـتَـــبـــلى يـــا صـــقـــرُ وهـــو جـــديـــد

والقصيدة طويلة جدا كعادته حين يتحدث في مثل هذا الموضوع، أو يخاطب شخصًا عزيزًا عليه، وقد فعل ذلك في كثير من قصائده. وفي القصيدة التي نتحدث عنها أبيات مهمةٌ عبّرت أصدق تعبير عن إحساسه الشديد بالظلم وبالفقر وبالعزلة في وقت واحد:

أنـــا مـــازلت في الـــكـــويت أغـــنّي
كل صـــوتٍ يَـــشـــجى به الجُـــلـــمـــودُ
وهـي تـــزداد قـــســـوةً فـــغـــنـــائي
لـــشـــقـــائي تـــتـــمّـــةٌ ومَـــزيـــد
فـــكـــأن الـــكـــويت مـــا دمتُ فـــيـــهـــا
قـــفـــصٌ فـــيـــه بـــلـــبـــلٌ غِـــرِّيـــد

وهو يرى أنه بين كيد مناوئيه وقوتهم يقع في مواجهة الثعالب والأسود الذين يتربصون به الدوائر ويريدون تشويه سمعته ثم الإيقاع به، ثم إنه يرى أن زمرة أعاديه قد وصفته بما ليس فيه:

وصَـــمَـــتـــني حـــتى بـــجـــحـــد إلهٍ
مـــا تـــمـــشّى له بـــبـــالي الجـــحـــودُ
ويـــقـــيـــني بـــأن ربي - مُـــديـــلي
من ذوي الـــظـــلـــم - عُـــدَّتي والـــعـــديـــد(١)

وفيما ذُكر نجد أصدق الرد على أولئك المناوئين، فلا قول أوضح من ذلك يؤكد إيمانه العميق.

---

(١) مديلي: ناصري.

القسم الأول

ما ورد في الديوان الذي أصدره

الإهداء

إلى روح سمو حاكم الكويت المعظم المرحوم الشيخ سالم بن الشيخ مبارك الصباح.

نمــاذجُ هــذي من قــريــضـي أزفُّــهــا
هـديـةَ من لم يَـقْنَ شـيـئًـا سـوى الـشِّـعـرِ

ومن لم يــجـد غــيــر الــقــوافي هــديّــةً
فـأهـدى الـقـوافي كـان من بـالـغي الـعُـذر

إلى روح من لــو عــاش مــا بتُّ شــاكـيًـا
من الـعـسـر مـا قـد كـاد يـأتي عـلى عـمـري

إلى ســالـم الأخلاق والــعــذر كــاســمه
ومــســلـمِ مــا تحــوي يــداه من الــوفــر

فــلـم نَــشْكُ في أخلاقه قَطُّ عــلــةً
سـوى فـتـكه في المـال بـالـنـائل الـغَـمْـر

فـمــا زال حــتى مــات يُـحـيي عُـفـاتَهُ
بـإرداء صـنـفَيْ مـاله الـبـيضِ والـصُّـفـر[1]

فــأمــواله تــشــكــو تــســلُّطَ كــفِّه
وسـوَّالُهُ تـقـفـو الـشـكـيَّـة بـالـشـكـر

فــمـــا فــرَّقت مــا بــين جــزل نــواله
وقُـصّـادِه شـكـوى الـلُّـجَـيْنِ ولا الـتِّـبْـر[2]

ومـا كـان عن شـكـوى سـوى المـال وحـدَهُ
إذا مـا شـكـا الـشـاكي إلـيه بـذي وقـر[3]

---

(١) العفاة: طلاب المعروف، جمع العافي، والبيض والصفر: كناية عن الذهب والفضة.
(٢) اللجين: الفضة. والتبر: الذهب. وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض.
(٣) الوقر: ثقل في الاذن.

كـأن قـد حـمت سَـمـعَـيْهِ شـكـوى ثـرائِهِ
عُـفـاةُ أيـاديه بـشـكـرهمُ الـكُـثْـر
فـذاك الـذي لـو لم يـغـيِّـبه قـبـرُهُ
لمـا عـدتُ من بـؤسي أحِنُّ إلى قـبـري
فـقـد خـبُـثت من داء عـسـريَ بـعـدَهُ
حـيـاتي الـتي طـابت بـأيـامه الـغُـرِّ
ولـو لم يـزَلْ حـيّـاً لأتـبع عـلَّـتي
من الـعسـر يـشـفـيـهـا دواءً من الـيُسـر

****

الإيمان عون لتخفيف الأعباء[1]

عـطـفتْ عـليَّ الـبـصـرةُ الـفـيـحـاءُ
والـسـاكـنـون ربـوعَـهـا الـكُـرمـاءُ
من كلِّ ذي كـرمٍ يَـحُلُّ بـنـفـسه
قـممَ الـثـنـاء المجـدَ والـعـلـيـاء
جُـبـلـوا عـلـى حب المـكـارم والـورى
– لـولا المـكـارمُ – والـوحـوشُ سـواء
وجلائلُ الأفـعـال ألـسـنـةٌ لـهـا
عن حـسن مـا جُـبـلـوا عـلـيه جَلاء
تـلك الـتي لـولا إبـانـتُـهـا اسـتـوَت
في قـدرهـا الـكُـرمـاءُ والـلُّـؤَمـاء
والـدُرُّ لـو لم يـبـدُ سِـرُّ جـمـالهِ
مـا كـان دون مـقـامه الحَـصـبـاء
الـكل يـهـوى أن يـكـون لـبـاسُه
ممـا يـحـوكُ الحـمـدُ والإطـراء
وبـبـيت يـشـغَلُ مـدحُهُ الـسُّـمُـراءَ مـا
بـاتت تُـسـامـر بـعـضـهـا الـسُّـمَـراء
ومن الـصـعـوبـة في مـكـانٍ نـيلُ مـا
مـالت إلـيه بـأهـلـهـا الأهـواء

(١) قالها بمناسبة مقال كتبه صديقه محمد طه الفياض العاني صاحب مجلة الشبان المسلمين التي كانت تصدر بالبصرة، ناصره فيه على ما كان يشكو منه.

والـصـعبُ مـهـمـا شـاقَ دون مـنـالهِ
يمـنى الـلـئـيم من الـورى شَلاّء
أنَّى يـفـوز به لـئـيمٌ عِـرضُهُ
لحـطـامه من سـائـلـيه فِـداء
يـهـوى اقـتـنـاء الحـمـد ثم يـعـوقُهُ
عـنه من الـبُـخل الـذمـيم إبـاء
فـالمـقـتـنـون جـمـال مـا نـسجَ الـثـنـا
قـومٌ لـهم بـالمـنـفِـسـات سـخـاء[1]
لـهُمُ عـلى فـقـر الـفـقـيـر إذا غـدا
مـسـتـعـديًـا جـدواهُمُ إعـداء[2]
يـجـد الـرجـاء من المـقِلِّ حـيـاته
بـهمُ إذا ألـوت به الـبـخلاء[3]
لـهمُ إذا سُـرَّ الـشـحـيحُ بمـنـعه
حـاجَ الـفـقـيـر بـبـذلـهم سَـرّاء
مـتـسـابـقي بـذلِ المـعـونـةِ مـا أتت
تـرجـو المـعـونـة مـنـهمُ الـفـقـراء
ومـتى يـضق مـيـسـور وُجـدِهمُ بمـا
مـنـهـا لآمِلِ رفـدِهمْ قـد شـاءوا[4]
عـمـدوا إلى اسـتـخـدام جـاهِـهِمُ له
حـتى يـرى مـا ضـاق وهـو فـضـاء
هـذا هـو الـفـضل الـذي بـسـلـوكه
مـنـهـاجَهُ تـتـنـافس الـنُّـبَلاء

(١) المنفسات: الأشياء النفيسة.
(٢) استعداه: استنصره واستعانه، والمستعدي الطالب النصرة، وأعداه إعداءً نصره. والجدوى: العطية.
(٣) ألوى بالشيء: ذهب به.

(كـمـحـمـدٍ طه) الـذي بـلـغت به
خـيـرَ الأنـام الـنـسـبـةُ الـغـرّاء

من لـو شـكـكـنـا أنه ممن جَلا
من ديـنه ظُـلَـمَ الـضلال ضـيـاء

عَـنّتْ تُـبـدِّل شـكّـنـا بـيـقـيـنـنـا
في ذاك مـنه الـسـيـرةُ الحـسـنـاء[1]

والـسُّـحبُ تـوقِنُ أن مـصـدرهـا إذا
غـمـرتكَ مـنـهـا بـالحـيـا الـدَّأْمـاء[2]

لـلـه (طه) من طـبـيـبٍ طِـبُّهُ
لـلـعـقل والجـثـمـان فـيه شـفـاء

إرشـادُهُ يـشـفي الـنُّـهى وبـعُـرفهِ
تـلـقى شـفـاءَ جـسـومـهـا الـبـؤسـاء

داوى بـخـيـر الـنـصح عـقـلي وانـبرى
مـنه لجـسـمي بـالجـمـيل دواء

هـذا هـو الـطِبُّ المـفـيـد لمن به
من فـقـرهِ أو جـهـلـه أدواء

مـا كـان لـلـداءَيْنِ في أهـلِـيـهـمـا
– لـو شـاع – ذاك الـفـتكُ والإبلاء

لـكـنه طِبٌّ يَـعِـزُّ وجـودُهُ
في بـيـئـةٍ نَـدَرَتْ بـهـا الـفُـضَلاء

ويـقِلُّ أهلُ الـفـضل في الـوسط الـذي
لـلـجـهل والإمـسـاك فـيه ثَـواء[3]

---

(١) عنَّ لك الشيء: ظهر أمامك.
(٢) الحيا: المطر. والدأماء: البحر.
(٣) ثواء: طول إقامة.

فــالجــهلُ والإمــســاكُ إن عــكَــفــا عــلى

وسطٍ فــمـــا لـــلـــفــضل فـــيه بـــقـــاء

وأرى مـــحـــيـــطي مـــنـــهـــا لـــمّـــا يَـــزَلْ

فـــــــيـه بـلاءٌ فـــــــادحٌ ووبـــــــــاء

فــإذا عــلى قــومي جــرى من مــقــلــتي

- طــوعَ الــشــجــون المجــريــات - المــاء

فـلأن ذلك كُلُّ مـــــا أســـــطـــيـــعه

جــهــد المــقــصِّـر في الخــطــوب بــكــاء

من لي بــكــالــفــيّــاض يــشــهَــرُ فــيــهمُ

قـــلـــمًـــا جَـــنـــاه حـــكـــمـــةٌ وحِـــجـــاء[1]

فــعــســاه يَــبْــلُــغُ مــنــهم الأســمــاعَ مــا

في الـــعـــالمـــين لـــهم به إحـــيـــاء

فَــلَــذاكَ أحــرى أن تــعــود قــلــوبُــهمُ

مـــنه لـــغـــالي الـــنـــصحِ وهي وعـــاء

حُـــرٌّ يَـــخِفُّ عـــلـــيه من إرشـــاده

مـــا لا تُـــقِلُّ الـــهـــضْـــبـــةُ الـــشـــمّـــاء[2]

وإذا تـــــولّى المـــــرءَ من إيمـــــانه

عـــونٌ عـــلـــيه خـــفَّت الأعـــبـــاء

مــا انـفكَّ يُـتـبِعُ بـالـنـصـيـحـة مـثـلَـهـا

كـــأجلِّ مـــا تـــأتي به الـــنُّـــصَـــحـــاء

إقــرأ «صــدى الــشــبّــان» تــعــرفْ فــضــلَهُ

فــلــفــضــلـه إضــمــارُهــا إبــداء

والــزَّهــرُ لا تــخــفى حــقــيــقــة طــبــعِهِ

مـــا مَـــرَّ بـــالآنـــاف مـــنه شَـــذاء

---

(١) الحجا: العقل.

في كل أسـبـوعٍ تُـعـيـد رنـيـنـهـا
بـالخـيـر من ذاك الـصّـدى أصـداء
إني لأصـغي نـحـوهـا فـيـزيـدُني
مِـقَـةً (لـطه) ذلك الإصـغـاء[1]
ولحـسـبُـنـا مـنه نـصـائـحُهُ الـتي
لـلـخـيـر مـنـهـا في الـنـفـوس نماء
لـكن «طه» مـا أكـتـفى حـتى انـثـنى
ولـعُـرفهِ مع نـصـحهِ إسـداء
مـنه تـداركـني ومن إخـوانه
في الـفـضل سـعيٌ نـافع وحِـبـاء[2]
حـين المـمِضُّ من الخـصـاصـة أحـدقتْ
بي مـنه – أو قـد كـادت – الأسـواء[3]
فـلـهم عـلى مـعـروفـهم شـكـري وهل
لـلـعُـرف من شُـكـر الـشَّـكور كِـفـاء
كَلاَّ ولـكن من حـقـوق جـمـيـلـهم
أن لا يـكـون لـشـكـرهم إلـغـاء
فـلـذا سـأبـقى شـاكـرًا مـا لم يَـعُقْ
بـالـصـمت جـائلَ مِـقْـوَلي الأرداء

****

(١) المقة: الحب.
(٢) الحباء: العطاء.
(٣) الخصاصة: الفقر وسوء الحال.

دموع على عبدالله الخلف الدحيان(1)

مــا بــعــد فــقــدكَ لــلــكــويت عــزاءُ
أَنَّى وأنت بــجــســمــهــا الحــوبــاءُ(2)
مــا مِتَّ أنت وإن حــوتك حــفــيــرةٌ
لــفــظــتك فــيــهــا الآلــةُ الحــدبــاء
كلاّ ولــكن الــكــويت هــي الــتي
مــاتت ومــاتت ضــمــنــهــا الأحــيــاء
مــا كــان مــوتك غــيــر سُــلَّمِ جــنــةٍ
فــيــهــا تــدوم لمــثــلك الــنــعــمــاء
عَــجِــلَتْ فــمــدَّتْهُ لــيــفــضِيَ مــســرعًــا
بك نــحــوهــا من ربك الآلاء
أصــبــحت لــلــفــردوس عــنــا راحلاً
عــجلان مــذ مــنــهــا أتــاك نــداء
فــغــدا رحــيــلك لــلــكــويت وأهــلــهــا
مــوتًــا زؤامًــا مــا به إبــقــاء
كــنتَ الــقِــوام المــعــنــويَّ لمــوطنٍ
فــدحت عــلــيــه بــبــيــنك الأرزاء(3)
إن فــزت بــالمحــيــا المــؤبــد بــعــده
فــالــبُــعــدُ مــنك أتــاه وهــو فــنــاء

(1) كان المرحوم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان من أخلص أصدقاء الشاعر وصادف أنه هطلت أمطار غزيرة يوم وفاة الشيخ عبدالله. وقد قيلت هذه القصيدة بعد مرور أربعين يومًا على الوفاة.
(2) الحوباء: النفس.

وإقـامــة الـعـلــمـاء مــحـيــا شــعــبــهم
وحِـــمـــامُـه أن تـــرحل الـــعـــلـــمـــاء
فـــإذا عن الأقـــوام من عـــلـــمـــائـــهم
غـــربت بـــجـــنّـــات الخـــلـــود ذُكـــاء[1]
فــــأبــــسط إلى الأقــــوام كفً مــــودِّعٍ
فـــلـــقـــد تـــنـــبَّه فـــيـــهم الإرداء
غـــادرت أمـــواه الـــعـــيـــون جـــواريـــا
أســـفًـــا عـــلـــيك تُـــمِـــدُّهُنَّ دِمـــاء
فـــاعـــجب لأمـــواتٍ أســـالَ دمـــوعَـــهم
حـيٌّ أتـــــــــاه مـن الإلـه دعـــــــــاء
ولــقـد بــكــتك وقـد أحـسَّت قـبـلــنـا
مـــنك الـــفـــراقَ الـــديمـــةُ الـــوطــفـــاء
قــد غــاض مــاء جــفــونــهــا حــتى إذا
أزف الـــتـــرَحُّلُ مـــنك فـــاض المـــاء
أحـــشـــاؤهـــا ذابت بـــنـــار تـــنـــهُّـدٍ
تُـــدعى الـــبـــروقَ فـــســـالت الأحـــشـــاء
حـتى لَــخِـفْـنـا أن يَـعُـمَّ بـسـيـلـهـا
دُورَ الـــكـــويت الـــهـــدمُ والإبلاء
وغـدا يـرى الـغـيث الـذي هـو رحـمـةٌ
كلٌّ من الـــســـكـــان وهـــو بَلاء
وكـذا لـفـرط مـزيـدهـا أو نـقـصـهـا
عن حـــالـــهـــا تـــتـــحـــول الأشـــيـــاء
لـبـثت تـنـوح وتـكـتم الـسـر الـذي
نـــاحت له من فـــوقـــنـــا الأنـــواء

(١) ذكاء: اسم الشمس.

حـتى رحـلتَ فـعـاد سِـرٌّ نـواحـهـا
يـوم الـرحـيل ومـا عـلـيه خـفـاء
فـثـنى رحـيـلُكَ كل مـقـلـة مـسـلمٍ
بـالـدمع وهي سـحـابـة غـرّاء
حـتى انـثـنت طـوع الـشـجـون عـيـونـنـا
هي والـسـحـائب في الـبـكـاء سـواء
إن كـان وصـفي أمس عـنـدك شـاعـرًا
فـالـيـوم وصـفي الـنـائح الـبَـكّـاء
أو كـنتُ قـبل نَـواك بُـلْـبُلَ مـعـشـرٍ
فـيـهم قـريـضي سـار وهـو غِـنـاء
فـالـبـعـد مـنك أعـادني بـنـيـاحـتي
وأنـا حـمـامـة أيـكـةٍ ورقـاء
لـو كـان شـعـبي بـالـتـنـاسخ مـؤمـنًا
يـا (صـخـر) أيـقن أنـني (الخـنـسـاء)[1]
مـا عن أبي خـلفٍ لـنـفـسي سـلـوةٌ
مـا لم يـتح لي من عُـلاهُ لـقـاء
مـا زلت أخـشى من صـروف مـنـيَّـتي
أيـامَ أدنـو مـنك حـين أشـاء
والـيـوم قـد أصـبـحتُ أسـتـشـفي الـردى
والمـوت في بـعض الـظـروف شِـفـاء
إن كـان داء الخِلِّ نـهـجُ لحـاقه
بـالخل فـالـداء المـمـيت دواء
شـقـيت بك الـغـبـراء يـوم هـجـرتـهـا
ولـطـالمـا سـعـدت بك الـغـبـراء

---

(١) الخنساء الشاعرة الصحابية المشهورة كانت دائمة البكاء على أخيها صخر.

جَـنَّتْ عـلـيـهـا بَـعـد بُـعـدك لـيـلـةٌ
مُـــرْبَـــدَّةٌ أرجـــاؤهـــا لـــيلاء[1]

ضَـلَّت بـحِـنـدِسِـهـا سـبـيلَ عـزائـهـا
إن كـان بَـعـدك لـلـعـزاء بـقـاء[2]

لـمـا نـعَـوْكَ إليَّ أحـيـا قـولُـهم
فيَّ الـشـجـون فـمـاتت الأعـضـاء

وإذا بـرُحْبِ الأرض دائـرةٌ عـلى
جـسـدي تـضـم إطـارَهـا الآسـاء

فـسـجـدتُ فـوق الـتـرب لا لـتـعـبُّـدٍ
لـكن لأمـرٍ شـاءهُ الإغـمـاء

فـلـبـثتُ في الإغـمـاء بـضعَ دقـائقٍ
فـيـهن من حـسـي أسـتـتَبَّ جَـفـاء

ثم انـتـبـهتُ بـحـالـةٍ مـرهـوبـةٍ
مـنـهـا غـدت تـرثي ليَ الأعـداء

مـتـمـنـيًـا أن لم أُفِقْ من صـعـقـةٍ
مـرت وزعـزعـهـا عـليَّ رخـاء[3]

نـبـأٌ أمـات الـصـبـر إذ أحـيـا الأسى
فـاعـجب لـموتٍ طـيَّهُ إحـيـاء

فـكـأنه دمعُ الـغـمـائمِ إذ أتتْ
ولـهـا عـلـيك تـلـهُّفٌ وبـكـاء

شـق الـثـرى عن كل روضٍ مـيتٍ
مـنه بـجـوف الـتـرب طـال ثـواء

---

(١) جنَّت: أظلمت. مربدة: مظلمة.
(٢) الحندس: الظلمة.
(٣) ريح زعزع: شديدة. وريح رخاء: لينة.

وثــنى المــبــانيَ وهي صــرعى لم تــكــد

من جُــلِّــهـــا تــتــمـــاسك الأجـــزاء

حــتى كــأن قُــوى مَــشـيــدِ بـنــائـنــا

ســأمُ عـــراهـــا مـــنه أو بـــغـــضــاء

فــتــجــرَّدت مــنه لــسـكــنى غــيــره

فـــإذا الـــنـــبـــات يـــدبُّ فـــيه ذَمــاء[1]

فـــأتـــته آويـــةً إلـــيه فـــانـــثـــنى

نــشَــأٌ بــسـكــنــاهــا له ونَــمــاء[2]

فــالــنـبت يــعــلــو والمـبــاني تــنــحــني

بِـــنَـــواكَ فـــهي الخـــفضُ والإعلاء

فــمن المــبــاني في الــبلاء شــكــيَّــةٌ

ومن المــنــابتِ في الــنــمــاء ثــنــاء

فــهـمــا لــفـقـدك يــنـظِـمـان مـراثـيًـا

فـالـشـكـو يـصـحـبه الـثـنـاء رثـاء

مــا إن رأيــنــا قــبل فــقـدك عــالــمًــا

تـــرثـــيه قط مـــنـــابتٌ وبِـــنـــاء

وإذا غـــدت تــرثي المــنــابتُ والــبُــنى

عــادت كــأخــرسٍ مــا تــرى الــشُّــعَـراء

وإذا عـــيـــيتُ عن الـــرثـــاء ولم تـــكن

بـــالـــعِيِّ تَـــعـــرفُ مـــقـــولي اللأواء[3]

فــكــذا غــريب الــفــضل يــأتي نــأيُهُ

وبه لـــكل غـــريـــبـــةٍ إدنـــاء

(١) الذماء: الحركة وبقية النفس.

(٢) النشأ: الصغير الذي ينشأ.

(٣) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

إيهٍ أعبد الله قل لي هل أتت
عنا تصافح سمعَك الأنباء[1]

فعلمتَ أني من نَواكَ بحالةٍ
من مثلها تتمثَّل الأسواء

ما بين أحزانٍ إذا أخفيْتها
أضحى لنا بدموعنا إبداء

تبدو وتَخفى بالدموع وبالأسى
هذا لنا سترٌ وتلك جلاء

فكأننا سفُنٌ لنا من حالنا
موجٌ مضت بسكونه نكباء[2]

جزع تمشَّى موغلاً بنفوسنا
وبها تمهِّدُ سُبْلَها البُرَحاء[3]

حتى غدا ولَهُ على أعماقها
بوطائها وغطائها استيلاء

مهما أرادت كَبْتَهُ أو طَردَهُ
عَنَّ الأسى وأعانهنّ حجاء

غضِبَ الوفاء عليهما مستبقيًا
جزعًا له بصوابنا إلواء[4]

إن كان حظك من نواك سعادةٌ
فنصيب قومك من نَواكَ شقاء

فاهنأ أبا خلف بمنزلك الذي
أبدًا يُجَلِّلُ جانبيه صفاء

(١) إيه: كلمة استزادة واستنطاق أي زدني وأخبرني.
(٢) النكباء: كل ريح انحرفت ووقعت بين ريحين وهي تهلك المال وتحبس القطر.
(٣) البرحاء: الشدة والمشقة. وخص بها بعضهم شدة الحمَّى.
(٤) ألوى بالشيء إلواء: ذهب به.

فــهــنـــاك لا حـــســـدٌ ولا حـــقـــدٌ ولا
مـــكـــرٌ ولا غـــدرٌ ولا شـــحـــنـــاء
وهـــــنـــــاك لا كـــــذبٌ ولا غشٌّ ولا
زورٌ ولا كِـــــبْـــــرٌ ولا خُـــــيَلاء
وهـــنـــاك لا شُحٌّ ولا ذو نـــعـــمـــةٍ
عـنـهـا تُـذاد بـجـوعـهـا الـبـؤساء
وهـــنـــاك لا تـــلـــقى ودادًا صَـــحـــبُهُ
يـــتـــلـــونـــون فـــكـــلـــهم حِـــربـــاء
وهـــنـــاك لا كـــيـــدٌ ولا ذو حـــيـــلـــةٍ
بـشـبـاكـهـا بُـلْهُ الـورى أُسَـراء[1]
وهـــنـــاك لا جـــبنٌ ولا ذو صـــولـــةٍ
وجَـلاً تُـــحـــــابي رأيَـهُ الآراء
وهـــنـــاك لا ظـــلمٌ ولا ذو قـــوَّةٍ
مـنه تـخـاف الـسـطوة الـضُّـعـفـاء
وهـــنـــاك لا طـــمعٌ ولا ذو ثـــروةٍ
تـعـنـو لـوجه ثـرائه الـبُـسَـطـاء
وهـنـاك لا أغـراضَ تـمـنعُ أهـلَـهـا
أن يـــنـــصـــروا حـــقًّـــا ولا أهـــواء
وهـنـاك لا نـسبٌ به يـعـلـو الـفـتى
إن خـــانــه حـــســب ولا أزيـــاء
وهـنـاك لا اسـتـهـزاء يـنـسـج ثـوبَهُ
إلمـــامُ حـــادثـــةٍ ولا إزراء
وهـــنـــاك لا بـــؤسٌ تـــثـــيـــر ريـــاحُهُ
تُـهَـمًّـا عـلى الـعـافي ولا ضَـرّاء[2]

(١) البُله: جمع الأبله، وهو الذي لا عقل له.
(٢) العافي: طالب المعروف.

وهناك لا حشرات في صور الورى
منهن يؤذى منطقٌ ورواء[1]
وهناك لا تقضي الخيانةُ أن ترى
ذممًا تداس كأنهن حذاء
وهناك لا ملَقٌ ولا مذَقٌ ولا
أشَرٌ ولا بطَرٌ ولا فحشاء[2]
تلك التي قد كنتَ تمقتُها ومن
مرأى ذويها في الأنام تُساء
أصبحت تأمن أن تراها مرةً
أخرى فمنهن الخلودُ خلاء
ما ثم من كدَرٍ ولا عكَرٍ ولا
عيشٍ تمرُّ بصفوه الأقذاء[3]
فاهدأ وطب نفسًا فقد نلت التي
فيها يحفُّ الساكنين هناء
مضت الليالي الأربعون وكلها
منها الدقيقة حِجَّةٌ شهباء[4]
طالت فما ندري أضلَّتْ قصدَها
فغدت تدور كأنها أرحاء
أم أنها افتقدت عُلاك فعاقها
عن سيرها في بحثها استقصاء
أم أنها علمت ببينك فاعترى
أعضاءها من حزنها استرخاء

✡✡✡✡✡

(١) الرواء: المنظر الحسن.
(٢) المذق: عدم الإخلاص وهو المداهنة. والأشر: البطر أو أشد البطر.
(٣) ثم: هناك. والأقذاء جمع قذى وهو ما يرعى به.
(٤) الحجة: السنة.

يــا من عــلـى جــزعي أتــاني لائــمًــا
إن شـــئت بي أن تجـــديَ الـــلَّـــوْمــاء
فَــمُــرِ الــشـجــونَ يـدَعْنَ قــلـبي إن يـكن
مــنــهــا إلى قـــول امـــرئٍ إصـــغـــاء
فــلــقــد غــدا مــا بــيــنــهــا وكــأنه
كُــرَةٌ تــنــاوب قــذفَــهــا الــلُّــعَــبــاء
أو لا فــدعــني جــازعًــا مــتــلــهــفًــا
واذهـب فـــمـــا لِـــلَّـــوْمِ بي إجـــداء
فــلــقــلَّــمــا انــتــفــعت بـكــحلٍ - ذَرُّهُ
فــيــهــا الــطــبــيب - المقــلــةُ الــعــمــيــاء
يــا من إلى الجــنــات ســارع إنــنــا
مــذ ســرتَ في نــار الأسى حَــلْــفــاء
أغــرَتْ بــنــا نــارَ الأسى مــنك الــنــوى
فــلــهــا بــنــا طَــوْعَ الــنــوى إيــراء[1]
خُــطَــبًــا وأشــعــارًا يَــخــال كلامَــنــا
في مـــثل هـــذي الحـــفـــلـــة الجُـــهَلاء
وكلامــنــا هــذا لــعــمــرُ فــقــيــدنــا
من حــرِّ نــار شــجــونــنــا ضــوضــاء
يــا من بمــنــآه الــتــظَتْ أشــجــانُــنــا
أيــتــاح يــومًــا مّــا لــهــا إطــفــاء
أم هــكــذا نــبــقى فــتــبــقى تــشــتــكي
لــفــحــاتِــهــا الــشــعــراء والخــطــبــاء
إني عـــهـــدتك لا تجيءُ بـــغـــيـــر مـــا
مـــنه لمـــثـــلي في الـــورى سَـــرّاء

(١) أورت إيراء: اتقدت.

فعلام جئتَ من الرحيل بما به
عَمَّ القلوبَ من الغليل عَفاء

ماذا أرابَك والقلوبُ جميعُها
لودادك المحضِ الصريحِ وعاء

فرميتَ عن قوس الفراق صميمَها
بسهام حزن شأنها الإصماء

ما كنت أحسب أن تَحُول لحادثٍ
فتحُولُ منك الغادةُ الحسناء

هذي الكويت بمن بها قد أصبحت
نشوى تميد وما بها الصهباء[1]

عكست بنا العادَ الجميلَ يَدُ النوى
فمن الدواء بها أتانا الداء[2]

لو لم تُنِرْ شمسُ الضحى سُبُلَ الورى
لم تُشْكِهِمْ بأفولها الظلماء[3]

لو لم تَكُ الدأماء محيا حُوتِها
ما ضارَهُ أن تنضُبَ الدأماء[4]

فاذهبْ عليك تحيةٌ من راحلٍ
بكَتِ الكويتُ رحيلَه جمعاء

فبَكاك مُصلِحُها ابنُ عيسى عالمًا
أن البكاء على عُلاك وفاء[5]

وبكاك مَبْكى يوسفٍ أهلُ النهى
فغدت تعيد صداهم الدهماء

---

(١) الصهباء: الخمر.
(٢) العاد: جمع العادة.
(٣) لم تشكهم: لم تزل شكواهم ولم تعتبهم.
(٤) الدأماء: البحر.
(٥) ابن عيسى يريد به الشيخ يوسف بن عيسى القناعي.

فـــالــقــوم عن تــقــلــيــدهم أو عــلــمِــهِمْ
ممـــــا بـه يــــبـــكــــون حُلَّ وكــــاء[1]
فـــالـــدمعُ تــنــثــر نــظــمَهُ أجــفــانُــهم
والــشــعــرُ تــنــظم نــثــرَهُ الــفــصــحــاء
فــكـــأنك اســتــودعتَ ألــســنــةَ الــورى
وعـــــيــــونَــــهم دُرّاً فـــــحــــــان أداء

****

(١) الوكاء: كل سير أو خيط يشدّ به فم السقاء أو الوعاء.

الحر من يأبى الهوان

أتحب أن تــــلـــقى الإهــــانــــة مَــــرّةً
أخــرى كـمـا حِـقْـدُ المـديـر يـشـاءُ
لا خــــيــــر في رزقٍ تُـــصـــادف دونه
مـــا لا تـــطــيق من الأذى وتُــســـاء
حــتى الحــيـــاة إذا خـلت من عِـــزّةٍ
داءٌ لمـــثــــلك والحِـــمــــام دواء
مـــا الحُـــرُّ إلا من تـــأبَّتْ نــفــسُه
سَـــوْمَ الـــهــوان فـــهل لـــديك إبــاء
ولأعْـــذَرُ الـــعـــقلاءِ يـــوســـفـــهمْ إذا
وافـــاهُ عـــذرك والـــتـــرَدُّدُ داء(١)
أتـخـاف غـيـر قـبـول عـذرك إن قـضى
بـــقـــبـــوله مـــنه عـــلـــيه حِــجــاء
أيـــرد عـــذرك عـــاتـــبًـــا أو لائـــمًـــا
وكـــمـــا عـــلـــمتَ تُـــقـــاه والآراء

****

(١) يوسف بن عيسى القناعي.

إلى الزعيم عبدالعزيز الثعالبي(١)

أكـــذا يـــكـــون تـــواضـعُ الـــكُـــبَـــراءِ
وتــلــطُّفُ الــعــلــمــاء بــالــشــعــراءِ
كلاَّ ولـــكنّ الـــتـــواضـعَ شـــيـــمـــةٌ
لـــزعـــيم تـــونس نُـــدْرَةِ الـــزعـــمـــاء
وافـيتَ بـالـتـبـريك في الـعـيـد امْـرَءًا
خـلعَ الـقـضـاءُعـلـيه ثـوبَ شـقـاء
فـــأريـــتَه وَجْهَ الـــسُّـــرورِ وطـــالمـــا
سَـــتَـــرَتْهُ عـــنه ســـواتـــرُ اللأواء(٢)
أنَّى يـــرى وجهَ الـــمَـــسَـــرَّةِ بـــارزًا
من لم يـــزل من أبـــأسِ الـــبـــؤســـاء(٣)
يـــشـــكـــو طـــواه مـــعـــلـــنًـــا لـــكن إلى
أُذُنٍ - عن الـشـاكي الـطَّـوى - صَـمّـاء(٤)
قـلبُ الـكـويت من الـشـراسـة مـفـعَمٌ
لـــكن عـــلى مـــثـــلي من الأدبـــاء
الـنـاصـحـين المخـلـصـين بـنـصـحـهمْ
الـنـابـذين خـداعَـهـا الـصُّـرَحـاء

---

(١) قيلت في صفر سنة ١٣٤٧ عندما زار الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي ورأى من تواضعه ما أعجبه.

(٢) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٣) أنى يرى: كيف يرى.

(٤) الطوى: الجوع.

كم أرسِلُ الصيحاتِ فيها منذرًا
من قسوةٍ طالت على النُّصَحاء
فتعيرُ سَمعَيْها صياحي عَلَّها
تُلفي بذاك مبررًا إقصائي
أما الألى اتخذوا الدِّهانَ شعارَهمْ
فيها فما زالوا من السُّعَداء[1]
تحنو حُنُوَّ الأمَّهات عليهمْ
وهُمُ إليها طُرْقُ كلِّ بَلاء
وترى تقدُّمَها – وهذا شأنها
مع أهلها – من ممكن الأشياء
فأظلُّ فيها ضاحكًا من رأيها
ضحكًا يقطِّعُه مريرُ بكائي
قد عَزَّني فيها البلاغُ لأنني
ما شِبْتُ إخلاصي لها برِياء[2]
من لي بها بلدًا إذا استَوْطَنْتُهُ
أحرزتُ فيه مُسْكَةَ الحَوْباء[3]
ما الرأيُ يا «عبدالعزيز» ففاقتي
في ليلها عني اختفت آرائي
أرني طريقًا للتخلُّص مفضيًا
من حالةٍ في موطني نكراء
ماذا ترى غيرَ الرَّحيلِ فقد أبى
هذا عليَّ ثقيلُ قيدِ عَمائي

(١) الدهان: بمعنى المداهنة وقد ورد داهنني مداهنة وهي اظهار خلاف ما يضمر، هذا ومصدر فاعل الفعال والمفاعلة.
(٢) عزني: غلبني وقهرني.
(٣) المسكة: ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب. والحوباء: النفس.

كن لي بــرأيك مــنــقــذًا فــالــرأيُ قــد
يـكـفي لـتـخـلـيصٍ من الـبُـرَحـاء[1]
أو لا فـــســلِّ وعَـــزِّ مـــنـي أرملاً
فـجـعَـتْهُ شِـقـوتُهُ بـكلِّ عـزاء
فـلـقـد تـكـونُ الـتـعـزيـاتُ مـريـحـةً
من لم يـجـدْ في الـعـيش غـيـرَ عـنـاء
لا سـيَّـمـا وزعـيـمُ تـونسَ نـاظمٌ
مـنـهـا الـنـثـيـرَ بـحـكـمـةٍ ودهـاء

****

(١) البرحاء: الشدة والمشقة او شدة الحمى.

العلم أصل الخير

الجــهلُ داءُ الـــشّــعــرِ عــنــدي وحــده
والـــــعِــــــلم فـي رأيـي أجـلُّ دوائِـهِ
فـــالـــشـــعب من مـــالٍ وعـــقلٍ لم يـــكن
خـــــلـــــواً ولا مـن حــــزمِـهِ وذكــــائـه
لـــكن من الـــعـــلم الـــذي هـــو نـــوره
في سُـــبْلِ مَـــحْــيــاهُ إلى عـــلـــيــائه
وإذا الــبــصــيــر عــداه نــورٌ في الــدجى
حــاكى الـبـصـيـرُ الـعُـمْيَ في ظـلـمـائه
فــأهِبْ بــشـــعــبك لــلــعــلـــوم فــإنه
يــحــظى عــلى مــا أرتــئي بــشــفــائه
الـــشـــعبُ عِـــلَّـــتُهُ افــتــراقٌ مــهــلكٌ
والإتحـــــاد لــــديَّ خــــيــــرُ دوائه
لــكن إذا بَـــنَتِ الـــوئـــامَ يَـــدُ الحِــجــا
وبــنى الحــجــاءُ الــعِــلمَ من عــلــمــائه
فــالــعــلم عــنــد الــلُّبِّ يــزكــو والــنــهى
كلُّ اتحـــــادٍ راق من إنـــــشـــــائه(١)
فــالــعــلم أصلُ الخــيــر في أصــحــابه
والجـــهل أصل الـــشـــر في أُسَـــرائِه

****

(١) النهى: العقول، جمع نهية.

ألجؤوني إلى نظمه دفاعاً لا هجوماً

لــيــأمَنْ لَــذْعَ هــجــوي كلُّ قــاصٍ
ودانٍ في الــورى مــهــمــا أســاءَ
فــإنــي قــد رأيت أحقَّ شيءٍ
بــإلــغــاءٍ من الــشــعــر الــهــجــاء
لــعــقــلي راضَ طــبــعي الــشــيبُ حــتى
إلــى إذعــانــه رَدَّ الإبــاء
فــطــبــعي طــوع عــقــلي مــنــذ أبْــدَتْ
بــظــهــري بــســطــةُ الــعــمــر انــحــنــاء
وشــيــبُكَ نــعــمــةٌ إن فــيه لــبّى
لــعــقــلك جــامحُ الــطــبع الــنــداء
فــمــنــذ كــبــرتُ داعي الــهــجــو ألــفى
ســراع قــصــائــدي عــنه بــطــاء
وكــان الــعــقل يــنــهى عــنه قــبلاً
ولــيس يــرى من الــطــبع انــتــهــاء
فــهل قَــوّى المــشــيبُ الــعــقل أم هل
به لــبــست قُــوى الــطــبعِ انــحــنــاء

*****

وأمــا مــا نــطــقت به قــديمًــا
لأجــزي من تــمــنّى لي الــشــقــاء

فــمــــنه أمَتُّ مـــا مَــحـــيـــاهُ يُـــثــنـي
من المـــهــجــوِّ لــلــكــدر الــصَّــفــاء
فـــأبـــقـــيت الـــذي لا بـــأس فـــيه
عــلـــيه حَــسْبَ مـــاليَ قـــد تـــراءى
وإن يـــوجع فـــإيـــجـــاعٌ خـــفـــيفٌ
كــمـــا اســتـــذكـــرتَ بـــعـــد الـــبُـــرء داء
وإتلاف الجـــمـــيع عـــلى أشـــهى
فـــلـــيت جــمـــيـــعَه ولَّى جُــفــاء[1]
فــــلـــــست أحب ذكــــراه ولــــكن
ســوى مـــا شـــئـــتُه الـــتــاريخ شـــاء
ولـم أنـــظِـــمْهَ حـــتى الجـــؤوني
إلى نــظـــمـــيهِ ظـــلـــمًـــا واعـــتـــداء
وسُـــقم المـــرء يُـــلـــزِمه أنـــيـــنًـــا
عــلى حـــسب الـــتـــأذّي واشـــتـــكـــاء
وقـــد يـــهـــذي المـــريض وأيُّ حُـــرٍّ
تـــراه مـــنـــكـــرًا مـــنه الـــهُـــذاء
أســـاءوا في مـــعـــامـــلـــتي إلى أن
عـــصـــيت به ضـــمـــيـــري والحـــجـــاء
ولم أنـــطـــقه مـــفـــتـــريًـــا ولـــكن
هُـــمـــا كَـــرِهـــاهُ صـــدقًـــا وافـــتـــراء
ولم أفـــحش عـــلى أحـــدٍ بـــهـــجـــوي
ولـــو أدنت يـــداه لي الـــثـــواء[2]
فـــهُـــجْـــرُ الـــقـــول يـــنـــكـــره ويـــولي
إلـــيه الـــهَـــجْـــرَ طـــبـــعي والـــصـــفـــاء

(١) جفاء: السيل ما يقذفه من الزبد والوسخ ونحوهما.
(٢) الثواء: طول الإقامة ويريد به هنا الموت.

أيــنــسج مــنــطــقي مــنه غــشــاءً
لمــــــهـــــجـــــوٍّ الأعــــادي أو رداء
ونـــفـــسي مـــنه تـــألَمُ مـــا أحـــسّت
لأيـــســـره إلى ســـمـــعي ارتـــقـــاء
ولم تُـــولِ الـــتـــفـــاتَـــتَـــهـــا احـــتـــقـــارًا
فـــتًى يـــهـــذي بـــفـــحشٍ وازدراء
أأنـــطُقُ مـــا أضـــيق بـــنـــاطـــقـــيه
كـــمن جـــمع الجـــهـــالـــة والـــغـــبـــاء
يـــعـــدُّ سَـــمـــاعَه ســـمـــعي بـــغـــيـــضًـــا
لمـــا يـــلـــقى إذا ســـمع الـــغـــنـــاء
فـــلـــو خـــيِّـــرتُ في صـــمـــمي وفـــيه
رأيت عـــلـــيه لـــلـــصـــمم اصـــطـــفـــاء
فـــشـــعـــري مـــنـــذ قـــلتُ الـــشـــعـــر طـــفلاً
بـــريـــئًـــا كـــان من فـــحـــشي خلاء
ويـــوجع من هـــجـــوت عـــلى اجـــتـــنـــابي
به الإفـــحـــاش صـــونًـــا واعـــتلاء
ولم أصـــدِمْ به يـــومًـــا ســـوى من
أبَـــوْا إلا مـــصـــادمـــتي الـــتـــواء
دفـــاعًـــا لا هـــجـــومًـــا كـــان كي مـــا
أعـــيـــدُ به الـــتـــواءهُمُ اســـتـــواء
أبت لي غـــيـــر قـــول الـــهـــجـــو فـــيـــهـــا
أنـــاسٌ أوســـعـــوا نـــفـــسي عـــنـــاء
ومن تُـــحـــرِجْهُ تُـــخـــرِجْهُ ولـــو لم
يَـــرُقْهُ أن يـــنـــاصـــبَك الـــعَـــداء
لـــزمت رجـــاء كفِّ الـــشـــرِّ حـــتى
ثَـــنَـــوْا مـــني إلى الـــيـــأس الـــرجـــاء

فـلـيت الـكلَّ مـنـهم من مُـثـيـري
عـلـيه من مـسـاعـيه ثـنـاء
فـكـان الـكل مـنـا مـسـتـريـحًـا
مـدى المحـيـا خـتـامًـا وابـتـداء
بلاءُ حـيـاتـنـا يـكـفي فـمـا لي
أرى المـؤذيـن زادوهـا بـلاء
صـوابُ الـرأي في أن لا يـضـيـفـوا
لـنـار بلائـهـا إلا انـطـفـاء
وقـد خـفِيَ الـصـواب عـلى نُـهـاهم
فـبَـرِّحْ عـنه يـا ربي الخـفـاء
وصـيِّـرْ عـفـوك المـرجـوَّ عـنـهم
عـلى مـاضي أذيَّـتـهم جَـزاء
فـأكـرهُ مـا كـرهتُ عـذاب غـيـري
لأجـلي مـا أتى ضـدي وجـاء

✡✡✡✡✡

عـجـبتُ لـعـاشقٍ تـنـغـيصَ عـيـشي
ولـم أعـشق له إلا الـهـنـاء
فـكـم رجلٍ – ولـم أذنب – أرتـني
مـسـاعِـيهِ مـسـاءاتي ولاء
كـأنـهمُ رأوا في مُـسـخِـطـاتي
إذا كـثُـرَتْ لأنـفـسـهم رضـاء
وأعـرف سِـرَّ مـا يـأتـيه مـؤذٍ
فـيـأبى عـنـصـري عـنه انـتـمـاء
فـخُـلفُ الـعـنـصـرين الـيـوم داءٌ
تـخـيب إذا طـلـبت له دواء

وأجـــهلُ سِـــرَّ مـــقتٍ، عـــنه كـــانت
أذاة لا أطـــيق لـــــهـــا لـــــقـــاء

رمت عن قــوســـهـــا قــلـــبي بـــنـــبلٍ
جــروح شــبـيــهــهــا تــأبى الــشــفــاء

مــســـاعي مـــعـــشـــرٍ والـــكل مـــنـــا
بـــنـــســـبـــتـه إلى قـــحـــطـــان فـــاء

وأقـــــتَلُ من رمـــــاك أخٌ تـــــمـــــنّى
له أنت الـــســـعـــادة والـــبـــقـــاء

فـــــلم أر كــــالأذيـــــة من قـــــريبٍ
رعـــــيت له قـــــرابـــــته وفـــــاء

فـــمـــزدوجٌ بـــقـــلـــبي كل جـــرحٍ
به من يـــــعـــــربيٍّ الأصل بـــــاء

لأن الـــــســــــهم مــــنه إليَّ فــــيه
له شِـــرْكٌ فـــيـــقـــتـــلـــنـــا ســـواء

فــــإن أبـــكى أذاه عـــليَّ عـــيـــني
رأيت لـــهـــا عـــلـــيه مـــعي بـــكـــاء

****

الكويت وبغداد[1]

حَسدت بك الزوراءَ غيرَ ملومةٍ
أرضٌ بثثت العلمَ في أبنائها[2]
عجِّلْ مآبك للكويت مبادرًا
أن يفتكَ التحسيدُ في أحشائها
حسدت وقد علمت بأنك زائرٌ
دارَ السلام اليوم من جَرّائها
وتحاسُدُ البلدان داءٌ معضلٌ
مذ كانت الدنيا على علمائها
يا من به ارْتَقَتِ الكويتُ إلى العلا
حتّامَ أنت تكدُّ في إعلائها
استبق مهجتك الكريمة إننا
في حاجة كبرى إلى استبقائها
إن كنت تكدح للمعالي فاتَّئِدْ
فلقد سكنت اليوم في حوبائها[3]
أبرزت تاريخ الكويت يميس في
حلل الصراحة حاليًا بحلائها
لم تخش لومة لائميك مصرِّحًا
فظفرت من أحرارها بثنائها
أبديت كل حقيقةٍ فيه كما
كانت وما دَلَّستَ في إبدائها

(١) سافر المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى العراق في زيارة له واطلع الشاعر على نموذج من الجزء الأول من كتاب تاريخ الكويت فأرسل هذه القصيدة إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد ببغداد.
(٢) الزوراء: اسم لعدة أماكن، وهنا يراد بها بغداد.

فـاثْـبُتْ عـلى نـشـر الحـقـائق عـالمًـا

أنّ الحــقـــائقَ أنت من أُمَـــنـــائـــهـــا

✡✡✡✡✡

أمـــا نَـــواكَ فـــأشـــعـــلت في أضــــلـــعي

نـــارًا إلـــيك الـــرأيُ في إطـــفـــائـــهـــا

أشْـــوَتْ نجـــيثَ الـــبـــينِ أســـهمُ ســلـــوةٍ

لـــولا نَـــواكَ عـــجـــبتُ من إشـــوائـــهـــا[١]

مــذ أســـهمُ الجَـــزَعِ الـمـــيـــتـــاتُ انـــثـنت

مــفـــتـــرَّةً بـــحـــشـــاي من إصـــمـــائـــهـــا

إحـــيـــاءُ نـــفـــسي عن لـــقـــائك نـــاشيءٌ

قل لي أتـــســلـــو الـــنـفسُ عن إحـــيـــائـــهـــا

تُـــصـــبي الـــيك الـــنـــفسَ فـــيك خلائقٌ

لم تـــنجُ حـــتى الـــعـــميُ من إصـــبـــائـــهـــا

فـالـشـمس تـسـبح في الـسـمـاء مضـيـئـةً

رأد الـــضـــحى بـــالـــتمِّ من أضـــوائـــهـــا[٢]

كلاّ ولا تـــصـــفـــو قـــريـــحـــةُ شـــاعـــرٍ

هَبْ أنه «حـــســـانُ» مـــثل صـــفـــائـــهـــا[٣]

عِشْ وابْقَ مـــحـــمـــود الخلائق آمـــنًـــا

أن تـــنـــثُـــرَ الأيـــامُ نـــظمَ بـــهـــائـــهـــا[٤]

✱✱✱✱

---

(١) الشوى: اليدان والرجلان وجماعة الأطراف مما ليس بمقتل، ورماه فأشواه، إشواء: أصاب شواه ولم يصب مقتله. والنجيث: الأمر والسر.

(٢) رأد الضحى: رونق الضحى أو ارتفاعه حين يعلو النهار.

(٣) حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ الكويت روي عجز البيت هكذا: هبه أبا تمام مثل صفائها.

(٤) نشر الرشيد هذه القصيدة ناقصة البيت الأخير.. ولكنه وضع مكانه كلمة الخ.. الخ.. الخ.. ثلاث مرات مما يدل على أن للقصيدة بقية لم يثبتها ولم تأت في الديوان.

دنيانا سراب

يَـجِـدُّ خـصـامُـهم فـيـهـا سَـفـاهًـا
وتـسـمـع كـالـذئـاب لـهم عُـواءَ
ومـا أنـفـكَّت لـيـالـيـهم تـريـهم
مـكـارهَ صُـنـعِـهـا بـهمُ ولاء
فـمـا جـفَّت جـفـون الحيِّ مـنـهم
عـلى مـوتى أحـبَّـتِه بـكـاء
ويـنـسى أنه لا بُـدَّ مـاضٍ
عـلى الآثـار صـبـحًـا أو مـسـاء
فـتـلـقى صُـنـعَه فـيـهـا نـهـارًا
ولـيلاً صـنـعَ من أمِنَ الـفـنـاء
يـواصل لـلـتـكـثُّـر من جَـنـاهـا
تَـوارُثَ من نـوى فـيـهـا الـثّـواء
فـيـنـعـكس المـرام عـلـيه حـتى
يـرى مُـنـسـاغَ أنـعُـمـهـا شَـجـاء
ويـقـتل نـفـسه من حـيث يـبـغي
زيـادتـهـا من المحـيـا عـنـاء
ولم تـبـرح مـطـامعُ كلِّ نـفسٍ
تـزيـد بلاءَ مـحـيـاهـا بلاء
وهل غـيـرُ المـطـامع لـلـبـرايـا
مـنـاهلُ وِردِهـا يُـردي الـظـمـاء

فلو هجروا المطامع لم تُشاهِدْ
لبعضهمُ على البعض اعتداء
ولم يعرف بنو الإنسان هَزّاً
لرمحٍ أو لصارمٍ انتِضاء
فلا طعنٌ ولا ضربٌ عليهم
يجرّانِ الإبادة والعفاء
وعاشوا إخوةً لا سعي إلا
إلى محضِ المبرَّةِ أصدقاء
مُجافين الخيانةَ والتعادي
مُصافين المودةَ والوفاء
ولو كانوا كذلك لاستطابوا
ضُحى المحيا ولا ذمّوا العِشاء
فلم تُفجَعْ براحتها نفوسٌ
تمنت من متاعبها الثواء
ولا أخذت مآخذها شجونٌ
وأكدارٌ طوت عنها الصفاء
ولكن لم تدع لهمُ صوابًا
مطامع قد أبت إلا النماء
قويُّهُمُ على ذي الضعف يرجو
لحيلته المدمِّرةِ انطلاء
فإن تمت فذلك ما رجاه
وإن فشلت يكاشفُهُ العَداء
فتذكو نار حربهمُ لتلقى
بها أنوار عيشهمُ انطفاء

يــدوس الــنــاسُ هــامَ الــنــاسِ ســعــيًــا
وراء فـــضـــول دنـــيـــاهـم غـــبـــاء
أحِـرْصُــهُمُ عـلـى الـدنـيـا لـيـمـضـوا
به عـــنـــهـــا ســـراعًـــا لا بِـــطـــاء
يـــخـــيَّل حـــرصُـــهم إن لم يُـــجَـــنّـــوا
لـــهـــا حـــبّـــاً شـــديـــدًا بل قِلاء
كـــأن الـــنـــاس مـــنـــهـــا قـــد أرادوا
تـــخـــلُّـــصَـــهم ملالاً واجـــتـــواء
أمـــا عـــلـــمـــوا بـــأن الحـــرص داءٌ
ولـــيس ســـوى الـــقـــنـــوع له دواء
فـــمـــالي لا أرى لـــهـمُ إلـــيـه
- وقـد وضَـحت مـعـالِـمُـهُ - اهـتـداء
ولـو قـنـعـوا اسـتـراح الـكل مـنـهم
وفـــاتـــوا مـــا يـــســـوؤهُمُ وســـاء
تَـخـاصُـمُـهم عـلـى الـدنـيـا شـديـدٌ
مـــديـــدٌ لا أظن لـه انـــتـــهـــاء
إلى أن تُـــنـــهِيَ المحـــيـــا وغـــاهُمْ
كـمـا مـنـهم لِـعَـيْنِ الحـرصِ شـاء
قـد افـتـتـنـوا بـهـا إذ لم يـشـيـموا
لـهـا كـنـهًـا كـمـا شـامـوا الـرُّواء[1]
ولـو سـألـوا الحـجـا عـنـهـا وأجـلى
لـهم عن كـنـهـهـا الخـافي الـغـشـاء
لـــعـــزك أن تـــرى أحـــدًا يـــبـــالي
لـــهـــا هـــدمًـــا يُـــتـــاح ولا بـــنـــاء

(١) الرواء: المنظر الحسن.

فلم تسمع خصامًا قَطُّ فيما
يراه العقلُ آلاً أو هباء[1]
وأصبح زهدُهم فيها بديلا
لعشقٍ بينهم يُجري الدماء

✡✡✡✡✡

ترى زيدًا كعمروٍ عن غرامٍ
بها يبدي احتفالاً واحتفاء
يَوَدُّ بها انفرادًا عنك حتى
أخوك الشِّقُّ ناسيًا الإخاء
يظل الكل منها مستزيدًا
ولو فات الثرى عَدّاً ثراء
ويمضي صَبُّها عنها ولما
يُصِبْ إلاّ كساءً أو غذاء
ويترك كلَّ ما منها تأتَّى
لديه سواهما قسرًا وراء
ولو بهما اكتفى كلٌّ لأضحى
وأمسى الكلُّ يحمدُ الاكتفاء
فليس إلى السلام سواه دربٌ
به السُّلاّكُ يلقون الإواء[2]

✡✡✡✡✡

جحيم الحرب، لو عَمَّ البرايا
قُنوعٌ ما شكَوْا منها التِظاء
ونال الكل ما يحتاج مما
عليه تَشكر الأرضُ السماء

(١) الآل: السراب أو هو الذي يكون ضحى كالماء.
(٢) أوى: يأوي، أويّاً، وأواءً، عاذ ولجأ.

فــخــيــر الأرض يــكــفــيــهم ويَــثــني
إذا قــنــعــوا تَــعــاديــهم وَلاء
ولــكن أغْــرَتِ الأطــمــاعُ بــعــضًــا
تُـجـاهَ الـبـعض فـاحـتـكـروا الـرَّخـاء
وكــانت مــنــذ أزمــانٍ كــمــا قــد
عــلــمــنــاه يــقــيــنًــا لا افــتــراء
تــصــيحُ - أن اقــنــعــوا بــهمُ - فــهــاهم
لــتــســتــبْــقــوا مع المحــيــا الحــيــاء
فــمــا غــيــر الــقُــنــوع به تلاقي
حــروبُــكمُ - إذا عَمَّ - انــقــضــاء
وتــدعــوهم ضــمــائــرهم إلــيه
فـمـا سـمـعـوا الـصـيـاحَ ولا الـدعـاء
فــمن حــربٍ تُــبَــرِّحُ - عن فــنــونٍ
من الإفــنــاء بــيــنــهمُ - الخــفــاء
إلى أخــرى أشــدُّ كــمــا اقــتــضــاه
لــهم حــرصٌ أضــلَّــهمُ ســواء
أمن حــيث الــســقــام يُــمــيتُ تــغــدو
مِـراضُ الحـرص تـلـتـمس الـشـقـاء
هُمُ من دهــرهم أبــدًا بــحــربٍ
تــعــذر أن يَــرَوْا مــنــهــا احــتــمــاء
فَــلِمْ زادوا عــلــيــهــا كلَّ مــفنٍ
نــفــوســهم اخــتــيــارًا واشــتــهــاء
تــأمَّلْ ســاســة الــدنــيــا أأرضَتْ
ســيــاســتــهم ضــمــيــرًا أو حــجــاء
وغــيــرَ الــنــفي لا يُــلــقي جــوابًــا
لــســانك حــسب مــا ليَ قــد تــراءى

فَــمِلْ عــنــهم وخَــبِّــرْ عن شُــعــوبٍ
أنــالــوا الــســاســةَ الحُــمقَ احــتــفــاء

وكــيف تــخــيّــروا نــفــرًا تــنــافي
ســيــاســتــهم لجــنــســهم الــبــقــاء

رجـــــاء زيـــــادةِ الأملاك حـــــتى
لأشــــبَهَ ســــائـــســــيه الــــكلُّ داء

وهل يــســوى ازديــادُ المــلك بــشــرى
بــصــرعى تــملأ الأرضَ الــفــضــاء

أعــنــهم تــفــتــدي الأسلابُ مــهــمــا
غَــلَتْ ثــمــنًــا لــســالــبــهــا عــزاء

وتـــطـــمع نـــفـــسه في أن تلاقي
- وقـــد ذهـــبت أعـــزّتُهُ - هـــنـــاء

تـــســـومـــهمُ المــطــامعُ كل شَــرٍّ
ولم يـــر مــطـــمعٌ مـــنـــهم إبــاء

بــني الــدنــيــا الــقــنــاعــةُ لا ســواهــا
لــعـــين حــيــاتــكم تــغــدو جلاء

وأقـــذارُ المــطــامعِ مــعــمِــيــاتٌ
وكم مـــنـــهن قـــد لـــقـــيَتْ قَـــذاء

وإن لم تـــقـــنـــعـــوا طُــرّاً أعـــدتم
عــلــيــكم ظــلــمــةً مــنــهــا الــضــيــاء

☼☼☼☼☼

سَــرابٌ مــا عــلــيه غــدا الــتــفــاني
يــزيــد ســيــوفه فــيــكم مَــضــاء

كــذاك رأت حــقــيــقــتَــهــا أنــاسٌ
لــهم عــنــهــا الحــجــا كــشف الــغــطــاء

أجل والـــــله دنـــيـــانـــا ســــرابٌ

ومـــخـــدوعـــون من حـــســـبـــوه مـــاء

مـــحـــالُ أن تَـــرى مـــنه الـــصـــوادي

- وإن خـــالـــته يُـــرويـــهـــا - ارتـــواء

ســــــواءٌ من بـه غـــــاصـــــوا ومن هم

عـــلى أطـــرافه وقـــفـــوا اجـــتـــزاء

****

إنها الدنيا[1]

أبـــا عـــيـــسى أراك أجَلَّ من أن
يـــســـوقَ إلــيك أمـــثـــالي الــعـــزاءَ
وكـــيف أســـوق تـــعـــزيـــتي إلى من
لأدواءِ الــعـــقـــول غـــدا شـــفـــاء
يُـــريـــنـــا أوجُهَ الحِـــكَمِ الـــلـــواتي
ســنــاهــا قــد هــدى الــقــومَ الــســنــاء
مــتى اســتــعــرضتُ ســيــرتَهُ أجِــدْهــا
كــتــابًــا يــجــمع الحِــكَمَ الــوِضــاء
ولـم أبـــرح أراهُ خـــيـــرَ حُـــرٍّ
يــرى الــدنــيــا وزِبْــرِجَــهــا هــبــاء
لـــذا لم تـــلـــقه إلا مُـــجِـــدّاً
لمـــا لـــلـه فـــيه يـــرى رضـــاء
وهل يـــغـــتـــرُّ شَـــرواهُ بـــدنـــيـــا
أبت إلا مـع الـــكـــدر الـــصـــفـــاء[2]
ولـم تُـــضـــحِكْ بـــنـــيـــهـــا قطُّ إلا
أعــادت بــعــد ضــحــكــهمُ الــبــكــاء
يـــفـــتِّشُ عن ســـعـــادتـــهـــا ذووهـــا
وقــد خــبــأت لــهم فــيــهــا الــشــقــاء
كــمــا خــبــأت للامــســهــا الأفــاعي
خلال لـــيـــانـــهـــا الـــداءَ الـــعـــيـــاء

(١) قالها معزياً الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بوفاة أخيه أحمد بن عيسى.
(٢) شروى الشيء: مثله.

نُـــهَــرْوِلُ خــلـف راحــتــهــا ونجــري
وراحــتُـــهــا لــنــا تَــلِــدُ الــعــنــاء
ومن يــنــظــرْ بــعـــين الــعــقل مــنــا
حــقــيــقــتَــهــا ويــجــتــنب الــطِّلاء
فــيــبــصــرُ مــا طَــلَــتْهُ له جــلــيّــاً
بـــهـــا يَـــرْدُدْ إلى الـــرُّخْصِ الـــغَلاء
ولم يـــعـــمل بـــهـــا عـــملاً ســـوى مـــا
به يـــرجـــو لـــدى الـــله الجـــزاء
فـــإن يك أحـــمـــد المحـــمـــود أودى
فَـــمُـــودٍ كلُّ من فـــيـــهـــا سَـــواء
فــيــا رحَــمــاتِ خــالــقِــنــا سَــعِــيه
وزيـــدي يــوســفًــا فــيــنــا بــقــاء
فـــإن بـــقـــاءه فـــيـــنـــا بـــقـــاءٌ
لمــا يُــرضي المــهــيــمنَ والحِــجــاء
مـــثـــالُ مـــكـــارم الأخلاق فـــيـــنـــا
وهـــاديـــنـــا إلـــيـــهن احـــتـــذاء
مـــؤسسُ كل مـــا تـــأوي إلـــيه
مـــعـــارفُـــنـــا ورافـــعُه بـــنـــاء
وغـــارسُ كل مـــا يـــجـــني نُـــهـــانـــا
من الـــثـــمـــرات أنـــفـــعـــهـــا غـــذاء
وربَّ خــصــومــةٍ خَــشُــنَتْ مــجــسّــاً
ثـــنـــاهـــا لـــطفُ حـــكـــمـــته إخـــاء
مــزايــا بــعــضُــهــا تــلك الــلــواتي
تَــحُلُّ بــذات صــاحــبــهــا الــســمــاء
إذا ذُكِـــرَتْ عـــلـــيه الـــكلُّ أثـــنى
وإن هـــو لم يُـــرِدْ مـــنـــا الـــثـــنـــاء

✲✲✲✲✲

أيـــوسفُ إنـــهـــا الـــدنــيـــا وإني
كــغــيــري قــد شُــغِـفْتُ بــهــا ابــتــداء
فــلــمـــا أن ســبــرتُ الــغــورَ مــنــهـــا
وبَـــرَّحَ لي تـــأمُّـــلُـــهـــا الخـــفـــاء[1]
رجـــعتُ وكل مـــا شـــاهـــدت يُـــثــني
إلى الــنــقــصــان من شــغــفي الــنَّــمــاء
إلى أن مَحَّ في قـــلـــبي هـــــواهـــا
ولاقت نـــارُ فــتــنــتــهـــا انــطــفــاء[2]
وصـــرتُ كـــكلِّ حُـــرٍّ لا يـــبـــالي
تــقــلُّــبَـــهـــا صـــدودًا أو لـــقـــاء
ولم يُـــفــرِحْهُ أو يُـــحـــزِنْهُ فـــيـــهـــا
مُـــلِمُّ الخَـــطْبِ أحـــسَنَ أو أســـاء
وأنتَ بِـــكُـــنْهِ مـــا أخـــفَتْ وأبْـــدَتْ
أَتَمُّ الـــقـــوم خُـــبْـــرًا واجـــتلاء
لـــذا في وصـــفـــهـــا أوْجَـــزْتُ قـــولاً
إلى ســـمـــعَـــيْكَ قـــد رامَ ارتـــقـــاء
ولـــولا جـــاريـــاتُ الـــعـــادِ عُـــدَّتْ
مـــخـــاطـــبـــتي لـــشَـــرواكَ اجـــتـــراء
وكـــيف يـــزيـــد شـــمس الـظـهـر مــثــلي
ضـــيـــاءً أو يـــزيـــد الـــبـــحـــرَ مـــاء

****

(١) سبره: استخرج كنهه: وسبر الجرح نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره.
(٢) مح: أخلق وبلي. وفي أحد الدفاتر روي صدر البيت (إلى أن مات في قلبي هواها).

غلاء وعلاجه[1]

غَلاءٌ أهــلَكَ الــفــقــراءَ جــوعًــا
وعُــرْيًــا، أهــلَكَ الــلــه الــغَلاءَ
وزاد الأغــنــيــاءُ غــنًى ويُــبْــسًــا
كــمــا زدتَ الحــصى المــنــقــوعَ مــاء
فــلــستَ تــرى غــنــيّــاً عن فــقــيــرٍ
يــخــفِّفُ مــحــسـنًــا هــذا الــبلاء
وكــان الحَظُّ لــلــمُــثــرين في أن
يُــواســوا الــيــوم من حُــرِمُــوا الــثَّــراء
ولــكن الــطــبــاعَ دَعَتْ فــأصــغَــوْا
إلــيــهــا مــســتــجــيــبــين الــدعــاء
وطــبعُ المــرءِ يــدعــوه إلى مــا
يــزيــد عــمــاءَهُ الــمُــردي عَــمــاء
ونــادتــهم إلى مــا الــخــيــر فــيه
عــقــولــهمُ فــمــا لــبَّــوْا نــداء
ولــو لــبَّــوْا عــقــولَــهمُ لــفــازوا
وحــازوا – كل مــا يــجــني – الــهــنــاء
أبَــوْا إلا اقــتــفــاء الــطــبع حــبّــاً
لــفــاني المــال واجــتــنــبــوا الحِــجــاء
وقــلــبُ المــرءِ إن يــتــبَعْ هــواهُ
يــصــيِّــرُهُ الــهــوى قــلــبًــا هــواء

(١) قالها سنة ١٣٦٢ هجرية بمناسبة ارتفاع الأسعار.

ولو تبِعوا العقولَ أزَلْنَ عمَّنْ
لَواهُ هواهُ ذاكَ الالتواء
فما خَلَقَ العقولَ اللهُ إلاّ
ليهدِينَ الأُلى شاءوا اهتداء
فمن جعل الحِجاء له دليلاً
فذاك هو الذي فاتَ الشقاء
فقل للأغنياء إلى نُهاكم
عن الأهواء وادّكِروا الثَّواء
فكلٌّ منكم عما قليلٍ
سيترك ماله مَيْتًا وراء
وليس بمفلحٍ من لم يقدِّمْ
من الأعمال أحسنَها جزاء
وما كالبِرِّ من عملٍ فطوبى
لمن لم يصبحوا عنه بِطاء
وهل غرس الفتى أجدى وأزكى
وأطيبَ من مبرَّتِهِ اجتناء
جمالُ البِرِّ إن أخفاهُ طبعٌ
فعنه بَرَّحَ العقلُ الخفاء
فمالَهُمُ بشحٍّ قد تواصَوْا
وقد مَدَحَتْ عقولهمُ السخاء
وأبدَيْنَ المزايا منه حتى
لَفاتَ جمالُها البادي المِراء
أيقضي البائسون طَوًى وعريًا
ويأبى البِرَّ مُثروهم إباء(1)

(1) الطوى: الجوع.

ولم يَتَفَشَّ داءُ البؤس لَوْ لَمْ
يَكُ المُثرون قد منعوا الدواء

ولم يصعُبْ شفاءُ الداءِ لكن
أرى المُثرين قد كرهوا الشِّفاء

وليس بناقصِ الأموال لا بل
يجرُّ لها الزيادةَ والنماء

وكم أقصى الأسى عن باذليهِ
وأدنى من قلوبهم الصَّفاء

فَيُمْنُ البِرِّ محسوسٌ جليٌّ
لعَيْنَيْ متبعِ البِرِّ اجتلاء

وإن تصعب نوافله عليهم
فبذل الفرض يكفيهم حِباء

زكاة المال كافيةٌ فهَلاّ
رأى المتموِّلون لها أداء

فما فُرضت على ذي المال إلا
لتُلحِقَ بؤسَ ذي البؤس انتفاء

وتَثْني من معيشته سهولاً
مصاعبَها، وزَعْزَعَها رُخاء

ففارضُها أراد بكل شخصٍ
من الفقراء رفقًا واحتفاء

فلو بُذِلَتْ لما ألفَيْتَ فينا
مطيلاً من خصاصته اشتكاء

وأصبح كلُّ عاري الجسم طاوٍ
ينال بها الملابس والغذاء

وكان أنينُ بائسنا دعاءً
لمثرينا وشكواهُ ثَناء

كــــمـــا مَـــنْـعُ الـــزكـــاة أعـــاد كُـلاً
من الــبــؤســاء فــائــضًــا اســتــيــاء
فـــأشـــجـــانـــا صَـــبـــورُهُمُ زفـــيـــرًا
وأوجـــعَـــنـــا جَـــزوعُـــهُمُ بـــكـــاء
فـــمن لي بـــالـــفـــرار الـــيـــوم من لي
فـــإن الأرضَ أســـخـــطَتِ الـــســـمـــاء
فــصــبــرًا أيــهــا الــفــقــراء صــبــرًا
فـــإن الأمـــر حـــائلٌ انـــتـــهـــاء
فـــغِبُّ الأمـــر حـــسْبَ الـــظن يـــأتي
مُـــغـــايـــر مـــا أتى مـــنه ابـــتـــداء
أظُنُّ الـــلـهَ عـــكسَ الحـــال عـــمّـــا
قـــلـــيلٍ من جـــمـــيع الـــقـــوم شـــاء
فـــمـــمـــتـــلـئ الـــيـــمـــين الـــيـــوم مـــالاً
غـــدًا من مـــالـهِ يـــشـــكـــو الجَـــفـــاء
ويُـــثـــري بـــعـــدُ من قـــد كـــان قـــبلاً
ثَـــراءُ المـــال عن يـــدهِ تَـــنـــاءى
وإن تَـــضِقِ الـــدُّنـــا عن كـــون هـــذا
لـــســـرعـــة رَدِّهـــا الـــمَـــحْـــيـــا فـــنـــاء
فـــمـــا الأخـــرى بـــضـــيِّـــقَـــةٍ لأنّـــا
مـــتى مـــا نـــأتِـــهـــا نَـــنَلِ الـــبـــقـــاء
فلا يـــســـتـــبـــطـيءِ الـــبـــؤســـاءُ يـــومًـــا
يـــرون به انـــعـــكـــاسَ الحـــال جـــاء
فـــعَـــدْلُ الـــلـه يـــبـــقى بـــعـــدَ هـــذا
ويـــكـــفـــيـــهـم تـــوقُّـــعُهُ عَـــزاء

****

من قوافي القريض[1]

كسَوْتَ أخاك ثياب الثَّنا
فجاز فخارًا بهنَّ السَّما
وأصبحَ يسحبُ أذيالهنّ
على ذِروتَيْ نَسْرِها والسُّها[2]
ولكن أطلتَ ذيولَ المديحِ
وألبستَهُنَّ فتًى ذا عمى
وطولُ الذيولِ عِثارٌ له
وأنت بسطتَ له في الكِسا
فإن لم يصل للمدى في الجَزاءِ
فأوضحُ عذرٍ له قد بدا
نظمتَ القوافي بمدح امرئٍ
كساه الزمان كساءَيْ هجا
فليتك جاريتَ فيه الزمانَ
فإن الزمان عليه افترى
ونهجُ سبيلِ الهِجا واضحٌ
إليه وإن كان عنك اختفى
فحُبُّ الفتى للفتى مسبلٌ
على ما به من عيوبٍ غِطا

(١) بعث بها إلى صديقه الأديب حجي بن قاسم جوابًا لقصيدة بعث بها إليه.
(٢) نسر والسها: من نجوم السماء.

فلا تَــنْــسِــجَنْ من خــيــوطِ الــثَّــنــا
كــســـــاءً لــمـــثــلــيَ في ذا الـــورى
وصُنْ مــا اســتــطــعت قــوافي الــقــريضِ
فـــفي صــــونـــهنَّ لـــهنَّ اعــــتِلا

****

لا راحة بلا تعب[1]

يــقــولــون لي يــا «صــقــرُ» مــالك عــاطلاً
وقـــد وظَّــفــوا من لم يــقــاربْكَ في الأدبْ
فــقــلــتُ لـــهم في رِثَّـــةِ الـــثـــوب مـــانعٌ
رُقِـــيِّي إلى تـــلك المـــنـــاصبِ والـــرُّتَب
يُــوَلَّى هــنــا المــرءُ الــوظــيــفــةَ جــاهلاً
عــلى شــرطِ أن تُــلــفى ملابــسُهُ قُــشُب[2]
ويُـــحـــرَمُ مـــنـــهـــا المـــرءُ والمـــرءُ عـــالمٌ
إذا لم تـــكن مـــنه الملابسُ بـــالـــنُّـــخَب[3]
ولـــو عَـــقَـــلـــوا كـــان الـــتـــقـــدُّمُ عـــنـــدهم
على حَسْبِ ما تقضي الفضيلةُ والحَسَب
فـــمـــا كل مـــا راق الـــعـــيـــونَ بَـــريـــقُهُ
وأعـــجـــبـــهـــا مـــنه ملاحـــتُهُ ذَهَب
فـإن تـنـتـبِهْ من ذا الـسـبـاتِ مـعـاشـري
تَـنَلْ خَـيْـرَ دارَيْـهـا وتـسـلَمْ من الـعـطب
وإن طـال في لـــيلِ الجـــهـــالـــة نـــومُـــهم
فـمـا شـئت فـيـهم فـافـعـلي أيُّـهـا الـنوب
فـمـا نـام في لـيلِ الجـهـالـةِ مـعـشـرٌ
فـأيـقـظَـهم مـنـهـا قـديمًا سـوى الشَّـجَب

(١) نشرت بمجلة (اليقين) التي كان يصدرها محمد الهاشمي ببغداد.
(٢) القشيب: الجديد وجمعه قشب.
(٣) النخب: الخيال.

وممـــا يــزيــدُ الحـــزنَ في الــقــلب ضــعــفُهُ
ويُــلــهِــبُهُ بــين الــضــلــوع فــيــلــتــهِب
صـــدودُ بـــني قـــومي إذا قـــام مـــرشـــدٌ
يــذكِّــرُهُمْ بــالــشِّــعــر طــورًا وبــالخُــطَب
وفـي الـصَّـدِّ مـا يـثـني عـزيمـةَ من غـدا
لـنصـحـهمُ تـقـريـبُهُ الـدَّهْـرَ والخَـبَب[1]
فــكــيف إذا مــا زَنْــدَقُــوهُ وأَســبَــلَتْ
عــلى رأسه من مُــزْنِ غــيــظــهمُ سُــحُب
تَـسَـنَّـمَتِ الـعـلـيـا مـعـاشـرُ لم تَـزَلْ
تَـجِـدُّ لـهـا والجِـدُّ من سُـبُلِ الـغَـلَب
وحَـــلّـــوا من المجـــد المـــؤَثَّلِ في ذُرًى
تـكاد سـوامـيـهـا تـنـوف عـلـى الشُّـهْب[2]
ونــحن قــعــدنــا قــانــعــين بــجــهــلــنــا
وجــهل الــورى فــيه لــهم شَــرٌّ مــنــقــلَب
فـفي صَـعَـدٍ ظـلّـوا بـفـضل نـشـاطـهم
وقد حَـطَّنـا مُردي الـتـكاسُلِ في صَبَب[3]
وتَمَّ بــفــضـل الــعــلـم فــيــهم وئــامُــهم
ونـحـن كـمـا شـاءت جـهـالـتُـنـا شُـعَب
ومن غــرست يمــنــاه يــومًــا فــســيــلــةً
فــبــشِّــرْهُ من بــعــد المــشــقَّــةِ بــالــرُّطَب
فــمــا لــذةٌ نــيــلت بــغــيــر مــشــقَّــةٍ
ولا راحـــةٌ يـــومًـــا تـــأتَّتْ بلا تـــعب

(١) التقريب والخبب: نوعان من السير.
(٢) تنوف: ترتفع. سواميها: أعاليها.
(٣) الصبب: الطريق يكون في حدور.

وهل وهب اللهُ الوَهوبُ لأمة
رقيّاً ولم تَمْدُدْهُ إلى ذاك من سَبَب
وهل سَبَبٌ كالعلم يوصِلُ أمةً
من المجد ما حَبَّتْ وفوق الذي يُحَب
فإن سَرَّكُم أن تبلغوا أوْجَ مجدِكم
وتعلوا ذرى العلياء فالأُهَبَ الأُهَب
ألا وانزعوا ثوب التكاسل عنكم
فما فاز كسلانُ البرية بالأرَب
ولا تجمُدوا يا قوم إن جمودَكم
مؤديكُمُ للويل إن دام والحَرَب(١)
ودونكمُ أهْلُ الجمودِ وضدُّهم
ويكفي بهذين اعتبارًا لمن أرِب
نهوضًا إلى المجد الأثيل إلى العُلا
كما نهضت من قبلُ أباؤنا العرب
فهم نهضوا بالعلم والعلمُ سُلَّمٌ
يؤدي إلى إدراك مستصعب الطَّلَب
فأشرقَ في أفْقِ التقَدُّمِ بَدْرُهُمْ
منيرًا ولمّا لم نسِرْ سَيْرَهُمْ غَرَب
وأثمر في أرض الأمانيِّ غرسُهم
وعاد إلينا بعد إثماره حَطَب
وكان منالُ الحقِّ بالسيف وحدَهُ
فصار منالُ الحقِّ بالسيفِ والكُتُب
وفي وسعنا أن ننشر العلم بيننا
إذا لم يكن في الوُسْعِ أن نُصْلِتَ القُضُب(٢)

(١) الحرب: فقدان الملك والحرب أيضًا الغضب وكلاهما بفتح الراء.
(٢) نصلت القضب: نجرد السيوف.

فـمــا بــالــنــا عن نــشــرهِ في تــكــاسُلٍ

عــلـى أنه أمــرٌ عــلـى الــكلِّ قــد وَجَب

أنـكـسَلُ في عـصـر الـنـشـاط ونـشـتـكي

إذا أنـشـبت فـيـنـا مـخـالـبَـهـا الـكُـرَب

ونــبــرح في لــيلٍ من الجــهل دامسٍ

وقـد عَمَّ صـبحُ الـعـلم مَنْ شَطَّ أو قَـرُب(١)

فـوا عـجـبي يـا قـوم إن نَـبْقَ هـكـذا

ولم نُــرْمَ بــالمــوت الــزؤام ولم نُــصَب

ومن يَـرْمِ في غـاب الـهِـزَبْـرِ بـنـفـسه

فـيَـفـرِسُهُ فـيه الـهِـزَبْـرُ فلا عَـجَب(٢)

****

(١) دامس شديد الظلام. وشطَّ: بعد.

(٢) الهزبر: من أسماء الأسد. وفرسه: افترسه.

لحظِّي لا لحظِّك[1]

أراك لحبل الوصل أصبحتَ قاطعًا
بلا موجبٍ يدعو إلى القطع أو سَبَبْ
وغادرتني من قطعه في تألُّمٍ
فهل لك في تأليم خِلِّك من أَرَب
أبا صالحٍ إن لم تَسُرَّكَ زَوْرَتي
ففيها سرورُ النفس منِّيَ والطَّرَب
فَزُرْني لِحَظِّي لا لِحَظِّكَ حِسْبَةً
فبعض زيارات الأحبَّةِ تُحتَسَب
وحافظ على ما بيننا من مودةٍ
فإني أعُدُّ الوُدَّ ما بيننا نَسَب
وأنقذ بوصلٍ منك معتلَّ عهدها
فطولُ النَّوى يرمي المودةَ بالشَّجَب[2]
ولا شيء يخلو من سقامٍ يُبيدُهُ
ولِلْوُدِّ طولُ البين من أقتَلِ الوَصَب[3]
فإن تَكُ عن هُلْكِ المودةِ راضيًا
فإنِّيَ من مَرْضَاك ممتليءُ الغَضَب[4]
وإن تَكُ مثلوجَ الجوانح بالذي
أتيتَ فمنه اليومَ في أضلعي لَهَب

---

(١) بعث بها إلى صديقه المرحوم الأستاذ الفاضل عبدالملك الصالح.
(٢) الشجب: الهلاك.
(٣) الوصب: الوجع والمرض.
(٤) مرضاك: هنا مصدر ميمي بمعنى رضاك.

وإن تَــرَ عــنّي وَجْهَ ســلــواك ســافــرًا
فــوَجْهُ سُــلُــوّي عن لــقــاك قــد احــتــجَب
وهــذي لــيــالي الــصــوم إن لم تَــزُرْ بــهــا
فــقل لي مــتى مــنك الــزيــارة تُــرْتَــقَب

****

شفاؤك يشفيني[1]

قـــالـــوا ســـقـــامُكَ كـــاد يـــذهبُ أو ذَهَبْ
فـشـعـرتُ بـاسـتـخـذاء مـا بي من وَصَبْ
ألأنَّ بُـــــرْئي آنَ وقتُ مـــــجـــــيـــــئه
أم جـــاءني قـــبلَ الأوان من الـــطَّـــرَب
لـم أدرِ إلاّ أنَّ شَـــــــكْـــــــوي راعَهُ
قـولُ الـبـشـيـر فـكـاد عَـنّي يـنـسـحِب
وإذا شـــفى سَـــقَمَ الـــســـقـــيم سُـــرورُهُ
بـشـفـاء شِقٍّ الـنـفس مـنه فلا عَـجَب
مـــا زلتُ مـــذ زايَـــلْـــتَـــني ذا عـــلَّـــةٍ
كـان اشـتـكـاؤك في زيـادتـهـا الـسـبب
وأتت تُـجِـدُّ مـزيـدَهـا مـنك الـنـوى
حـتى أرَتـني عـلـتي وَجْهَ الـعـطَب
حـــتى إذا بُـــشِّـــرْتُ أنك آخـــذٌ
تـدنـو إلى خـيـر الـشـفـاء وتـقـتـرِب
عـــادت تَـلاشى عِـــلَّـــةٌ قـــد آذَنَتْ
نـفـسي بمـا نـفـسي تـخـاف من الشَّجَب[2]

✲✲✲✲✲

يـــا نجلَ صـــالحٍ الـــذي لـــولاه لم
أعـلـم بـأنَّ الـوُدَّ يَـرْجَحُ بـالـنَّـسَب

(١) بعث بهذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ الفاضل عبدالملك الصالح.
(٢) الشجب: الهلاك أو الحزن.

لا يــحــرم الــله الــكــويت وعِــلْــمَــهــا
من شـخـصكَ المحبـوبِ، حُـسْنَ الـمُـنـقَلَب

فــالــعــلمُ فــيــهــا لم يَــزَلْ وفــؤادُهُ
مـنـذ اشـتـكيتَ عـليك خـوفًا يـضـطَرِب

وأحقُّ من يَــخْــشى عــلــيه عِــلْــمُــهــا
مَنْ غــيــرُهُ لم يَــكْفِ عــنه أو يَــنُب

****

قيمة الكلام

رُبَّ بَـــيْتٍ وحــــدَهُ في أمَّـــةٍ
قَـــلَبَ الحـــالـــة رأسًـــا لـــعَـــقِبْ
ولَـــكَمْ من خُـــطْـــبَـــةٍ قـــد أَبْـــدَلَتْ
شَـعْبَ مُـلْـقـيـهـا حـيـاةً بِـشَـجَب[1]

****

(١) الشجب: الهلاك.

على العلم عوِّلوا[1]

أسِـــتَّـــةَ أعـــوامٍ تـــدومــــين يـــا حـــربُ
وأكـــلُكِ أجـــســـادُ الـــبـــريَّـــة والـــشُّـــرْبُ
وفي بـعض عـامٍ منكِ مـا يـورث الـفتى
ســـــــآمــــــتَهُ مـــــا دام فـي رأسـه لُبُّ
ولـــستُ أرى أن الـــورى كـــلَّـــهم غَـــدَوْا
مـجـانـينَ لـكن شـاء بَـسْـطَـتَكِ الـرَّبُّ
أتَـوْا من شـنـيعِ الـظـلمِ مـا مَـدَّ بـيـنـهم
من الحـرب مـا يـلـقى به وَفْـقَهُ الـذنب
إذا ظَـلَـمَ الإنـســـانُ يـــومًـــا فـــقل له
تَـوَقَّـعْ جـزاءً سـيـفُه عـنك لا يـنـبـو
ولم أر مـــثلَ الـــظـــلم ســـاء مـــغـــبَّـــةً
فـحـربُـهُمُ هـذي لـظـلـمـهمُ غِبُّ[2]
بَـــنـــو آدمٍ إخـــوانُـــهم، وبـــنـــاتُهُ
لـهم أخـواتٌ يـشـهـد المـاء والـتـرب
فـلم يَـقـنـعـوا إلا بـكـون جـمـيـعِـنـا
ممـالـيكَ إن يـدعـوا إلى خـدمـةٍ لـبّـوا[3]
وكل ثـراءٍ عـنـدنـا وهـو حـسـبـمـا
يـشـاء تَـعَـدِّيـهم لأيـديـهمُ نَـهْبُ

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.
(٢) المغبة: العاقبة. والغب: العقب.
(٣) تصريفها لبَّوا: أي أجابوا وضرورة القافية جعلته يقول لبوا.

ولا ذنب إلا الـضَّـعفُ والـشـاة لم تـكن
لـيـأكلـهـا لـو خـاف سـطـوتـهـا الـذئب
تـسـنّى لـهم من قـوّةٍ مـا بمـثـله
يُـلِمُّ بـغـيـر المـؤمن الـتـيهُ والـعُـجْب
فـأطـغـتـهُمُ قـوّاتـهم فـانـثـنت عـلى
طـغـاتـهمُ مـنـهـا جـهـنمُ تـنـصَبُّ
طـغت حـربُـهم طـغـيـانَـهم فـرمـتـهُمُ
بـنـارٍ أبـادت جُـلَّـهم وهي لا تـخـبـو
وأودت بمـا قـد أثَّـلـوا من ثـرائـهم
فـلـم يـبق مـنه يـابسٌ لا ولا رطْب[1]
كـذلك يـلـقى مَن منَ الـنـاس قـصـدُهُ
بـقـوَّتهِ اسـتـعـبـادُهُ الـنـاسَ والـسَّلْب
ويُـسـفـر عـدلُ الـله في مـثل هـذه
لـذي الـلبِّ أو عـنه تَـشِفُّ له الحُـجْب
مـصـائبُ هـذي الحـربِ لـلـغـربِ عِـبـرةٌ
سـمـاويـةٌ إن كـان يـعـتـبـر الـغَـرْب
لإحـيـائـكم جـئـنـا يـقـول كـذوبُـهم
ولـيس له إلا إمـاتَـتَـنـا إرْب
فـأفـعـالُـهم فـيـنـا يُـنـافـين قـولَـهم
كـمـا يـتـنـافى الـبـغضُ لـلـشيء والحُب
عـذابٌ لـنـا مـا يـصـنـعـون وإن غـدا
يُـمَـوِّهُ ذاك الـصـنعَ قـولُـهم الـعَـذب
لـنـا قـولُـهم يُـبـدي الـودادَ وفـعـلُـهم
يُـنَـبِّئُ أن الـقـولَ أجـمـعَه كِـذْب

---

(١) أثلوا: بنوا، واظلوا وهيأوا.

ويـــأبَـــوْنَ إلا أن نُـــصَـــدِّقَ أنَّـــهم
أصـــادِقُ مـــا إن في صـــداقـــتـــهم رَيْب
يـجـوز عـلـيـنـا الخَبُّ في ظـنـكم فـهل
يـــجـــوز عـــلى عَلاّم سِـــرِّكُمُ الخَبُّ
وهـيـهـات أن يـخـفى عـلى الـله مـبـتـلي
سـرائـرِكم شَـخْتُ الـمـقـاصـد والجَـأْب[1]
وهـــا هـــو يـــجـــزيـــكم عن الأمم الـــتي
لِـمـا سُـمـتـمـوهـا من أذَى عَزَّهـا الـدَّأْب[2]
فـإن تجـزعـوا أو تـصـبـروا فـعـقـابُـكم
شَـــهِـــدنـــاه في الأولى وأُخـــراكُمُ غَـــيْب
وإن تَـــرْمِـــكُمْ أُخـــراكمُ بمـــثـــيـــلهِ
فـمـا كل صـدعٍ عـنه لا يَـبْـعُـدُ الـرَّأْب[3]
عـلى الـظـالمـاتِ الجـائـراتِ نـفـوسـكم
إذا كـان عَـتْبٌ فـلـيَـقَعْ ذلك الـعَـتْب
فـلم يَـدْهَـكُمْ إلا نـتـاجُ صـنـيـعِـكم
فـهـذا لِـمـا ألـقـحـتُـمـوهُ هـو الـعَـقْب
ومن أسـعَـروا نـارًا لـتُـحـرِقَ غـيـرَهم
بـهـا أحـرق الـله الـذين لـهـا شَـبّـوا
وثـبـتم عـلـيـنـا ظـالمـين لـضـعـفـنـا
فـمـاذا عـلـيـكم جَـرَّهُ ذلك الـوَثْب
لمن بـعـدكم يـأتي سـتـبـقَـوْنَ عِـبـرةً
تُـجَـدِّدُ ذكـراهـا الأحـاديثُ والـكُـتْب

(١) الشخت: الدقيق النحيف. والجأب: الغليظ.
(٢) عزها: غلبها.
(٣) الرأب: الإصلاح.

لــئلاّ يــنــامــوا في لــيــالي غــرورهم
كـمـا نِـمـتُمُ حـتى رداكُمْ دَعـا: هُـبّـوا
فـقـمـتم ولـكن بـعـدمـا أحـدقَت بـكم
مـتـالفُ مـا مـنـهـا إلى مـوئلٍ دَرْب

✡✡✡✡

بـني يـعـرُبَ الـغُـرَّ المـيـامـينَ دهـرُكم
لجُـهّـالهِ سـهلُ الأمـور به صَـعْب
وكم مَـسَّـكم كـربٌ فـكـاد يُـمـيـتُـكُمْ
ولـولا فُـشُـوُّ الجـهلِ مـا مـسَّكُمْ كَـرْب
لـقـد طـال في لـيل الجـهـالـة نـومُـكم
ونُـوَّمُ هـذا الـلـيل أجـمـعُـهم تَـبّـوا(١)
فلا تُـلـهـكم أحلامُـكم في مـنـامـكم
فـتـأويـلـهـا مـوتٌ يـعمُّ به خَـطْب
وهُـبّـوا سـراعًـا من عـمـيق مـنـامـكم
فـحـسـبُـكُمُ مـا مَـرَّ مـنه بـكم حَـسْب
فـقـد أخـذت عن شُـهْبِ عـلمٍ بـلـيـلـكمُ
تَـشِفُّ لمـسـتـهـدي طـريقِ الـعُلا الـسُّحْب
فـقـد طـال مـا كـانت دلـيلاً لحـائـرٍ
إلى قـصـده في لـيـله المـظـلـمِ الـشُّـهْب
وأفـضلُ شيءٍ تـقـصـدون هـو الـذي
لمـظـلـمِ هـذا الجـهلِ عـنـكم به جَـوْب(٢)
فـمـيـلـوا إلى إطلاع فـجـر مـعـارفٍ
تَـعُـمُّـكُمُ أنـوارُ طـلـعـتِه واصْـبُـوا(٣)

---

(١) تبوا: خسروا وهلكوا.
(٢) الجوب: القطع والخرق.
(٣) صبا: مال شوقًا.

ولا تـبـخَـلـوا بـالمـال عـنـد شـرائـكم
من الـعـلم مـا خِـصْـبًـا يـعـودُ به الجَـدْبُ
فـإنـفـاق هـذا المـال في الـسُّـبُل الـتي
تـؤدِّي إلى نـشـر الـعـلـوم هـو الـكَـسْب
عـلى نـشـر أنـوارِ المـعـارفِ بـيـنـكم
وفي الـنَّشْءِ مـنـكم فـلـيـكن ذلك الـدَّأْب
لـتَـحـيَـوْا حـيـاةً صَـفـوُهـا مـا به قـذًى
ويـصـبحَ أمـنًـا من أعـاديـكمُ الـرُّعْب
على العلم يـا قـومي على الـعـلم عَـوِّلوا
فذاك هـو الـدِّرْعُ الحـصـيـنـةُ والـعَـضْب[١]
فـلـو صـنـتم بـالـعـلم حـوزةَ مـجـدكم
لَـكَفَّ أكُـفّـاً نـحـوهـا امـتـدَّتِ الـرَّهْب[٢]
ولـكـنـكم فـرَّطـتُمُ زمـنًـا بـه
ومن لم يـحـد عن نـهـج تـفـريـطه يَـكْبُ
فـإن عَـوَّقَ اسـتـعـدادكَم ضـيقُ مـا مـضى
فـمـسـتـقـبل الأيـام مـتّـسِـعٌ رَحْب
خـذوا الـعُـدَّةَ المثلى من الـعلم تُـصبـحـوا
وبُـعْـدُ الـعُلا عـنـكم بـهـا مـنـكمُ قُـرْب
وظُـنّـوا جـمـيلاً بـالـعـلـوم وإن جَـنَتْ
على الـغـرب مـا مـنه به انـقـصَمَ الـصُّلْب
فـلم تَـنْـكُبِ الـغَـرْبَ الـعـلـومُ وإنمـا
نَـواكِـبُهُ الـطـغـيـان والـتِّـيهُ والـشَّـغْب[٣]

(١) سيف عضب: قاطع.
(٢) الرهب: الخوف.
(٣) الشغب: التهييج.

حـيـاةٌ له كـانت فـصـارت بـظـلـمهِ
له حَـيَّـةً مـنـهـا عـلـيه قـضـى الـلَّـسْبُ[1]

ولا خـيـرَ إلا وهـو مُـدركُهُ إذا
طـغـى أهـلُهُ الـعـكسُ الـسـمـاويُّ والـقَـلْب

فـإن بـالمـنى فُـزتم فلا تـظـلـمـوا الـورى
كـمـا ظَـلَـمَ الـغـربُ الـورى أيـهـا الـعُـرْب

فلا قـيـد مـثلُ الـعـدل لـلـنِّـعَمِ الـتي
يُـواتـين من شـابـوا من الـنـاس أو شَـبّـوا

وهل لـبـست أثـوابَ نـعـمـاءَ أمَّـةٌ
فـدام لـهـا مـنـهـا إذا ظَـلَـمَتْ ثَـوْبُ

ومـا نَـزْعَـهـا أخـشى فـحـسبُ وإنمـا
أخـاف انـقلابًـا كلُّ أسـيـافِهِ قُـضْبُ[2]

كـمـا نـعـمـة الـغـرب انـثـنت وهـي نـقـمـةٌ
بـهـا مـنه هـيل الـلُّبُّ وانـخـلـع الـقـلـب

****

(١) اللسب: اللدغ.
(٢) قضب: جمع قضيب وهو السيف القاطع. يريد أن كل سيوفه قاطعة.

فلي في الصبر ما هو أرحب

لـقـد طـال مـني الـمُـكْثُ في مـظلـمِ الأسى
إذا انجـاب عـني غـيـهبٌ جـاء غـيـهَبُ
ومـا زالت الأيـامُ تـرمي صـروفُـهـا
فـؤادي بمـا مـنه أخـاف وأَرْهَبُ
إلى كم وقـلـبي لـلـشـوائب مـسـرحٌ
إلى كم وقـلـبي لـلـنـوائبِ مـلـعَب
إلى كم سـروري وجـهه مـتـجـهِّمٌ
إلى كم مُـحَـيّـا راحـتي مـتـقـطِّبُ[1]
إلى كم جـهـامٌ من رجـائي سَـحـابُهُ
وحـتى مـتى بـرقُ الأمـانيِّ خُـلَّب[2]
لمـاذا يـعـاديـني الـزمـان ويـعـتـدي
عـليَّ بمـا مـنه الـتـصـبُّـرُ يُـسْـلَب
كـأنَّ زمـاني عـاشِقٌ وكـأنـني
له عـاذلٌ والـعـذلُ لـلـصَّبِّ مُـغْـضِبُ
أقـاسي من الأحـزان مـا لـو أقَـلُّهُ
يمسُّ نجـومَ الأفقِ مـا لاح كـوكب

---

(١) المحيا: الوجه.
(٢) الجهام: السحاب لا ماء فيه. والخلب: الخادع والذي لا مطر فيه.

ولـــو حَلَّ بـــالـــبـحـــر المحــيطِ أقَلُّ مــا

يـعــانـيه قـلـبي مـا جـرى فـيه مَـرْكَبُ

أبِــــيتُ إذا مـــــا بتُّ ممّــــا أُجِـــنُّهُ

عـلى مـثل مـشـبـوبِ الـغَضى أتـقـلَّب[1]

وتُصـبحُ إن أصـبـحتُ نـشـوى مـحـاجـري

ولــيس لــهــا إلا من الـسُّــهْـدِ مَـشْـرَبُ

أمـــا لــلــيــالي الــصـــائلاتِ بـــهــدنـــةٍ

فـقـد أوشـكت نفسـي الـنـفـيسـةُ تَـعْـطَبُ

تحـــاربـــني حـــتى كـــأنِّيَ مـــجـــرمٌ

إلـــيـــهن جـــرمًـــا أو كـــأنِّيَ مُـــذنب

ولـم أجـتـرم جـرمًـا سـوى أنـني فـتًى

أريـــد الـــذي تَـــزويهِ عـــني وأطـــلُب[2]

تـريدُ الـلـيـالي الجَـرْيَ مـني كـمـا جَـرَتْ

وذلك مــــا عـــنه أَحـــيـــدُ وأهْـــرُبُ

تَـجَـنَّـبْتُ مـا تـرضى الـلـيـالي وتـشـتـهي

ومــثـلي لمـا تـرضـــاه قـد يـتـجـنَّب

ظــمــئتُ وحــاولت الــورود فــلـم أجـد

من الـورد مـا يـصـفـو فـمن أين أشـرب

ألا لـيت صَـدْرَ الـغـيب مـا زال كـاتـمي

كـمــا يـكـتم الأســرار حُــرٌّ مُــهَـذَّبُ

فـــمـــا ليَ إلا الـــله في الـــدهـــر مـــطـــمعٌ

ولا لي إلا الــــله في الــــدهـــر مـــأْرَبُ

---

(١) أجنه: ستره. والغضا: نوع من النبات يوقد به.

(٢) تزويه: تقبضه وتطويه.

هـــو الـــدهـــرُ أَمّـــا يـــومُهُ فـــهـــو أَرْقَمٌ
يـــصـــول وأمـــا لـــيـــلـه فـــهـــو عَـــقـــرَبُ
وإنـي وإن ضـــاق الـــزمـــانُ بِـــوُسْـــعِهِ
عَـلَيَّ فـلي في الـصـبـر مـا هــو أَرْحَبُ

****

للحق عاقبة الأمور[1]

مـــا دمتَ في أبــنـــاء يـــعـــرُبَ ســـالمًـــا
مـمـــا عـــلـــيكَ من الحـــوادث نَـــرْهَبُ
فـــالـــدهـــرُ أعـــيـــادٌ لـــهم أيـــامُهُ
طُـــرّاً وجَـــدّي جَـــدُّهُمْ إذا أُنْـــسَبُ
فَـلِـذاك لـــمّـــا أن بـــعـــثتَ مـــهـنِّـئًـــا
بـالـفـطـر طِـرْسَكَ ظَـلْتُ مـنه أَعـجَب[2]
الـــدَّهْـــرُ عِـــيـــدي كـــلُّهُ مـــا لم يَـــزَلْ
يـفـتـرُّ عن مَـحْـيـاكَ فُـوهُ الأشْـنَب[3]
الـفـطـرُ والأضـحى كِلا عـيـدَيْـهـمـا
إن عُـدَّ عِـيـدُكَ لـيس شـيـئًـا يُـحْـسَب
إنـي لأصـــدُقُ والـــقـــريضُ أجَـــلُّهُ
مـــا كـــان من أخلاف صِـدقٍ يُـحْـلَب[4]
هـذي مـسـاعـيكَ الـنـفـيـسـةُ شُـهَّـدٌ
إن قـــام لي فـــيـــمـــا أقـــولُ مـــكـــذِّب
حـــســـبي بـــهن مـــصـــدِّقًـــا وبـــكل من
يـنـمـيه في هـــذي الـبـريَّـــةِ يَـعْـرُب
مـــا زلتَ تـــمـــحض كلَّ قـــومٍ مـــنـــهم
نُـصـحًـا يَـرُدُّ إلى الـهـدى من نَـكَّـبـوا[5]

---

(١) قالها رداً على تهنئة بعيد الفطر بعث بها إليه الزعيم التونسي المرحوم عبدالعزيز الثعالبي.
(٢) الطرس: الصحيفة.
(٣) يفتر: يضحك ضحكًا حسنًا.
(٤) الأخلاف: جمع خلف وهو الضرع لكل ذات خف وظلف.

تُــغــري بـــتَــطلابِ المــعـــالي زاهـــدًا

فـيـهـا فـيُـضـحي وهـو فـيـهـا أشْـعَبُ[1]

وإلى أثـــيلِ المجـــد تُـــدني نـــائـــيًـــا

عــنه فــيــغــدو طَـوْعَ نُـصـحِكَ يَـقْـرُبُ

ولَــكَمْ حــويتَ فــضــائلاً لــو جُـسِّـمَتْ

ألـفـيتَ شـمسَ الـظـهـر فـيـهـا تـغـرُبُ

ومــنــاقــبًــا أوتـيـتَــهـا عن حـصـرهـا

بــالــعَـدِّ يَـرجِعُ خـائـبًـا من يـطـلُب

وخـلائـــــقًــــا كــــالـــــروض إلا أنه

بــســوى شـــهــورِ ربـيــعِه لا يُـخـصِب

يـــزهـــو بـــآذارٍ وخِــدْنَـــيْهِ فـــإن

ولَّـــيْنَ جَفَّ وهــــذه لا تَـــشْــــسَبُ[2]

✡✡✡✡✡

أزعــيمَ تــونُسَ والـكـويتُ فـسـيـحـةٌ

قـد ضـاق بي مـنـهـا الـفـسـيح الأرحب

إن يُـرْدِني بـؤسي فـلـومـوا مـوطـني

بـعـدي عـلى تـفـريـطه بِيَ واعـتِـبـوا

حـــاولتُ إدراكَ الــوظـيـفـةِ جـاهــدًا

بـالــقـوت من قـومي فـعَــزَّ المـطـلب

مـنـحـوا الـوظـائف كل من ضـاقت بـهم

ذرعًـــا لجـــهـــلـــهمُ فــبـــاتَت تَــنْــدُب

وأنـــا وشـــكـــلي في بلادي مـــعـــوزٌ

أبـــدًا بـــكل وظـيـفـةٍ مُــتَــجَــنَّب

---

(١) أشعب بن جبير اشتهر بالطمع وله في ذلك أخبار.

(٢) تشسب: تهزل وتخف.

مــا كــنت لــو أني ارتــديتُ ملابــسًــا
حــسُــنَتْ عــلى نَــيْلِ الــوظــيــفــةِ أُغْــلَبُ
يَـــرقى بِـــبِـــزَّتِهِ الـــفـــتى لا عِـــلْـــمِهِ
أســمى الــوظــائف في الــكـويت ويَــكْــسِبُ
وأجَلُّ أثـــوابي الحـــســـانِ يـــفـــوتُهُ
ثــمــنًــا لــعــســري مــا يــحــوكُ الــعَــنْــكَبُ
كم قــلتُ إن الــســيف لــيس بــغــمــده
بل إنمـــا هـــو حـــدُّهُ والـــمَـــضْـــرِبُ
لـــكنْ إلى ألـــبـــابِـــهم مـــا قــلـــتُهُ
مــا كــان من أســمــاعــهم يــتــسَــرَّب
شَــحّــوا عــليَّ بِــنَــزْرِهِمْ وطــفــيــفِــهم
حــتى وفــاتي من حــيــاتي أطْــيَبُ
لا تــتــركــوا بــعــدي مَلامَ مــعــاشــري
فــعــسى الملامَ يُــقــيــمُــهم ويُــهَــذِّب
ودعــوا مــقــال: الــسيفُ أضــحى ســابقًــا
لــلــعَــذْلِ إذ جَــدَثي لــشــخــصي يــحــجب[1]
إن فـــاتـــني ثَـــمَـــرُ الملام فـــلم يَـــفُتْ
من قــد يــجيء به الــقــضـــاء الأغــلب
فـــلـــربمـــا يَـــنْـــشـــا أديبٌ بـــائسٌ
فــيــهم فــيُــعْــوِزُهُ الــبَلاغُ فَــيَــعْــطَبُ
وكـــذا إلى أن لا يـــظل بمـــوطـــني
أدبٌ بــه يـــســـمـــو ولا مـــتـــأدِّبُ
فَــيَــشُقُّ مَــشْــقــاهُ عــلى نــفــسي وإن
رَفَــتَتْ عــظــامي في الــتــراب ويَــصْــعُبُ

(١) يشير إلى المثل القائل «سبق السيف العذل».

قــلــبي يــــهــيمُ بــكلِّ وادٍ من هـــوى

وطـــني وفـــيه نـــارُ بـــؤسي تَــلْـــهَبُ

من لي بمــاء الـيُــســر يــطــفئ مــا ذكــا

مــنــهــا فــفــيــهــا مــا بــرحتُ أعَــذَّب

إن كــان تــخــلــيــدي بــنــارِ مَــفــاقِــري

عــدلاً فــأين الــفــضلُ عــني يَــذهب

آمـــنت بـــالــقــاضي عــليَّ بمـــا به

مــني الــتــبــصُّرُ بــعــد صــبــري يُــسلَب

عن حــكــمــةٍ لــله فــيــنــا حــكــمُه

يمــضي وعــنــا وجــهُــهــا مُــتَــغَــيِّب

لــيت اعــتــقــادي أنــهــا مــوجــودةٌ

لسُــفــور صــفــحــتــهــا الجــمــيــلــةِ مُوجِبُ

فــلــعل رؤيــةَ ذي الــمَــفــاقِــرِ وجــهَــهــا

لــــعــــزائِهِ من حـــيثُ ولّى تَـــجْـــلُب

عـــبــدَالــعــزيــز وأنتَ أعــلمُ عـــالمٍ

وأجلُّ من خـــبَـــروا الأمـــور وجـــرَّبـــوا

هل لـــلـــقُـــنـــوطِ إذا تـــمـــكَّنَ داؤهُ

فــغــدا بــصــاحــبه يــعــيثُ ويــلــعب

غـــيــــرُ المـــنـــيـــةِ من دواءٍ نـــاجعٍ

فـــأُشَـــمِّــرُ الأذيـــالَ عـــنه أُنَـــقِّبُ

أم أن داءَ الــــيــــأس لم يُـــخـــلَق له

طِبٌّ به يُـــلـــوي ولا مـــتـــطَـــبِّبُ

إن يَـــذْوِ نَـــبْتُ قـــريـــحـــتي فلأنَّهُ

من مــاء دمــعي وهــو مِــلْحٌ يــشــرب

مَن ذا يُـفَـرِّقُ بـين عـيـني والـبُـكـا
وصَدوقُ مَخْمَصَتي يقول سَتَشْجَبُ[1]

يـا مَن به غـصَّتْ مَطـامعُ من نَـمَتْ
بـاريسُ إذ جـاءت لـتـونُسَ تَـغْـصِبُ

إن غَـرَّبـوكَ فـسـعـدُ مـصـرٍ أسـوةٌ
فـيه لمجـدكَ والـمَـهـيبُ مُـغَـرَّب[2]

والحق مـهـمـا تَـضْـطَـهِـدْهُ قُـوَّةٌ
يَـظْـهَـرْ وفي يمـنـاك مـنه مُـشَـطَّب[3]

فـاهـدأ فـحَـقُّكَ غـالبُ قُـوّاتِـهم
إن عـاجلا أو آجلا يُـتَـرَقَّب

لـلـحقِّ عـاقـبـةُ الأمـور وإن أبَـوْا
وبـسـيـفه سـببُ الـقُـوى مُـتَـقَـضِّبُ

****

(١) تشجب: تهلك.
(٢) سعد مصر يريد به سعد باشا زغلول كان زعيمًا مجاهدًا ضد الانجليز وقد نفاه الانجليز مدة.
(٣) المشطب: السيف.

مصيبة الحرمان وعظ

لـــقـــد كـــان الحـــلـــيبُ لـــنـــا إلـــيه
طـــــــريقٌ واضـحٌ ســــــــهلٌ رحــــــــيبُ
ومــــذ أصـــــبـــــحت لا فَـــلْسٌ ولا مـــا
دُوَيْنَ الـــفَـــلْسِ نـــاكَـــرَني الحـــلـــيب
فـــلـــستُ أرى إلـــيه الـــيـــوم دربًـــا
وكـــانت حـــسب مـــيـــســـرتي الـــدروب
وأي الـــــيـــــســــــر في شـــــروى بلادي
رأى اســــتــــــمـــــــرارَهُ حُـــــرٌّ أديب
فـــيـــا نـــفـــسي عن الـــلـــبن اصـــطـــبـــارًا
وإن أصـــــبـــــاك مـــــنه إلـــــيه طـــيب[1]
فـــإن أضـــحى ومَـــدعـــاهُ بـــعـــيـــدٌ
فـــكم أضـــحى ومَـــدعـــاهُ قـــريب
وهـــاتـــا عـــادةُ الأيـــام فـــيـــنـــا
تُـــرَدِّدُهـــا الحـــوادثُ والخـــطـــوب
ولا تـــنـــســى زمـــانًـــا كـــان فـــيه
يـــواتـــيكَ الحُـــوَيـــلِبُ والحَـــلـــوب
فـــكم لـــبنٍ مـــزجـــنـــا الـــشـــايَ مـــنه
وبـــاقـــيه تـــركـــنـــاه يـــروب
فـــأصـــبح بـــين إبـــريـــقي وبـــيـــني
يـــســـيـــر مـــســـارعًـــا كـــوبٌ رَغِـــيب

(١) أصباك: شاقك.

وإذ شـمسُ الـضـحى أذْكَتْ لـظـاهـا
وصـار لُـعـابُـهـا فـوقي يـذوب
أهَـبْتُ بـرائبٍ مـا هـال إلا
وهـان لـدى تَـحَـسِّـيهِ الـلـهـيب
فـكـانت شـربـتـان بـكل يـومٍ
أصـيـبُـهـمـا يـلـذُّهـمـا الـشَّـروب

✡✡✡✡

لـعلَّ مـصـيـبـةَ الحـرمـان وعظٌ
به وافت تُـنَـبِّـهُـنـا الـذُّنـوب
فـكم شـاةٍ حـلـبـنـاهـا وعـنـزٍ
ولم تُـشـبِع صـغـارَهـمـا الـشُّـخـوب
حـلـيب الأم لـلـمـولـود قـوتٌ
وأخـذي مـنه غـيـرَ الـفـضلِ حُـوب
وإني الـيـوم من مـاضي صـنـيـعي
إلى ربي لـيـغـفـرَهُ أتـوب

✡✡✡✡

لـو انـعـكـست أمـور الخـلق حـيـنًـا
وزَحـزحَ نـائبَ الـعـكْسِ الـمُـنـيبُ
لـرقَّت لـلـبـهـائم من ذويـهـا
ولانت بـعـد قـسـوتـهـا الـقـلـوب
وطـال من الـقُـسـاة لمـا جَـنَـوْهُ
عـلى الحـيـوان من قـبلُ الـنـحـيب
ولم نـسـمـع خـوارًا أو ثـغـاءً
يُـرَدِّدُهُ كـمـا تـقـضي الـكـروب(١)

(١) الخوار للبقر. والثغاء للغنم.

فليس صياحُهُ إلا دعاءً
به يمضي التألُّمُ أو يثوب[1]
على من قلبه منا عليه
كما لا يشتهي قاسٍ صليب
فما الحيوانُ للإنسان إلا
شبيهٌ في مشاعره ضَريب[2]
نُحِسُّ كما تُحِسُّ الأمرَ يأتي
به العيش البغيضُ أو الحبيب
حقوقُكَ أيها الحيوانُ عنها
أطال منامِيَ المرعى الخصيب
وإذ زال انتبهتُ فنال شكري
على التنبيه مرعايَ الجديب
وهاتا نقمةٌ كبرى يراها
منافرَها لو انجلَتِ الغيوب
إحالةُ لينِ عيشِ المرء يُبْسًا
إذا وعظته حيّاها اللبيب
ففيضُ مَعينِ يُسْرِ المرءِ مهما
به نُسِيَ الحقوقُ هو النُّضوب
لأن عليه من أعطاه يسرًا
رقيبٌ ليس يُهمِلُه حسيب
تذكر يا أخا النسيان رَبّاً
كما تأتي يُعاقبُ أو يُثِيب
وطالِعْ عدله في كلِّ شيءٍ
به تلقاك سِلْمٌ أو حُروب

(١) يثوب: يرجع.
(٢) الضريب: النظير والمثل.

بـــعـــينٍ من حِـــجـــائِكَ فـــهي عَـــيْنٌ
إذا انــفــتــحت تــكــشَّفَ مــا يُــريب
فــإن تــنــظــر بــهــا يَــظــهَــرْ جــلــيّــاً
لك المـــأمـــولُ مـــنه والـــرهـــيب
فـــلـم نُـــعْطَ الحِـــجَـــا إلا دلـــيلاً
إلى مــا الخــيــرُ فــيه بــنــا يُــهــيب
فــإن تَــسْــتَــهْــدِ عــقــلَكَ فُــزْتَ أوْ لا
فـــأنت بـــتـــركه مِـــمَّنْ يَـــخـــيب
عـــلى حـــسب اتِّـــبـــاع الـــعـــقل كلٌّ
غــدا في الأمــر يــخــطئُ أو يُــصــيب

****

الخطب هو الخطيب[1]

يــعــاني الــغَــرْبُ مــا تــنـبــو الجُــنـوبُ
بـهِ وولـــــيــــــدُهُ مــــــنـه يَـــــشـــــيبُ
حـــروبٌ خـــاضـــهـــا فـــسَــلُــوهُ مـــاذا
بـه تـــــــركـت من الأثـــــــر الحُـــــــروب
ولم يُــلْــفَحْ مُــحَــيّــا الــغَــربِ لــو لَمْ
يـــجِئْ من نـــار هـــيـــجـــاءٍ لـــهـــيب
فــجَــوْرَ الــغــربِ جَــرَّ عــلــيه مــا قــد
أبــــادتْ قــــلــــبَهُ مــــنه الــــنُّـــدوب
ذَووهُ الــــيــــوم بـــين ممـــيت عـــرْيٍ
وجـــوعٍ مـــا شـــكـــا شـــرواهُ ذيب[2]
وكـــانت أنـــعم الـــدنـــيـــا عـــلـــيـــهم
كـمــا شـاءوا سـحـائـبُـهـا تَـصُـوب[3]
فـصـــارت كـلُّـــهـا نِـقَـمًـا شـجـاهـا
له بـــحـــلـــوقـــهم طـــرّاً نُـــشـــوب[4]
تحـــوَّلَ فـــيـــهمُ مَـــشـــقىً وضـــنـــكـــاً
لــبــغــيــهِمُ نــعــيــمُــهُمُ الــرَّغــيب
فـأصـبح مـصـدَرَ الـبـسَـمـات فـيـهم
وصـــــادِرَهُ عـــــويلٌ أو نَـــــحـــــيب

---

(١) قالها في الحرب العالمية الثانية.

(٢) شرواه: مثله.

(٣) تصوب: تمطر وتنصب.

(٤) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرهما.

ومن لم يُوسعِ النَّعْماءَ شكرًا
فبشِّرْهُ بنائبةٍ تنوب
إذا نعَمُ المَعاشرِ أبطرَتهُمْ
ففيضُ معينِهنَّ هو النُّضوب
أسالوا أمسِ أدمعَنا اعتداءً
فسال اليومَ دمعُهُمُ الصَّبيب
ومهما جئتَ من عدلٍ وشَرٍّ
إليك يردُّهُ العَدْلُ الحَسيب
أتاهم واعظًا ما حَلَّ فيهم
وهل عِظَةٌ كما تُملي الخُطوب
خطيبُ الناس خَطْبُهُمُ فمهما
تكلَّمَ بينهم سَكَتَ الخطيب
فهل من سكرةِ البَطَرِ المعَفِّي
صَحَت منهم على الوعظ القلوب[1]
فتابوا خوفَ أن تأتي عليهم
عواقبُ ظلمهِمْ أم لم يتوبوا
فثالثةُ الأثافي - إن أصرّوا
على ماضي صنيعِهِمْ - قريب[2]
فإن حَرْباهُما رَمَتا مَضيغًا
أدَقَّتْهُ النواجذُ والنُّيوب[3]
فما رَمَتاهُ ممضوغًا فمنه
دَنَتْ للبَلْعِ آكلةٌ شَروب

---

(١) المعفي: المزيل للآثار.

(٢) الأثفية: ما يوضع عليها القدر، وكانوا يأتون إلى جوار الجبل فيجعلون بجواره اثفيتين والثالثة هي الجبل ويقال رماه الله بثالثة الأثافي أي بالشر كله. كأنهم قالوا رماه الله بالجبل الذي هو ثالثة الأثافي.

(٣) المضيغة: كل لحم على عظم والجمع مضيغ ومضائغ. والمضيغ أيضًا الممضوغ فعيل بمعنى مفعول.

طــويلاً أُمـــهِـــلـــوا حـــتى تـــأذَّتْ
من المـسـتـضـعـفـين بـهم شُـعـوب
وأطــغــاهم نــعــيمُ الــعــيش حــتى
دَهَـــتْـــنـــا من شُـــرورهِمُ ضُـــروب
وخِـــلْـــنـــا أنـــهمْ جُـــنّـــوا وأَن لَمْ
يَـــظَلَّ بـــهمْ لـــيـــرقـــاهُمْ أريب
أإهـــمـــالاً بـــدا الإمـــهـــالُ فـــيـــمـــا
أراهُمْ – من ظـنـونـهِمُ – الـكَـذوب[١]
فـجـاروا حَـسْبَ مـا ظـنّـوا إلى أن
دهـاهُمْ غِبُّ جَـوْرهِمُ الـعَـصـيب[٢]
هـو الإمـهـالُ لا الإهـمـالُ جـاءت
لـتـشـرَحَ مـتْـنَهُ لـهمُ الـكُـروب
ذنـوبٌ أكـثـروا مـنـهـا فـوافتْ
تُـريـهمْ كـيف عُـقـبـاهـا الـذُّنـوب
ومـا تـفـعـله تـلق الـله يـجـزي
به وفـقًـا يُـعـاقبُ أو يُـثـيب
عـجـبتُ لـكلِّ مَن في الـله مـنّـا
يُـخـامـرُ قـلـبَهُ شَكٌّ مُـريب
ومـن آثـــــارهِ فـي كـلِّ أمـــرٍ
لـمُـعْـمِلِ فـكـرهِ عـجبٌ عـجـيب
عِـظـاتٌ بـالـغـاتٌ كل يـومٍ
تُـوافي لا تَـغِبُّ ولا تَـغـيب[٣]

(١) الكذوب: هنا يريد به الشيطان.
(٢) غب جورهم: عقبى ظلمهم.
(٣) لا تغب: لا تغيب ولا تصل إلى نهايتها.

بأفئدةِ الأُلى ارتابوا وشَكُّوا
إلى الإيمان داعيها يُهيب[1]
فطالِعْها بِعَيْنِ حِجاك تُصْبِحْ
وداجي الشكِّ عنك بها مَجوبُ[2]
فؤادُ المرء إن يُمْرِضْهُ شَكٌّ
فمِن هذي العظاتِ له طبيب
تأمَّلْ ما ترى في كلِّ خطبٍ
به الأيام تذهب أو تؤوب
فإن خطوبَها حلوًا ومرًّا
بهنَّ لربِّهِ يصلُ اللَّبيب
وهل وهَبَ الحجى الإنسانَ إلا
ليعرفَهُ به اللهُ الوَهوب
أرى من يقتفي منا حجاهُ
إلى الإيمان منهجُهُ لَحوب[3]
ولم أر ما خلا الإيمان شيئًا
به للناس عيشُهُمُ يطيب
فهذا العيشُ راحتُهُ - لمن لم
يَعِشْهُ مؤمنًا أبدًا - لُغوب[4]
متى آمنتَ لا يَحْزُنْكَ أمرٌ
به دنياك تخطئ أو تصيب
فلم يَجزَعْ ولم يَهلَعْ فؤادٌ
من الإيمان ثَمَّ له نصيب

(١) يهيب: يدعو.
(٢) مجوب: مكشوف مأخوذ من جاب الشيء قطعه كما يجاب الجيب.
(٣) اللحوب: الوضوح. لحب الطريق لحوباً وضح، ومنه طريق لاحب ولحب وملحوب.
(٤) لغوب: تعب وإعياء.

ومـــا قَــلَّتْ لمن يـــقـــفـــو حِـــجـــاهُ
إلـى إيمـــانـه مـــــنــــــا الـــــدُّروب
إلـــيه كـــلُّـــهـــا الأشـــيـــاءُ طُـــرْقًـــا
لـــعـــين الـــعـــقل إن نـــظَـــرَتْ تـــثـــوب
فـــمـــــا شـيءٌ إذا فـــكّـــرتَ فـــيه
لخـــالـــقه بـــفـــكـــرك لا يُـــنـــيب
غَـــضـــارةُ كل شيءٍ إن تَـــسَـــلْـــهـــا
به تُـــخـــبِـــرْ ويـــخـــبِـــرْكَ الـــشُّـــحوب[1]
فـــسل مـــا رمت من شيءٍ تَـــجِـــدْهُ
إلـــيه هـــاديًـــا لك إذ يُـــجـــيب

****

(١) الغضارة: النعمة والبهجة والخصب وسعة العيش.

بلا وحدة ضياع[1]

ستبقى على الأحقاب حُقْبًا إلى حُقْبِ
خيالاً على رغم المنى وحدةُ العُرْبِ
وأيُّ أمور الناس وحَّدَ بينهم
إذا لم توحِّد بينهم شِدَّةُ الخَطْب
ولا خَطْبَ يُبلي صبرَ كل أخي نُهًى
كريمٍ ويطوي القلبَ منه على نَدْب
كهذا الذي يُضحي ويُمسي محوِّلاً
فلسطينَ من كربٍ شديدٍ إلى كَرب
وها نحن شَتّى لم يحوِّلْ مصابُها
تباعُدَ ذات البين منا إلى قُرب
ولو ألَّفَتْ ما بيننا يَدُ خَطبِها
كتأليفِ كفٍّ مثلُهُ الشعبُ ذو الإرْب
ورحنا جميعًا أو غدَوْنا لنصرها
لما طال منها المكث في الحادثِ الصَّعب
ولو تَمَّ من قبلُ اتحادُ بني أبي
أخافَ العدا منها المحَيّا الذي يُصبي
ولا حَلَّها أو حَلَّ أرضًا سَواءَها
لنا كاشحٌ مستشعرٌ نيّةَ الغصب
ونلنا احترام (الإنكليز) وغيرهم
على يَدِ صِدقِ الخوفِ أو كَذِبِ الحُبِّ

(١) نشرت في مجلة «السجل» في ١٩ من ذي القعدة ١٣٥٦ الموافق ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨.

فلـيس لـنـا مـنـهم صـحـيحُ مـودةٍ
يـكـفـكفُ عـنـا سَيْلَ شَرِّهِمُ الـمُـربي[1]
ولـكـنـنـا رغمَ الحـوادثِ لم تـكن
لِتُدركَ صدعَ الشملِ منا يَدُ الرَّأْب[2]
علـى علـمـنـا أن ليس غـيرَ اتحادنا
لنا مَعْقِلٌ يَخسي عيونَ بني الغَرب[3]
وقـد نـدَّعي قـرب الـوئـام فـيـنـبـري
علـينـا لسانُ الحـال يَشهدُ بالكِذْب
فـلـو لم يـكن مـنـا بـعـيدًا لأبـصَرَتْ
له آيـةً عـيـنـا فـلـسـطـين في الـذَّبِّ[4]
إذا لم يَـلُحْ في الـذَّبِّ عـنـهـا فـإنه
سـيبقى على الأيـام في حُـجُبِ الـغيب
عـجـبتُ لـنـا هل يلـتـقي عـامُ سِلْمِنا
إذا لم تـوحِّـد بـيـنـنـا سَـنَـةُ الحـرب
ولـيس لأشـتـات الـقـوى من مـؤلِّفٍ
كـمـوجـعـةٍ من صـحـبـهـا كلَّ ذي قَلْب
فـيـا أمـة الـعُـرب الـتي طـال نـومُـهـا
عـلى كل مـا يُـفـضـي إلى مـوتـهـا هُـبّي
فـإن تَـجِـدي أُولى المـنـام لـذيـذةً
فـإني أرى عـقـبـاه قـاصـمـةَ الـصُّلْب
أظَـلَّكِ إبّـانُ الـهُـبـوب وأنتِ من
أضـاليلِ أحلامِ الكرى بعدُ في لِـعْب

(١) المربي: الزائد.
(٢) الصدع: الشق. والرأب: الاصلاح.
(٣) خسأه، يخسئه: طرده وجعله يرتد، ويخسي مخففة من يخسئ.
(٤) ذب عنه: دفع ومنع.

فـقـومي انـظـري شـرقَ الـبلاد وغـربَـهـا
وما أدركـاه الـيـوم من مـرتعٍ خِـصْب
فـقـد أخـصَـبـا حَـسْبَ الـتيـقُّظِ مـنـهـمـا
وألـقـاكِ بـعـد الخِـصْبِ نـومُكِ في الجَـدْب
ومـا بـعـد جَـدْبِ الـشـعب غـيـرُ حِـمـامه
إذا لم تُـزِلْ مـكـروهَـهُ يـقـظـةُ الـشـعب
وإن لـم تَـشِمْ مـنـهـا تـبـاشـيـرَ فـجـرِهـا
فلسطينُ في التخليص من خَطبها الصلْب[1]
فـيـقـظـةُ أقـوامي سـتـبـقى دفـيـنـةً
بـتُرْبِ الـكرى حـتى يـعـودوا إلى الـتُّرْب
ومن لم يـنـبِّـهْـهُمْ أنـينُ ذويـهِمُ
لـدمعِ يـتـامى بـيـنـهم دائمِ الـسَّكب
ونَـوْحُ ثَـكـالى الأمـهـات يَـمُـدُّهُ
عـلى شَـجْـوِهِ مـا للأيـامى من الـنَّـدْب[2]
فـلـيس لـهم حـتى الـمـمـاتِ تَـنَـبُّهٌ
وإن لـم تـصـدِّقـني فـسَلْ كُلَّ ذي لُبِّ
وهل قـيـمـةٌ عـنـدي لجـسـمي إذا اعـتـرى
يَـدِي مـرضٌ إن لم أكـافـحْهُ بـالـطِبِّ
وهَـبْـنـا انـتـبَـهـنـا بـعـدمـا تـنـتـهي الـعِدا
وتَـفْـرُغُ من قـتلٍ هـنـاك ومن سَـلْب
فـمـاذا يُـفـيـدُ الإنـتـبـاه سـوى الـبُـكـا
لإهـمـالـنـا في وقـتـهـا نجـدَةَ الـصَّحب
لـعَـمْـرُ أبي مـا (الإنـكـلـيـزُ) بمـنـتَهٍ
لـهم مـطـمـعٌ إلا بِـنـاهٍ من الـرَّهْب

(١) شام: نظر.

فـإن تَـصْـدِمـوهُمْ كـفـكَـفـوا من شُـرورهمْ

وإلا أتَـوْا مـنـكم عـلى الـشَّـخْتِ والجَـأْب

فـلـيـست فـلـسـطـينُ بـآخِـرِ حَـسـوَةٍ

تَـبُلُّ صـدى الأعـداء بل أول الـشُّـرْب

وإن لم تُـغِـصّـوهُمْ بـهـا وتُـروهُمُ

مـرارةَ مـا ظـنّـوا من الـسـائغِ الـعَـذب

لـيـلـفِظَ مـنـهـا مـا أراد ازدرادَهُ

فَمٌ عـادُهُ بـلعُ الـلـذيـذ من الـنَّـهب

تَـحَـسَّـوْكُمُ حـتى يَـرَوْا أنـهمْ رُوُوا

ولا رِيَّ مـا شـامـوا الـثُّـمـالـة في الـقَـعب[1]

☆☆☆☆

ودِدْتُ بـجَـدعِ الأنفِ لـو كـنتُ مـبـصـرًا

قـديـرًا عـلى حـمل الـقـنـاة أو الـعَـضْب

لأشْـركَ من بـاتت فـلـسـطـينُ هَـمَّـهُمْ

من الـقـوم في طـعنِ الـطـغـاة أو الـضَّـرب

فـلـستُ أرى الـقـولَ المجـرَّدَ مـقـنـعًـا

وإن كـان عـذري غـيـرَ خـافٍ عـلى رَبّي

فـلـيس الـفـتى من يُـغـمِـدُ الجـبنُ سـيـفَهُ

ويـنـكُصُ إن عَنَّ الجـهـادُ عـلى الـعَـقْب[2]

ولـكنْ فـتى الـفـتـيـان عـنـدي هـو الـذي

يُـعَـدُّ من الإقـدام في الأسُـدِ الـغُـلْب

تَـطـايَـرُ عـنه في الـنـزال عُـداتُهُ

تـطـايُـرَ ريشٍ في زعـازعِهِ الـنُّـكْب

(١) شاموا: أبصروا. الثمالة: البقية من الطعام والشراب. والقعب: القدح الضخم.

(٢) عنّ: ظهر.

كـمـا جـاء «فـوزيٌّ» الـعلا و«سـعـيـدُهـا»
من الـعـملِ المـعـطيـهِمـا رِفـعـةَ الـشُّهْب[1]
وكلُّ كَـمِيٍّ ضَـمَّهُ عُـلَـمـاهُـمـا
لإعلاء صـوت الحق رغـمًـا عـلـى الـشَّـغْب[2]
فـقـد أعـربـوا في جُـرأةٍ عـربـيـةٍ
إلى الـيـوم لم تُـخْلِ الـطـغـاةَ من الـرُّعْبِ

****

(١) إشارة إلى رجلين من رجال المقاومة الفلسطينية في النصف الأول من القرن الماضي.
(٢) الكمي: الشجاع ولابس السلاح.

حققوا بثورتهم الآمال[1]

لـقـد أنـعـشَتْ مـصـرُ رجـاءَ بـني الـعُـرْبِ
فــأثــنى عــلــيــهــا مــنـــهمُ كلُّ ذي لُبِّ
غـدتْ من بـني الـعُـرْبِ الـكـرامِ جـمـيـعِـهم
مـنـاطَ عُـرى الآمـال في الـسِّـلْمِ والحَـرْبِ
رأوْا مـــنــــذ ثــــارت كلَّ أمـــرٍ أتت به
لـيَـعـرُبَ فـيه وجهُ مـنـفـعـةٍ يُـصـبي
فـمِن كلِّ مَن نـامـيه يَـعْـرُبُ مـا لَـهـا
مَـحَلٌّ لـعُـربٍ مـنـذ ثـارت سـوى الـقَـلب
كـمـا عن قـلـوب الـكلِّ أفـواهُـهم غـدت
مــتــرجــمــةً صـــدقَ المــودَّةِ والحُبِّ
عــتـبتُ عـلـيـهـا قـبل ثـورتـهـا لمـا
رأيتُ لــهــا إذ ذاك من مــوجِبِ الــعَــتْب
وهل يـــرتــضي المحــبــوبُ حُبَّ مُـحِــبِّه
إذا لم يـــعـــاتـــبه المحِبُّ عــلـى الـــذنب
فـــردَّت إلى حـــمـــدٍ عـــتـــابيَ كـــلَّهُ
لمـصـرٍ مـسـاعي أُسْـدِ ثـورتـهـا الـغُـلْب
مـسـاعٍ أقـرَّتْ أعـينَ الـعُـرب كـلِّـهم
فـذو الـبـعـد مـنـهم في اغـتـبـاطٍ وذو الـقُـرْب
فـفي كل يـوم نجـتـلي مُـنْـيَـةً لـنـا
بـسـعيٍ لـهم عن طـيب عـنـصـرِهمْ يُـنـبي

---

(١) قالها في ثورة مصر.

وأحـــدَثُ مــا سَــرّوا الـــنــفـــوسَ بــكـــونه
وإعلانِهِ الــدســتـــورُ ذو الــدفعِ والجَـــلْب
فلا بَـــرِحَتْ مـــصـــرٌ بـــهم وهـي مـــصــدرٌ
لــفـرحــةِ أسلافِ الــعــروبَــةِ والــعَــقْب
فـــأيُّ كـــرام الـــعُـــرْبِ مـــا سُـــرَّ قـــلـــبُهُ
ودســتــورُهـا الــشــعـبيُّ يُـعْـلَنُ لـلـشـعب
ومـــا الـــشـــعبُ إلا بـــعضُ أمَّـــةِ يـــعـــرُبٍ
عـــلى حـــالــتَيْ رهبِ الحـــوادث والـــرَّغْب
تــبــسَّمَ عــنـــهم ثــائــرين فــحـــقَّــقـوا
بــثـــورتـــهم آمـــالَـــنــا مـــبــسمُ الــغـــيب
وكم كَنَّ صـــدرُ الــغـــيب رفـعًـــا بمــثـلـــهم
لمن كـان مـثلَ الـعُـرْبِ يـشـكـو من الـنَّصْب
وعــنــد اشــتـــداد الحـــاج تَــرفَعُ عــنـــهمُ
يـد الـلـه مـا يـضـفـو عـلـيـهم من الـحـجب
فـــعَـــدلٌ وخـــصبٌ واتحـــادٌ بـــديـــلـــةٌ
من الـفُـرقـةِ الـنـكـداءِ والـظـلمِ والجَـدْب
وإنـــا لـــنــرجـــو أن يــتـــوَّجَ ســعـــيُـــهم
بــنــزعــهِمُ من جــنــبــنــا شــوكــةَ الجَـنْب
فــقــد كُـرِبَتْ مــنــا الــقــلـوبُ ولم يــكن
سـوى نـزعـهـا يـشـفـي الـقـلـوبَ من الـكـرب
تـــأذّى بـــنـــو قـــومي فـــسَـــرَّ أذاهُمُ
أنـاسًـا أقـامـوهـا طـريـقًـا إلى الـسَّـلْب
ولـــو لم يَـــسُـــرَّ الــكـــلبُ بـــالــعَــقْـــرِ رَبَّهُ
لمـا زَفَّ بـعـد الـعـقـر خـيـرًا إلى الـكـلب
وهـــا هي حـــتى الــيـــوم مـــوضعُ عَـــيْـــنـــهِمْ
بمـــا تـــشـــتـــهي من جَـــزلِ مـــالٍ ومن ذَبِّ

جـرائـمُـهـا اللاتي نَـمَتْ وتـعـدَّدَتْ
يَـراهُنَّ أهلُ الـغـرب بـالـعـكسِ والـقَـلْب
فـمـا نـشـتـكي من صـنـعـهـا يـشـكـرونَهُ
لـهـا بـلـسـانٍ من مـعـونـتـهِمْ رَطْب
ولـو لم يـريـدوا رميَ قـومي بـكلِّ مـا
يُـطِـيـبـون من شَـخْتِ الأذيَّـةِ والجَـأْب[1]
لمـا أسـكـنـوا يـومًـا فـلـسـطـينَ عُـصـبَـةً
عـلـى الـقـتل غـدرًا قـد رَبَتْ وعـلـى الـنَّـهْب
وشَـدّوا الـقُـوى مـنـهـا بـتـسـلـيحِـهم لـهـا
إلى أن غـدت تحـكي بـه ذَنَبَ الـضَبِّ
وسَـدّوا عـلـيـنـا طُـرْقَ تـسـلـيـحـنـا فـلم
نَـنَلْ بـرضـاهـم من سِـنـانٍ ولا عَـضْب
سـمـاؤُهـمُ كـانت صـواعقَ فـوقـنـا
وفـوق بـني صـهـيـون ممـطـرةَ الـسُّـحْب
لَـهُمْ أبـعـدوا عن أرضِـنـا أهلَ أرضـنـا
بـأيـدي قـوًى تِـنِّـيـنُـهـا دائبُ الـلَّـسْب[2]
لـتـبـقـى رحى اسـتـعـمـارهم في ديـارنـا
تـدور من الـغُـدْرِ الـيـهـودِ عـلـى قُـطْب
فـكلُّ فـؤادٍ يـعـربيٍّ قـد انـطـوى
لـصـنـعِـهِمُ الـوحـشيِّ هـذا عـلـى نَـدْب[3]
عـلـى ظُـلـمـنـا من سـاسـة الـغـربِ لا أرى
سـوى مُـقـدِمٍ طـوع الـهـوى بـطلٍ نَـدْب[4]

(١) الشخت: الدقيق والنحيف. والجأب: الغليظ.
(٢) اللسب: اللدغ.
(٣) الندب بفتح النون والدال: الجرح وسكنها للشعر.
(٤) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع والظريف والنجيب.

ويــــأبَــــوْنَ إلا أن نُــــصَــــدِّقَ أنـــــهم
لــنــا أصــدقــاءٌ مــخــلــصــون بلا رَيْبِ
بمـــا أســـمـــعـــونـــا من كلام مـــودةٍ
تُـكـذِّبُهُ الأفـعـال في الـوَهْـدِ والـهَـضْبِ (١)
لِـــيــانٍ مـــقـــالٍ قـــد يَـــغُـــرُّ لـــوَ انَّهُ
يــجيءُ بلا لــدغٍ من الــعــمل الــصُّــلْبِ
نــفــاقٌ أتـى اســتــعــمــارهم دارعًــا بهِ
وخَبٌّ فــبــعــدًا لــلــنــفــاق ولــلــخَبِّ (٢)
أبــالــسِّــهْمِ مـسـمـومًـا تـريـد إصـابـةً
لمـا بـين أضلاعي من الـكِـبْـدِ والخِـلْبِ (٣)
وتـــزعم لي مـن بَـــعْـــدُ أنك وامِـــقي
وهل مِـقَـةٌ تـدني إلى مـنـقـضي الـنَّـحْبِ (٤)
بَـنـو يـعـربٍ يـا غـربُ لـيسـوا كـمـا تـرى
مـجـانـينَ حـتى يـأخـذو مـنك بـالـكِـذْبِ
وإن لم تُـغَـيِّـرْ في فـلـسـطـين مـا جَـنَتْ
يــداك بـرَدِّ الــصَّـدعِ مــنــهــا إلى رَأْبِ
فـغـيـرُ مُـحـالٍ أن تـرى من حـسـابـنـا
عـسـيـرًا متى وافى تَـقُلْ مـشـفـقًـا حَسْبي
وإن تَـرَهُ صَـعْـبًـا عـلـيـنـا فـكم ثـنى
إلى الـسَّـهلِ صـنـعُ الـله مـا كـان من صَعْب

✲✲✲✲✲

(١) الوهد: المطمئن من الأرض. والهضب: الجبل المنبسط.
(٢) الخب: الخداع.
(٣) الخلب: حجاب القلب.
(٤) وامق: محب، والمقة: الحب. منقضي النحب: الهالك المنتهي الأجل.

رَمَـتْـنـا من الـغـربِ الـرُّمـاةُ بِـشَـرٍّ مـا
به يــنــثــني الأمنُ الــعــمــيم إلى رَهْبِ
بمــجــمــوعــةٍ من كلِّ من نَــبــذَتــهُمُ
ديـارُ الـورى نـبذَ الـشِّبـا ع نـوى الـقَسْب[1]
لـكـيـمـا يَـرَوْا مـنـهـا أداةً خـبـيـثـةً
ملازمــةً نــشــرَ المــفــاسـد والــرُّعْب
فـمـا مَـرَّ يـومٌ لم تَـثِب فـيه حَـسْبَ مـا
يـشـاءُ لـهـا الـطـبع الـغَـدورُ من الـوَثْب
وقـد أمِـنَتْ مـنـا لـطـولِ احـتـمـالـنـا
عــواقبَ مــا تــأتــيه من عــملِ الــذَّنْب
ويـا طـالمـا غَـرَّ الـتـغـاضي مـشـاغـبًـا
فـأوغل حـمـقًـا في الـتـحـرُّشِ والـشَّـغْب
إلى أن تـلــقّــاهُ الـخـصـيمُ مـجـازيًــا
بمـرغـمـةٍ مـنه الـمُـعـيـطسَ في الـتُّرْب[2]
وفي حُـمْقِ إسـرائـيل لم أَرَ مـعـشـرًا
تـكـشَّفَ عـنه الـعـصـرُ أو ورقُ الـكُـتُب
عصـا الـسُّبْلِ ألـقـتهـا من الأرض حيثُ لا
أمــانَ لـعــادٍ من زعـازعِـهـا الـنُّـكْب
وظـنَّتْ جـوازَ الـعـيش بـين ضـيـاغمٍ
صـحـاحٍ لـذؤبـانٍ مـحـرَّشَـةٍ جُـرْب
كـأنَّ أُسـودَ الـغـابِ تُـدرك مـثـلـهـا
من الـغـاب في سـهل المـرابضِ والـرَّحْب

(١) القسب: الثمر اليابس.
(٢) المعيطس: تصغير المعطس وهو الأنفس. وارغمه جعله في الرغام وهو التراب، ويراد بمرغمة المعيطس: المذلة والإذلال.

أطـــاعت من المـــغـــوينَ كلَّ مـــغـــرِّرٍ
بـهـا يـبـتـغي مـنـهـا وسـائلَ لـلـكَـسْبِ
ولم يَـــغْــنِهِ من شـــأنـــهـــا مــثلُ مـــا بهِ
يـظلُّ من الـشـرقـين في المـرتَعِ الخَـصْبِ
ولـــو فـــكَّـــرَتْ خـــافت تَـــبَـــوُّأ مــــنـــزلٍ
ممـيتٍ لـــهـــا ممـــا غـــدا حُـسْـنُهُ يَـسْـبي
ولم يَـغـوِهـا مــغـوٍ لـــهـــا بـــنـــزوله
ولـو جـاءهـا الإغـراء من سـاحـرٍ طَبِّ
ولـكن عـسى اسـتـئـصـالُ شـأفَـتِـهـا دَنـا
فـكم من عـذابٍ قـد تـولَّـدَ من عَـذْب
ومـــا طـــيـــران الـــنـــملِ إلا عـلامـــةٌ
عـلى أنه مـنه دنـا قـاسمُ الـصُّـلْب
وأكـــبَـــرُ ظـــني أنه حُمَّ مـــوتُـــهـــا
بـأيدٍ شـدادِ الـطعنِ في الحـربِ والـضَّرْب
طـوالٍ مـتـيـنـاتِ الـقـوى يـعـربـيـةٍ
عـلـيـهـا يـتوبُ الـغـاصـبون عن الـغَـصْب
بـهنَّ سـيـرمـيـهم جـمـالٌ وصـحـبُهُ
فـقل في جـمـالٍ مـا تـشـاء وفي الـصَّـحْب
بـــنـــا ســـلـــكـــوا دربًـــا إلى كلِّ مـــا به
يـعـود لـنـا المجـدُ المنـيفُ عـلى الـشُّـهْب
وغــايـــةُ هـــذا الـــدربِ غـــيـــرُ بـــعـــيـــدةٍ
فـأمـثـالُـهم تـدنـو بـهم غـايـةُ الـدرب
فَـزِدْ من حـيـاتي في حـيـاةِ جـمـالـنـا
وأصـحـابهِ الـغُـرِّ المـيـامـين يـا ربِّي
فـمـحـيـاهُمُ مـحـيًـا لآمـال يـعـربٍ
وأبـنـائِه في الـشـرق كـانـوا أوِ الـغَـرْب

أُحــــيِّــــيــــهِمُ طُـــرّاً وأرجـــو بـــقـــــاءهم
نجـوم هـدًى لـلـعـرب في مـظـلـمِ الخَـطْب
أطَـلْتُ عـتـابي قـبلُ والـيـوم أشـتـهي
من الحـمد مـا يحكيه في الطول أو يُربي[1]
فـيـعـتـاقـني عن ذاك ضـعفٌ به رمى
قـوى جـسـدي رامٍ ممـيتٌ من الـشَّـيْب
وهل ضـعفُ جـسمِ المـرء يـتـرك عـزمَهُ
قـويّـاً يـواتي لـلـحـصـول عـلى الإرب[2]

****

(١) يربي: يزيد.
(٢) الإرب: الحاجة.

حبي يجذبني[1]

يُـــخَــيَّلُ لي أني ثــقــيلٌ عــلى الأُلى
أزور من الـصِّـيـدِ الأُلى وَدَّهُمْ قــلــبي[2]
لــذلك من شــاقــوا فــؤادي يَــرَوْنَــني
قـلـيلَ الـلـقـا بـالـرغم من كـثـرةِ الحُب
ومن يــتــخــيَّلْ ثِــقْلَ زورته يــكن
لـمـنـزلهِ حِـلْـسًا حِـذارَ أذى الـصَّـحْب[3]
ومـــا ليَ في دفع الـــتــخــيُّلِ من يَــدٍ
فـأغـدُوَ مــنــهم طـوعَ ودّي عـلى قُــرْب
إذا عَــنَّتِ الـعــاداتُ يــوجِـبْنَ وصــلَــهم
أبى أن أراهُ تــاركًــا نـــحـــوَهُمْ دَرْبي
فـلم أَلْقَ من صـحـبي الـكـرامِ مـهـنِّـئًا
بـذا الـعـيدِ من مَـلْـقـاهُ لي شـائقٌ مُـصْـبي
قــعــدتُ وحُــبّي أن أقــوم مــؤديًــا
حـقوق صـحـابي الـغُـرِّ يـشـتـدُّ في جَذْبي
فـلم يَـسْـتَـحِلْ كـونُ الـتـخـيُّلِ صـادقًـا
كـمـا جـاز مـنـه أن يـوافيَ بـالـكِـذْب
فـإن كــان ذا صــدقٍ أرحتُ أحــبَّــتي
وإن كــان ذا كــذبٍ فـيــا حَـسْـبَهُ رَبّي

---

(١) كانت عادته أن يزور الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في الأعياد للتهنئة. ولما لزم بيته أرسل هذه القصيدة للشيخ يوسف يعتذر فيها عن زيارته له للتهنئة بالعيد.

(٢) الصيد: جمع الأصيد وهو الذي يرفع رأسه كبرًا ويراد بهم هنا الكبار العظماء.

(٣) يقال فلان حلس بيته: إذا لم يبرحه. وأصل الحلس ما يبسط تحت المتاع وما يوضع تحت لبد الدابة.

فـــهل فـي قـــعـــودي عن أدائـيَ واجـــبًـــا
عـلـيَّ بـه الـــعـــادات يـــحـــكُـمْنَ من عَـــتْبِ
أجِـــبْـــنِـيَ يـــا فـــخـــرَ الـــكـــويت ومن بـه
حـوت رغـم تـصـغـيـر اسـمـهـا أعـظَمَ الـشُّهْب
فـمـــا أنـــا عن فـتـوى ابن عـيـسـى بمـــائلٍ
ولـو جـشَّـمَـتْني الـسـيـرَ في مـسـلكٍ صَـعب
أرى طـــاعـــتي إيّـــاه مـــفـــخـــرةً عـــلـى
مـــفـــاخـــرِيَ اللائي أدَلَّ بـــهـــا تِـــرْبي[1]
فـــيـــوسفُ هـــاديـــنـــا وهـــادي هُـداتِـنـــا
إلى غـــايـــتَيْ شَـــخْتِ المـــكـــارم والجَـــأْب[2]
فــلـــولاه لم أعـــرف طـــريـــقي إلى الـــعُلا
ولم أقضِ حـتى الـيـوم من وصـلـهـا إرْبِي
سـجـايـاه أعـجـبن الـنـفـوسَ نـفـاسـةً
ولم نَـــلْـــقَهُ يـــومًـــا بـــهنَّ أخـــا عُـــجْب
كـــأن لـم يـــكـن يـــدري مـــحـــاسنَ نـــفـسه
وقـــد راح مـــســـحـــوَّرا بـــهـــا كلُّ ذي لُبِّ
ولـــو كـــان شـــعـــري كفءَ وصـفِ خِلالِه
لمـــا كـــان إلا وصـــفَـــهُنَّ به دأبي
فَـحَـسْـبِيَ فـخـرًا أن أكـون مـواظـبًـا
بـشـعـري عـلى وصـفي خلائـقَهُ حَـسْبي
ولـكنَّ شـعـري لم يـكن كفءَ وصـفِـهـا
ولـو كـان مـنـظـومًـا من الـلـؤلـؤ الـرَّطْب

****

(١) أدل على أقرانه: تعاظم عليهم واجترأ. الترب: النديد الذي سنه مثل سنك.
(٢) الشخت: النحيف الدقيق. والجأب: الغليظ.

المرء حسب السجايا[1]

أثــنى عــلــيك مُــحِــقّــاً مــقــولُ الأَدَبِ
يــا من نمــاهُ لخــيــرِ الــرُّسْلِ خــيــرُ أبِ
فــكم نــظــرتَ إلى الآداب تــنــعــشُــهــا
وأهــلِــهــا نــظَــراتِ المــشــفِقِ الحَــدِبِ
وكم عــطــفتَ إلى الآداب مــنــحــرفًــا
عــنــهنَّ عطفَ سديد الرأي ذي الدَّرَب[2]
فــصــار يــســكنُ لــلآداب مــنــجــذبًــا
لــهــا انجــذابَ أخي الأطــمــاع لــلــذَّهَب
وكــان قــبلُ عن الآداب مــبــتــعــدًا
ولا ابــتــعــادَ صحيحِ الجِلْدِ عن جَرِبِ
فــلو حَبَتْكَ الكويتُ الشكر منصفةً
صــاغــتهُ مُحْكِمَةً من جَوْهَرِ الشُّهُب
فــأنت أنت إذا آدابُــهــا نَــبَــسَــتْ
أفــواهُــهُنَّ بــشــكــوى نــازلِ الــنُّــوَب[3]
عــنــايــةٌ مــنكَ بــالآداب دائــبــةٌ
ولا ســآمــةَ والإســامُ في الــدَّأَب
ســجــيَّــةٌ فــيك حب الــعــلم راســخــةٌ
رســوخَ حُبِّ ذويه مــنك في الــعَــصَب

(١) بعث بها إلى صديقه الفاضل السيد عبدالرحمن بك بن السيد خلف باشا النقيب.
(٢) الدرب: التجارب.
(٣) نبست: نطقت.

أجـــبت في رفـــعِكَ الآدابَ دعـــوتـــهـــا
ومن ســـوى طــبـــعه نـــاداهُ لَمْ يُـــجِبِ
والمـرء حَـسْبَ الـسَّجـايـا فـيه تـنـعـتُهُ
بـالحـمـدِ أو ذَمِّـهـا الـنُّـعَّـات في الـعُـصَب
مـا الـطـبعُ لـلـجِـدِّ مـيـالاً بـصـاحـبه
كـالـطـبع في المـرء مـيـالاً إلى الـلَّـعِب
فــطــبعُ ذي الجِـدِّ يُــولــيهِ ويُــتــحــفُهُ
من حـمـدِ كل أُلي الألـبـاب بـالـنُّـخَب
وطـبعُ ذي الـلَّـعِبِ المـمـقـوتُ مـرتـسمٌ
في عِـــرضِـهِ نُـــدَبٌ مـــنه عـــلى نُـــدَب
كلٌّ يُـريـدُ مـعـالي المجـد يَـكْـسِـبُـهـا
والـــطــبعُ يـــغـــلـــبُهُ مـــنه عـــلى الأرب
وإن تَـكُنْ سُـبْلُ أهلِ الجـهلِ مـتـعِـبَـةً
ولـــيس في سُـبُلِ الـلُّـعّـاب من تَـعَب
فـــالـــنـــبعُ مـــا نـــال إلا من صلابـــتِهِ
في كل غـاشـيـةٍ فـضـلاً عـلى الـغَـرَب[1]
هل حـاز قَطُّ أثـيلَ المجـدِ غـيـرُ فـتًى
لم يـكـتـرث في طـريق المجـد بـالـنَّـصَب
من خـاف من خـطـر الـرَّجّـاف يُـهـلـكُهُ
فـكـيف قُلْ لي لَهُ بـالـلـؤلـؤِ الـرَّطِبِ[2]
ومن يَـخَفْ من عـوادي الـنـحل عـاديـةً
فـغـيـرُ ظـافـرةٍ كـفّـاهُ بـالـضَّـرَب[3]

---

(١) النبع والغرب: نوعان من الأشجار.
(٢) الرجاف: البحر.
(٣) الضَّرَب: العسل الأبيض.

يـا من بـحـبَّـةِ قـلـبي الـيـوم قـد سـكـنَتْ
له المحـبَّـةُ سُـكـنى غـيـرِ مُـنْـقَـلِبِ
لـو لم تـكن لأَبَـرِّ الـرُّسْلِ مـنـتـمـيًـا
لـكـنت من بِـرِّكَ المـوصـول في عَـجَب
لـكن فـرعَكَ من أزكى الجـذور بـدا
والطيب في الجذر يُبقي الطِّيبَ في الشُّعَب
والـفَـرْعُ كـالأصل في طـيب الـثـمـار أمـا
يـأتي الـفـسـيل كـمـثل الـنَّـخْلِ بـالـرُّطَب
وأصـلُكَ الأصلُ إذ أضـحت وشـيـجـتُهُ
مـوصـولـةَ الـسـببِ الأقـوى بـخـيـرِ نَـبي[1]
بـخـيـرِ من بـهُـدى إرشـاده رَشَـدَتْ
هـذي الـبـريـةُ من عُـجْمٍ ومن عَـرَب
بـخـيـر من هـتـكت أنـوارُ بِـعـثـتِهِ
من كل ديـجـورِ جـهلٍ أكـثَفَ الحُـجُب[2]
بـخـيـرِ من مـدحـتي عـلـيـاءَهُ قُـرَبٌ
تـعـتـدُّهـا مـهـجـتي من أفـضلِ الـقُـرَب
وكـيف أمـدحُ من جـاءت مـدائـحُهُ
من بـارئ الخـلق في الأسـمى من الـكـتُب
مـا قَـدْرُ مـدحك يـا «صـقـر» الـذي وردت
في مـدحه مـعـجـزاتُ الـمِـقْـوَلِ الـذَّرِب[3]
آيٌ من الحق مـا جـال الـبـصـيـر بـهـا
بـلـحظِ نُـهْـيَـتِهِ يـومًـا فـلـم يُـنِبِ[4]

(١) الوشيجة: ما يشد به ويوصل.
(٢) الديجور: الظلمة.
(٣) المقول الذرب: اللسان الفصيح.
(٤) النهية: العقل.

أتــيــتــنـي يــا أبــا «نــوري» بــعــارفــةٍ
فــقــلــت لا بــدع غــيثٌ جــاء من سُــحُب
لــكن بــلــوغُ مــدى مــا تــقــتــضــيه لــكم
من واجب الـشـكـرِ عنه الـعَجْـزُ يَقْـعُـدُ بي

****

العلمَ العلمَ

نَشْءَ الكويتِ صِلوا بالجد والدَّأَبِ
ما يَستجدُّ من الأيام والحِقَبِ
لا شيءَ كالعِلْم يُدني نَفْسَ صاحبهِ
من الحياة ويُقصيها عن الشَّجَب[1]
وليس كالعلمِ للعلياءِ من دَرَجِ
وليس كالعلم للنَّعماء من سَبَب
لم يُبدِلِ الجَدْبَ خِصْبًا غيرُ مُمْطِرِهِ
للناس من هذه الأفرادِ والعُصَب
ولا يمينَ اجتنت إلا ببسطته
ثمارَ نازحةِ الخيرات عن كَثَب
الشرقُ والغربُ قد نالا به رُتَبًا
جَلَّتْ عن الوصف بالأشعار والخُطَب
لولا العلومُ لما أبصرتُمُ أحدًا
يرقى إلى الرتبة العلياء في الرُّتَب
ولم تَرَوْا أمَّةً في الناس ساحبةً
كما تريد ذيولَ المجدِ والذَّهَب
وليس للطَّلَبِ المطلوبِ آونةٌ
كهذه فابذلوا المجهودَ في الطَّلَب
وثابروا واستحثّوا كلَّ من فَتَرَتْ
منكم عزيمتُهُ أو مال لِلَّعِبِ

(١) الشجب: الهلاك.

حتى نرى الوطن المحبوبَ مشتملاً
من مجدكم بثياب المفخَرِ القُشُبِ
يا أيها النَّشْءُ ماكانت جدودكُمُ
يَرضَوْنَ إلا بسبقِ الناس والغَلَب
ولا سبيل إلى سبقٍ ولا غلبِ
لعادلٍ عن سبيلِ العلم مجتَنِب
فأتعبوا في التماس العلم أنفُسَكم
تُثْنوا إذا انجلَتِ العُقبى على التَّعَب
لولا متاعبُ غُرّاسِ النخيلِ لَما
جَنَتْ أكُفُّهُمُ شيئًا من الرُّطَب
من يعرفُ الغايةَ المثلى تَطَلَّبَها
مهما رأى سُبْلَها ترميه بالنَّصَب[1]
ما كان حبلُ عُلا من نحنُ نَسْلُهُمُ
– لو لم نكن نحن جُهّالاً – بمنقضِبِ
ولا اتِّصالَ له إلا بعلمكمُ
فعن سوى أخذه كونوا ذَوي نَكَب[2]
تعلّموا تُرجِعوا ما انبتَّ متّصلاً
فمن يَرُمْ مطلبًا بالعلم لم يَخِب[3]
فليس بالعلم كسرٌ غيرَ منجبرٍ
وليس بالعلم ناءٍ غيرَ مقتربِ
ما لي أبثُّ مزاياهُ وليس على
وجوهها الفاتناتِ الحسنِ من حُجُب

(١) النصب: التعب والإعياء.
(٢) النكب: العدول والنكوص.

مـــــا كُنَّ قَطُّ إلى الإبـــــراز في عَـــــوَزٍ
فـقــد بــرزنَ بــوجهٍ غـيــرِ مــنـتــقِبِ
وصـفـحـة الـشـمس تـغـني كل ذي نـظـرٍ
عن وصــفـهــا بـلــســان الـقــائل الـذَّرِبِ
لـكنْ تَـغَـنّي الـفـتى بـالحـسن يُـطـربُهُ
وقـــد تـــغـــنَّـــيتُ أبـــغي لـــذَّةَ الـــطَّـــرَبِ

****

بين العري والسغب

ذكــرتُمُ كلَّ شيءٍ كــان مــقــتــضــيًــا
إصلاحَــكُمْ ونــســيــتُمْ خــادِمَ الأَدَبِ
وقــد ألــوذُ بــركنِ الــصــبــر مــنــتــظــرًا
نــحــوي الــتــفــاتــكمُ المــرجُــوَّ عن كــثَب[1]
لــو كــان ســالفُ عــهــدَيْــنــا لحــاضِــرنــا
أبــقى من الــصــبــر ركنًــا غــيــرَ مــضــطــرب
مــا زلتُ من فــاقــتي في من قــضى ومــضى
أشــكــو الإقــامــة بــين الــعُــرْيِ والــسَّــغَب[2]
فــهل من الــعــدل أن أبــقى تُــنــاوبُــني
أيــدي الــنــوائب إعــســاري وتــلــعبُ بي[3]
ألــــيس من واجب الآداب أخـــذُكُمُ
بــكفِّ خــادمــهــا الــمُــشــفي عــلى الــعَــطَب

****

(١) عن كثب: عن قرب.
(٢) السغب: الجوع.
(٣) يريد بهذا أن أيدي المصائب تقلب عليه حالين هما الإعسار واللعب به.

اتحاد مصر وسوريا[1]

بـــين (شـــكـــري) و(جـــمـــالِ) الـــعَـــرَبِ
خـــــيـــــرُ حِـــــلْفٍ مـــــوصـلٍ لِلأرَبِ
أتْـــــبَـــــعـــــاهُ بـــــاتحــــادٍ صــــارفٍ
- مــثلَ مــا نــهــوى - صــروفَ الــنُّــوَبِ
اتِّـــــحـــــادُ سَـــــرَّ جِـــــدّاً كلَّ من
قـــد نمـــاهـم يـــعـــربُ الحُـــرُّ أبي
اتحــــادُ مـــــجـــــدُ أقــــوامي رأى
لــــرَحـــاهُ مـــــنه أزكى قُـــــطُبِ
اتحــــادُ حـــــين بُـــــشِّـــــرْتُ بهِ
قـــلتُ لـــلـــقـــلب الحــزينِ الحَـــرِبِ
يـــا حـــزيــنًـــا لــلــتــنــائي بــيــنــنــا
قـــد تـــدانـــيـــنـــا فـــصـــفِّق واطـــرَبِ
اتحــــادُ مـــــا لـــــضـــــاديٍّ إلى
مـــــعـــــقلٍ إلاه من مـــــنـــــقَـــــلَبِ
فـــلـــعـــدنـــانٍ إلـــيه كـــلِّـــهـــا
كلُّ شـــوقٍ مـــثـــله من يـــعـــرُبِ
فـــهـــو المـــنـــجي لـــهم في عـــالمٍ
مُـــسْـــبِعِ الأرجـــاء طُـــرّاً مُـــذْئِبِ
فـــيه لا يـــنـــجـــو من الـــفَـــرْسِ ســـوى
بـــارزِ الـــنِّـــابِ حـــديـــدِ المخـــلَبِ

---

(١) قالها في ١٩٥٨/٢/٢٢.

واتحـــادُ الـــقـــوم أقـــوى مـــا ثَـــنى
لـــهُمُ أمـــنًـــا شـــديـــدِ الـــرَّهَبِ
كـــالـــذي الحُـــرّانِ جـــاءانـــا به
مُـــدْنِـــيًـا مـــنـــا جـــمـــيلَ المـــطـــلَب
نـــأملُ الأجـــملَ مـــنه كـــلّـــمـــا
قـــد تَـــنَـــمَّى فـــهـــو الـــيـــومَ صَـــبي
فَـــلِـــشـــكـــري خـــيـــرُ شـــكـــرٍ مـــثـــله
لجـــمـــالٍ مُـــعـــتـــلي الـــقـــدر الأبي
اســتــضــيــئي بــهــمــا يــا أنــفــسًــا
تُـــهْنَ في ظـــلـــمـــاء ظُـــلْمِ الأجـــنـــبي
فـــكِلا الحُـــرَّيْنِ بـــدرٌ طـــالـــعٌ
في بــني الــضــاد لــكــشف الــغــيــهب[1]
وظلامُ الـــظـــلم مـــنـــجـــابٌ بمـــا
أرسَلاه من ســـنًـــا مـــلـــتـــهِب
بــعــضُــنــا الــيــوم يــهــنّي بــعــضَــنــا
بك يـــا عـــيـــدُ ومـــا من عَـــجَب
خـــيـــرُ عـــيـــدٍ أنت عـــنه ارتـــفـــعت
لـــعـــيـــون الـــعُـــرب حُـــجْبُ الحِـــقَب
أيُّ عـــيـــدٍ مـــشـــبهٌ مـــا ضـــمَّـــنـــا
بـــعـــد تـــشـــتـــيتِ الـــزمـــانِ المـــذنب
أنت عـــيـــدٌ طـــولَ مـــحـــيـــانـــا لـــنـــا
وإذا مـــتـــنـــا فـــعـــيـــدُ الـــعَـــقِب[2]
بك أرضـــانـــا زمـــانٌ طـــالمـــا
قـــد رمـــانـــا بـــالـــمُـــشِتِّ المـــغـــضِب

---

(١) الغيهب: الظلمة.

(٢) العقب: العاقبة، وهنا يريد من يعقبنا ويأتي بعدنا.

يــا رئــيــسَــيْـنــا مُـرانــا نــأتــمــرْ
بــــعــــدَ هــــذا وادعُـــوانـــا نُــجِب
لــكُــمـــا الــوحــدةُ لم تــتــرك ســوى
كلّ مـــــصغٍ من فـــتًى أو أشــــيَب
ويـــقـــول الـــكل عَــمَّنْ عــنــكــمـــا
ثـــقـــلت مـــنه الخـــطى لم يُـــصِب
جـئـتـمـانـا - بـعـد عـيشٍ يـشـتـكى
خـــبـــثَهُ الـــكل - بـــعـــيشٍ طَـــيِّب
بـــكـــمـــا الـــيـــوم تـــأتت وحـــدة
قـــوبـــلت مـــنـــا بـــألـــفي مـــرحب
قـد لمـسـنـا الـكُـنْهَ مـنـهـا صـادقًـا
لا خـــيـــالاً إن تـــراءى يـــكــــذِب
وحـــدة فـــيـــهـــا رأيـــنـــا بـــردى
نـــيلَ مـــصـــرٍ وهي شـــطـــرا حَـــلَب
لم نُـــعَـــوِّلْ قَطُّ في المحـــيـــا عـــلى
شـــبـــهـــهـــا حـــصـــنًـــا ولم نـــنـــجـــذب
وحـــدة لا نـــتـــمـــنّى فـــوقـــهـــا
غـــيـــر أن تـــبـــقي بـــقـــاء الـــشـــهب
مـــشـــرقيُّ الـــعُـــرب يـــلـــقى مـــســـهلاً
مـــثـــلـه فـــيـــهـــا أخـــاه المـــغـــربي
أمـــطـــرَتْـــنـــا سُـــحُبٌ مُـــلـــبِـــسَـــةٌ
يـــابسَ المحـــيـــا اخـــضـــرارَ الـــعُـــشُب
وإذا شِـــمْـــنـــا رأيـــنـــا مـــدَدًا
قـــافـــيًـــا آثـــارَ تـــلـك الـــسُّـــحُب

فـــإذا الـــسُّـــحْبُ تلاقت فـــالـــمُـــنى
ثَم مـــا مـــنـــهـــا اطَّـــبى أو يَـــطَّـــبي[1]
وحـــــدةٌ لـــــيس ســـــواهــــا دافـــــعًـــا
عـــنـــكم الـــطـــمَّـــاعَ جَمَّ الـــشَّـــغَب
إنـه كــــــان ولـم يَـــــبْـــــرَحْ كـــــمـــــا
كـــان من قـــبلُ مَـــخـــوفَ الـــكَـــلَبِ
مـــا رأى شـــعـــبًـــا ضـــعـــيـــفًـــا مـــرةً
وعـــــلـــــيه لـم يُـــــغِــــرْ أو يَـــــثِب
وهـي في الـــــذود أراهـــــا إن عـــــدا
أُهْـــبَـــةً تَـــفْـــضُـــلُ كُـلَّ الأُهَـب
كم لـــنـــا شـــعبٌ حـــبـــيبٌ يـــشـــتـــكي
مـــنه شـــرّاً بـــالـــلـــســـان الـــمُـــعـــرِبِ
اذكـــــروا شـــــعبَ عُـــــمـــــانٍ والـــــذي
يـــتـــلـــقى من مـــبـــيـــدِ الـــشَّـــجَب
وفـــلـــســـطـــينَ الـــتي مـــا تـــركت
دمـــعـــةً من أدمُـــعي لـم تُـــســـكَب
وفـــــرنـــــســـــا والـــــذي تـــــطـــــرحُهُ
فـــــوق إخـــــوانٍ لـــــنـــــا من عَـــــطَب
دون مـــــا ذنبٍ ســـــوى مـــــطـــــمـــــعه
الـــمُـــريـــنـــاهُ بـــشـــوبَيْ أشـــعَب[2]
لـــيس الاســـتـــعـــمـــارُ عـــنـــكم يـــرعـوي
مـــا رأى صـــدعًـــا بـــكم لم يُـــرْأب[3]
إنـه الـــــذئبُ الــــذي إن ســـــنـــــحت
فـــرصـــةٌ يـــظـــهـــرْ وإلا يـــخـــتـــبي

(١) أطباه يطبيه: استماله.

(٢) أشعب بن جبير مشهور بالطمع. والمريناه: الذي يرينا إياه.

(٣) الصدع: الشق. ولم يرأب: لم يصلح.

لـــو رأى الـــوحـــدةَ هـــذي مـــا رمى
أحـــدًا مـــنّـــا بـــإحـــدى الـــكُـــرَبِ
فـــإلى الـــوحـــدة يـــا قـــومي لـــكي
تـــأمـــنـــوا شـــرَّ كـــثـــيـــرِ الـــرِّيَب
لم يَـــنَـــلْـــنـــا من بـــعـــيـــدٍ شـــرُّهُ
قـــبل أن نُـــشْـــتَتَ أو عن كَـــثَب[1]
أمـتي الـدهـرَ عـلـيـهـا اعـتـمـدي
وعـــلى صَـــوْنِ نـــواحـــيـــهـــا ادأبي
نـقـمـةٌ كـبـرى عـلى اسـتـعـمـارهم
إن رآهـــا تـــتـــلـــظّى يَـــذُب
وعـــلـــيـــنـــا نـــعـــمـــةٌ في دعـــوتي
نـــحـــوهـــا سـابَقَ شِـعـري خُـطَـبي
طـــالمـــا رحتُ أغـــنِّـــيـــكم بـــهـــا
قـــبلَ شـــيـــبي لـــيـــتـــني لم أشِب
كِـــبَـــري عن أن أغـــنّي مُـــوهِنٌ
بـــأســـاهُ قـــوَّتي والـــوَصَب
لـــكنِ الـــوحـــدةُ سَـــرَّتـــني كـــمـــا
سُـــرَّ بـــالـــغـــيث فـــؤادُ المجـــدِب
وشَـــفَت مـــني الـــقـــوى فـــاتّـــجـــهت
كـلُّـــهـــا خـلف الـــقـــوافي الـــغُـــيَّب
ولَـــكَمْ قَـــوَّتْ ضـــعـــيـــفًـــا فـــرحـــةٌ
فـــرأى الـــراحـــةَ بـــعـــد الـــتَّـــعَب

****

(١) عن كثب: عن قرب.

شهر آب[1]

أ عَـبْـدَ المحـسنِ الـقـاضي بـعـدلٍ
وفـصلٍ في الـقـضـيَّـةِ والخِـطـابِ
إلى عـلـيـائكَ الأشـواقُ تـدعـو
فـأنـهضُ للإجـابـة جِـدَّ صـابي![2]
فـيَـقـعُـدُ بي اشـتـدادُ الحَـرِّ عن أنْ
تـكـونَ زيـارتي لكَ من جـوابي
فـأقْـعُـدُ قـائلاً حـسـبي جـوابًـا
لـصـوتِ الـشَّـوقِ دمـعي واكـتـئـابي
ويـكـفي بـعضُ أجـوبـتي إذا مـا
شِـمـاسُ جـمـيـحـهـا عَـزَّ اقـتـضـابي[3]
فـإن نـامتْ عـيـونُ الحَـرِّ يـومًـا
أَرَتْكَ إلـيكَ أشـواقي انجـذابي
ومـا بـيـني وبـيـنَكَ ألفُ مـيلٍ
فـأقـنعُ مـنكَ في ذاكَ الجـواب
وهل أرضـى بـذاكَ وأنتَ مِـمَّنْ
يـحـاولُ هِـمَّـةً مسَّ الـسَّـحـاب

(١) يعتذر بشدة الحر عن عدم زيارة العالم الفاضل الشيخ عبدالمحسن بن إبراهيم البابطين قاضي الزبير والرئيس الأسبق للقضاء في الكويت.

(٢) الصابي: المشتاق.

(٣) الشماس: الجموح. عز: غلب. والاقتضاب: الاختصار.

وأمّــا الــيــومَ تجــذبُــني فــيــأبى
من الحَــــرِّ انجــــذابي شَــــرَّ آب[1]
وكـــنتُ إذا نـــويتُ وَجَـــدْتُ عـــزمي
لِـــمــا أنــوي من الــصُّمِّ الــصِّلاب
وذلكَ في شــــهـــور الــعـــام طُـــرّاً
إذا اســتــثــنــيتُ مــنــهــا شــهــرَ «آب»
يُـــذيبُ الحَــرُّ عـــزمي فـــيه حـــتى
يَـــهِمَّ الـــذَّوْبُ مـــنه بـــانْــصِــبــاب

****

(١) آب هنا من الأحسن أن تكون بمعنى الممتنع من أبى يأبى وذلك منعًا لتكرار اللفظ في البيت التالي لما بعده.

وقد أجاب القاضي عبدالمحسن البابطين بهذه القصيدة:

أصــقــرٌ من حــوى الــعــلــيــا فــأضــحى
فــريــدًا في الــشــيــوخ وفي الــشــبــاب
أتــــانـي مـــــنك نـــــظمٌ كــــالـــــلآلي
فــــــزال بـه مـن الأحــــــزان مــــــا بي
أتـى فــــقـــــرأتُه فــــثــــمــــلتُ مــــنه
فــــيــــــالــــــله ذلك من كـــــتـــــاب
لــعــمــرك مــا ســمــعــنــا قــبل هــذا
بــأن الــلــفظ يُــســكِــر كــالــشَّــراب
وقــــالـــوا أنتَ في الـــشـــعـــراء فـــردٌ
ولــــكن في الـــكـــويت بلا ارتـــيـــاب
لــقــد بَــخَــســوك حــقّكَ يــا أديــبًــا
ومـــا كـــانـــوا بـــذاك عـــلى صـــواب
فــإنك شــاعــرُ الــدنــيــا جــمــيــعًــا
ومــا ذا صــاحِ بــالــشيء الــعُــجــاب
فــكم مــعــنى أتــيتَ به غــريــبًــا
وكم أعــجــبتَ قــومًــا في خــطــاب
وكم أنــهــضتَ شــعــبًــا من خــمــولٍ
فــهم لــولاك كــانــوا في تَــبــاب
ألا يــا ســيِّــدَ الــشُّــعــراء عــطــفًــا
عــلى صبٍّ مــشــوقٍ ذي اكــتــئــاب
قــطــعتُ إلى الــلــقــا تــســعــين مــيلاً
وفــيــهــا ذقتُ أنــواعَ الــعــذاب

وقــــد أعـــيــــاك عـــنّي قـــطعُ مــــيلٍ
وبـالـتـحـقـيق يـقـصـرُ عن حـسـابي
ومــــــا زرتُ الــــــكـــــويتَ لأجل شيءٍ
ســـــوى أني إلـى الأحـــبـــــاب صـــــاب
ومن عـــجبٍ جـــعـــلتَ الحَـــرَّ عُـــذراً
ومــــا حَـــرٌّ يـــردُّ عن الـــصـــحـــاب
إذا لـم تـــــأتـــــني وأنـــــا قــــريبٌ
فــســــيّـــان بـــعـــادي واقـــتـــرابي
ومــــا لي عـــنك من عـــذرٍ مـــبـــينٍ
وكـــيف وأنتَ في شـــرخِ الـــشّـــبـــاب
وحـــاشـــا أنْ تـــهبَّ عـــلـــيك مـــنّي
- وإن حـصـلَ الجـفـا - ريحُ الـعـتـاب
أتـــيـــنـــاكمْ بـــتـــمُّـــوزٍ وفـــيه
لـــكم عـــزمٌ من الــــصُّمِّ الـــصِّلاب
فــكـــيف قـــد انـــثـــنَى يـــا خِلُّ عـــني
وهلاّ عـــاد صـــلـــبًـــا في غـــيـــابي
ألا رفـــقًـــا بـــعـــزمـــكمُ لـــكـــيلا
يـــهمُّ من الحـــرارة بـــانـــصـــبـــاب
وقـال الـنـاسُ مـا لـلـشـيخ صـقـرٍ
أعَـــدَّ الـــوصلَ بـــركـــانَ انـــقلاب؟
لـقـد سـاءت ظـنـونُ الـقـوم فـيـنـا
وقـــالـــوا الـــزورَ يـــا عـــالي الجـــنـــاب
فـــقـــمتُ أغـــالطُ الأعـــداءَ كـــيلا
تـــزيـــدَ شـــمـــاتـــةُ الأعـــدا مُـــصـــابي

أمـــا والـــله لـــو يـــا صـــقـــرُ تـــدري
بمـــا في الـــقـــلب من فـــرط اضـــطـــرابي
لـــطـــرتَ إلى الـــلـــقـــا بـــجـــنـــاح عـــزمٍ
ولم تـــســـتـــثنِ عـــنـــا شـــهـــر آب
ومـــا أنـــا عـــنـــدكمْ في شـــهـــر آبٍ
ولـــكـــن جـــاء آبٌ في إيـــابي
فـــهـــذا مـــا جـــرى فـــاحْـــكُمْ بـــعـــدلٍ
فـــإنك في الـــقـــضـــيَّـــةِ لا تحـــابي

****

نُبْ يا شعر عني[1]

لـعـبـدِ المحسنِ الحُـرِّ الـلُّـبـابِ
تحـمّلْ مـا تُـطـيقُ من الـعِـتـابِ
وأفصِحْ في الـعِـتـاب ولا تَـلَـجْـلَجْ
كـدأبِكَ في مـعـاتـبـةِ الـصِّـحـاب
ونُبْ يـا شِـعـرُ عـنـد الـشَّـيْخِ عـنّي
مـنـابَكَ في نـوائـبيَ الـصِّـعـاب
فـعن قـوسِ الـتـهـكُّمِ قـد رمـاني
بـسـهـمٍ لم يـكنْ لي في حـسـابي

...

بـعـثتَ لـنـا بـهـا صـهـبـاءَ فـاقتْ
فـلـيس لـهـا ضـريبٌ في الـشَّـراب
لـهـا حَـبَبٌ بِـدُرِّ الـبـحـر يُـزري
ولـكن تحـتـه سمُّ الحُـبـاب[2]
من الـهـزءِ الـسِّـمـامَ دسَـسْتَ فـيـمـا
لـنـا أهـديتَ من راحِ الجـواب
فـلـو أنّـا عـلى غَـفَلٍ عَـبَـبْـنـا
بـهـا لم نَـصْحُ من سُـكْـرِ الـمُـصـاب[3]

(١) ولما وقف الشاعر على جواب القاضي عبدالمحسن في الأبيات السابقة ورأى أنه بالغ فيها بمدح الشبيب، ردَّ عليه بهذه القصيدة. وهي منشورة في مجلة الكويت ج ٩ ص ٣٧٦، وقد نشرت ناقصة هنا كما هي في المجلة.

(٢) الحباب: الحية.

(٣) عب: شرب أو كرع بلا تنفس.

ولكن قبلَ أن نَحْسُو أطَلْنا
تأمُّلَنا بمنظرِها العُجاب
فأنْبَأنا تأمُّلُنا رُواها
بما فيها لنا قد كنتَ خابي(١)
فيا ابنَ سَمِيِّ خِلِّ الله كنّا
نظنُّكَ غيرَ مَرهوبِ الخِلاب(٢)
فقلْ لي ما دعاكَ إلى صنيعٍ
مثيرٍ فيك شكّي وارتيابي
لعلَّكَ قد جهلتَ أمِنْ نُضارٍ
صديقُكَ صيغَ أم هو من تُراب
فجئتَ عن الحقيقة منه تجلو
بذاك الصنعِ مَسْدولَ النِّقاب
لتصبحَ منه - تُرْبًا - في ابتعادٍ
وتصبحَ منه - تِبْرًا - في اقتراب
وذلك عند أهلِ الحزم مَعْ مَن
غدا مثلي يُعَدُّ من الصَّواب
فإنَّ حقيقتي عن كلِّ مَن لَمْ
يُجالِسْني طويلاً في احتجاب
ومَعذورٌ على فحصي ولكن
ودِدْتُ بأنه صافي الخِضاب
ليسبُرَ غَوْرَ كُنهي دون علمي
بشيءٍ من مثيراتِ اضطرابي
فعلمي بابتلائكَ كُنْهَ نفسي
يؤلِّفُ بين قلبي واكتئابي

(١) الخابي: المخفي مخففة من الخابئ. والرواء: حسن المظهر.
(٢) الخلاب والمخالبة: الخداع والمخادعة بلطيف الكلام.

لأني بــعــد فــحــصكَ لــستُ أدري

أحــظِّي الــوصلُ مــنك أم اجــتــنــابي

ومــا بي حــين أُفــحَصُ من هــنــاةٍ

فــلم تُــشْــدَدْ عــلــى عــيبٍ عِــيــابي[1]

فــأخــشى عن مَــعــيبِ الــكُــنْهِ مــني

يــكــون عــلــى يَــدِ الــفــحصِ انجــيــابي

ولــكــني أخــافُ الــفــحْصَ يُــخــطي

فــيُــبــدي الأُسْــدَ في صُــوَرِ الــذئــاب

وكم أبْــدَى من الــمَــبْــلُــوِّ كُــنــهًــا

ضَلالُ المــبــتَــلــين عــلــى انــقلاب

ومــا بِكَ حــين تَــبــلــو من غــبــاءٍ

فــأخْــشَى أن تجــورَ ولا تَــغــابي

وكــيف وأنتَ أذكــانــا فــؤادًا

وأبــعَــدَ من قَــضَى من أنْ يُــحــابي

ولــكــنّي أحــاذرُ ســوءَ حظٍّ

إلى تــشــويه كُــنــهي جِــدُّ صــابي

وذلك من ظــنــوني مــا عــلــيه

بمــا قــد جــئــتَهُ وقَعَ انــتــخــابي

فــإنْ قَــرْطَــسْتُ من هــدفي كُلاهُ

بــســهمِ الــظنِّ فــالإقــصــادُ دابي[2]

ومــا فَــوَّقْتُ من ظــنِّي ســهــامًــا

إلى غــرَضٍ فــكنَّ من الــنَّــوابي[3]

---

(١) العياب: جمع عيبة وهي الحقيبة.

(٢) قرطس: أصاب. واقصده: طعنَه فلم يخطئنه والإقصاد عدم الخطأ.

(٣) فوَّق السهم: جعل له فوقا. والفوق: مشق رأس السهم.

وإنْ أشــوَى الحــقــيــقــةَ ســهمُ ظَــنّي
فــمــا كُلُّ الــســهــام من الــصِّــيــاب[1]
ولــولا مــا انــطــوى قــلــبي عــلــيه
لمجـــدك من ودادٍ مـــســـتَـــطــاب
لأهــمــلتُ الــعــتــابَ ولم أحــاولْ
به إنــعــاشَ طــرفكَ وهْــو كــابي[2]
يــعــاتبُ إن كَــبَــوْتَ صــحــيحُ وُدٍّ
ويــغــضي عــنك ذو الــوُدِّ الــكِــذاب
ومــأمــولٌ لــديك الــعــفــوُ إمّــا
تَــجِــدْ مــني اشــتــدادًا في خــطــابي
فــإنَّ شــدائــدَ الأيــام أعْــدَتْ
مــقــالي الــيُــبْسَ وهْــو من الــرِّطــاب
تــروح عــليَّ أيــامي وتــغــدو
بمــا مـن دونـه وخْــزُ الحِــراب
يــحــمِّــلُــني رزايــاه زمــانٌ
عــلى أحــرارِه جَمُّ الــضِّــبــاب[3]
فــأرزحُ كـلَّ يــومٍ تحت رزءٍ
جــديــدٍ حَــمــلُه مُــعْــيي الــهِــضــاب
فــمــن رزءٍ شــديــدِ الــوقْــعِ مــاضٍ
يــريكَ الــشَّــيْبَ في فَــوْدِ الــغُــراب[4]

(١) أشوى: أصاب الشوى أي الأطراف ولم يصب مقتلا.
(٢) الكابي: الذي يكبو أي ينكب على وجهه.
(٣) الضباب: جمع الضب وهو الحقد الخفي.
(٤) الفود: جانب الرأس والشعر الذي عليه.

إلـى رزءٍ أشـــــدَّ عـــــلـيَّ وقـــــعًـــــا
وأحـــرَقَ لـــلـــفـــؤاد من الـــشِّـــهـــاب
كــــأني كــــنتُ لـلأرزاءِ ظــــهــــرًا
وطـيـئًـا فـهي مـنه عـلـى اعـتِـقـاب[1]
فـــمـــا أنـــفكُّ من عُـــظْـــمى لـــعُـــظْـــمى
من الــنـــكـــبـــات مـــشـــدودَ الـحِـــقـــاب
أمن حَـــــجَـــــرٍ عـــــلـيَّ فـــؤادُ دهـــري
فــكم أشـــكـــو ومـــا يـــرثي لمـــا بي
فلا تـــعـــجبْ إذا مـــا اجـــتـــزتُ هَـــمّـــاً
لــشَـــيْـــبي قـــبلَ مَـــرّي بـــالـــشَّـــبـــاب
كـــمـــا تجـــتـــازُ أســـهُـــمُهُ لـــقـــلـــبي
فـــتُـــصـــمـــيهِ ومـــا خَـــرَقَتْ إهـــابي[2]
فـــمـــا سَـــيْـــرُ افـــتـــنـــانِ الـــهَمِّ بِـــدعًـــا
إلى عِـــمـــران قـــلـــبي بـــالخـــراب
وحـــســـبُكَ أنـــني أعـــمى مـــقِلٌّ
مـــضـــاعٌ في الـــكـــويت بلا طِلاب
ومـــا اســـتـــعـــذبتُ لي فـــيـــهـــا مـــقـــامًـــا
وكـــيف وقـــد أقـــمتُ عـــلـى عَـــذاب
وكم عـــنـــهـــا وَدِدْتُ إلـى ســـواهـــا
بِـــجَـــدْعِ الأنفِ أن تـــســـعى ركـــابي
ولـــكن حـــال مـــا بـــيـــني قـــضـــاءٌ
أصمُّ وبـــين مـــودودِ الـــهِـــبـــاب[3]

(١) هي على اعتقاب: يتلو بعضها بعضًا.
(٢) الإهاب: الجلد.
(٣) الهباب: النشاط والسرعة.

يَـــكُـــرُّ عـــلـيَّ «أيـــلـــولٌ» مُـــغـــيـــثًـــا
فـــيُـــخـــمـــدُ بَـــرْدُهُ نـــيـــرانَ «آب»
ولـــكن مـــا لأيـــلـــولٍ ســـبـــيلٌ
إلى مـــا في الـــضـــلـــوع منَ الـــتـــهـــاب
فـــيـــمـــضي مـــثـــلـــمـــا يـــأتي حـــمـــيـــدًا
وجـــمـــرُ أسى فـــؤادي غـــيـــرُ خـــابي
فـــمـــمّـــا كـــان يُـــوهي الـــصـــبـــرَ حـــتى
تـــداعَى حـــبلُ صـــبـــري بـــانـــقـــضـــاب
مـــقـــامي صِـــفْـــرَ كفٍّ في أنـــاسٍ
تَـــعُـــدُّ الـــمـــعـــســـرينَ منَ الـــكلاب
يُـــقَـــوَّمُ بـــالـــثـــيـــاب المـــرءُ فـــيـــهمْ
وإن زُرَّتْ عـــلـــى لـــؤمٍ وعـــاب[1]
فـــمـــوصـــولٌ قـــشـــيبُ الـــثـــوب مـــهـــمـــا
تـــغـــلـــغلَ من خَـــنـــاهُ في شِـــعـــاب
ومـــهـــمـــا كـــان من جـــهلٍ مُـــبـــيـــرٍ
عـــمـــيمِ الـــضُّـــرِّ مـــلآنِ الـــوِطـــاب
ومـــهـــمـــا كـــان عن غـــدرٍ ومـــكـــرٍ
بمن آخـــاهُ مُـــنـــجـــابَ الـــضَّـــبـــاب
وأمـــا طـــاهـــرُ الأذيـــالِ يـــبـــدو
بـــأطـــمـــارٍ فـــمُـــجْـــتَـــنَبُ الجَـــنـــاب
وهَـــبْـــهُ كـــان من أدبٍ وعـــلـــمٍ
غـــزيـــرِ الـــبـــحـــرِ جـــيّـــاشِ الـــعُـــبـــاب

(١) زرت: ضمت وجمعت. والعاب: العيب.

وهَـــبْهُ لـــلـــسَّـــجـــايـــا رائـــقـــاتٍ
زواهـــرَ فـــائـــقـــاتٍ ذا احـــتـــقـــاب[1]
فـلـيس الـسـيفُ عـنـد الـقـوم سـيـفًـا
بـــشـــفـــرتهِ ولـــكن بـــالـــقِـــراب[2]
ويَـفْـضُلُ حـين يُـكـسَى الـبـغلُ جُلاً
لـــديـــهم عـــاريَ الخـــيْلِ الـــعِـــراب[3]
فـلـو أني اسـتـطـعتُ لـبِـعتُ فـيـهمْ
حُـلى أدبي الـكـريمـةَ بـالـثـيـاب
لأسـمعَ مـقـبلاً أهـلاً وسـهلاً
من الـنـائي وذي الـنـسب الـقُـراب[4]
وتَـفْـقِـدُ مـدبـرًا أذنـايَ مـنـهمْ
سـمـاعَـهـمـا مـقـالَ: إلى الـذَّهـاب[5]
هـنـالك تـطَّـبـيـني لاجـتـمـاعي
بـشـعـبي - لاعـتـزالـيهِ - الـطـوابي[6]
لمـا بي قـد ذهـلتُ فـمن ذهـولي
مـزجتُ الـصّـابَ بـالـنُّـطَفِ الـعِـذاب[7]
أردتُ الـشَّـهْـدَ من قـولي عـتـابًـا
بلا مـزجٍ من الـشـكـوى بـصـاب
ولـكن قـد أبى مـا شـئتُ ممّـا
أكـابـدُهُ من الأحـزان آبـي

---

(١) احتقبه: احتمله أو ادخره.

(٢) القراب: الغمد.

(٣) العراب: الكريمة السالمة من الهجنة.

(٤) القراب: القريب.

(٥) يشير إلى معنى قولهم «إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم».

(٦) تطبيني: تدعوني. والطوابي: الدواعي.

فـــإن أخْـــلِطْ وأخـــبِطْ فـــاعفُ واعـــذُرْ
عــلى خــلْــطي وخــبــطي في كــتــابي
فــلــيس يــلــومُ من يــشــقى شــقــائي
لــبــيبٌ حــين يــنــطقُ بــائــتــشــاب[1]

****

(١) الائتشاب: الاختلاط، اي حين ينطق بالقول المشوب بالكدر.

وقد رد القاضي على الشاعر بهذه القصيدة:

أشمسٌ أشرقتْ أم ذي لآلي
بحُسن النظم صيغتْ في كتاب
نعم هذا كتابٌ من خليلٍ
تحاملَ فيه في ردِّ الجواب
توهّمَ أنني أدمجتُ فيما
أتاه ما يؤولُ إلى انقلاب
فما كان التَّهكُّمُ قطُّ دأبي
ولا سيَّما التّهكُّمُ بالصِّحاب
وما من موجبٍ للهُزءِ حتى
أوجِّهُهُ لمثلك في خطابي
لقد شوَّشْتَ نفسَك في ظنونٍ
وساوسَ صرتَ منها في اضطراب
فَهَبْ بعضَ الظنونِ تصيبُ لكنْ
بعيدٌ ما ظننتَ من الصَّواب
شَنَنْتَ الغارةَ الشَّعواءَ حتى
أتيتَ من القريضِ بألف باب
فما بيني وبينك قطُّ شيءٌ
من الأحقاد يا سامي الجناب
لعَمْرُ الله أني عنك راضٍ
وراضٍ بابتعاد واقتراب
فما أحلى عتابَكَ في فؤادي
وإن عدُّوه من قِطَعِ العَذاب
تقولُ وكيف عيشي في أناسٍ
(يَرَوْنَ المُمْلقينَ من الكلاب)

نـــــعـمْ إنَّ الـــــمُــــقِـلَّ بـــــكلِّ دارٍ
وإن حــاز المـــعـــالي بـــاكــتــئـــاب
وأكـــثــــرُ مَنْ تـــراهُ منَ الـــبَـــرايـــا
وإن قَــــرُبـــوا ذئـــابٌ في ثـــــيـــاب
فـــذو الآدابِ كـــالـــمَـــجْـــذومِ فـــيـــهمْ
فـــيـجـتـنـبـونه شَـــرَّ اجـتـنـاب
وهل أبـــصـــرتَ ذا أدبٍ بـــعـــيشٍ
هـــنيءٍ من شــــيـــوخٍ أو شــــبـــاب
فـــإنَّ جـــمـــيعَ من تـــلـــقـــاه مـــنـــهمْ
يـــعـــيشُ بـــقـــومه عَـــيْشَ اغـــتـــراب
وإنْ تـــنـــظـــرْ إلى مُـــتَـــقَـــدِّمـــيـــهمْ
تَـــرَ الـــتـــاريخَ يـــقـــضي بـــالـــعُـــجـــاب
فـطِبْ نـفـسًـا فـنـحنُ قـد اسْـتَـويـنـا
بمـا نـشـكـوه من هـذا الـمُـصـاب
ألا تـــعـــســًـــا لـــدهـــرٍ من قـــديمٍ
إلى الأوبـــاش والجُـــهّـــال صـــابي
يـــحـــاربُ ذا الـــكـــمـــال بـــكلِّ أرضٍ
فـــيـــصـــمي الـــلبَّ في وَخْـــزِ الحِـــراب
عـــــدوٌّ لا يــــهـــــادنُ في حـــــروبٍ
ولا يـــصـــغي لـــعـــذلٍ أو عـــتـــاب
فـــمـــا لك يـــا غـــضـــنـــفـــرُ في عـــرينٍ
أطـــلتَ به المـــقـــامَ عن اكـــتـــســـاب
فَـــثُـــرْ وجُبِ الـــدُّنـــا بـــثـــبـــات جـــأشٍ
فـــأرضُ الـــله واســـعـــةُ الـــرِّحـــاب
وكن كـــالـــبـــدر أو كـــالمـــاء يـــحـــلـــو
ويـــلـــطفُ بـــالمجيء وبـــالـــذهـــاب

****

ريح من عتاب(١)

عــلــيك أثــرتُ ريــحًــا من عــتــابي
لــتــمــري مــنك أخلافَ الــسَّــحــابِ(٢)
لــعــلــمي أنَّ مُــزْنكَ لــيس يــســقي
إذا اسـتُـسـقِـيتَ غـيـرَ الـمُـسْـتـطـاب
وهـــا هـــو ذا هَـــمَى فـــوقي إلى أنْ
أزالَ من الـــصَّـــدا كلَّ الـــتـــهـــاب
وأنـــبَتَ في وِهـــادِ الـــنـــفس مـــنّي
كَلا الــسَّــلــوى الـحــمــيــدةِ والــروابي
ولـــولا تـــلـــكُمُ الأرواحُ ثـــارتْ
لمــا جــادتْ ســمــاؤك بــانــســكــاب
ولـم أســـمـعْ لـــرعـــدك من دويٍّ
بــأفْقِ الــشــعــر مــنك ولا اصــطــخــاب
ولا شِــمْتُ الـــقـــوافي مُــبْــرِقــاتٍ
يُــضِــئنَ إلى صَــوابيَ لي شِــعــابي(٣)
ولا أصـــبـــحتُ من غَـــرَقي لخـــوفي
إذا لم يــصـحُ أفـــقُكَ في اضـــطـــراب
فـــإنك فِـــضْتَ حـــتى صـــرتُ أخـــشى
رجـــوعَ الأمـــرِ فـــيه إلى انـــقلاب

(١) لما أجابه صديقه القاضي الفاضل بقصيدة يعتذر فيها عن مبالغته في المدح، رد عليه الشاعر بقصيدة منها هذه الأبيات.
(٢) مرى الناقة يمريها: مسح ضرعها لتدرّ. والخلف: الضرع وجمعه أخلاف.
(٣) شامه: نظر إليه.

فـــــإن الــــعَـــــذْبَ إمّــــا زادَ يُـــــرْجِعْ
عُـــــذوبـــــتَه المـــــزيـــــدُ إلى عَــــــذاب
فــحـــســـبي من حَـــيًـــا إنْ دام يَـــغْـــرَقْ
صــديـــقُك مـــنه في الـــلُّــجَجِ الـــعِــذاب
فـــيــــا ابنَ سَـــمِيِّ خِلِّ الــــله أمـــسِكْ
فــــإني من مُـــفــــيـــضِكَ في عُـــبــــاب
ولـــــــيس لـــــــديَّ في غـــــرَقي – إذا لم
تُــكَــفْــكِفْ مــا أفــضتَ – من ارتــيــاب

****

عذرك يكفيني

أحــــاولُ أن يـــكـــون عـــلـى الـــكـــتـــابِ
من المـــنـــثـــور مُـــشـــبِــــهَهُ جـــوابي
فـــيـــقـــعـــدُ بي خـــمـــودُ الـــذهن عـــمّـــا
أريـــدُ من الـــنـــثـــيـــرِ المـــســـتـــطـــاب
فـــإن تَـــعْـــذُرْ فـــحـــســـبي ذاك أوْ لا
فـــأحـــمـــدُ كـــان مـــحـــمـــودَ الـــعِـــتـــاب

****

كن لي هكذا

أبـــوحُ بـــعـــيب مـــحـــبـــوبي ولـــكن
إلـــيه حـــين أخـــلـــو بـــالحـــبـــيبِ
لـــيـــنـــفِيَ عـــيـــبَهُ عـــنهُ ويُـــضـــحي
بـعـيـدًا مـا اسـتـطـاع من الـمَـعـيب
وأُبْـــــرِزُ مـــــا له فـــــيه اعـــــتلاءٌ
وفـــخـــرٌ لـــلـــبـــعـــيـــد ولـــلـــقـــريب
فـــــكن لي هـــــكـــــذا أبـــــدًا وإلا
فـمـا أنـا إن صـحـبـتُك بـالـلـبـيب

****

صرخة ثانية بعد إنهاء فلسطين الإضراب

بـــني يـــعـــربٍ من فـــاتَهُ أمسِ سَـــلُّهُ
حـسـامًـا به عن قـومه يُـحـسِنُ الـذَّبّـا
فــمـــا فــاتَهُ أن تــمـــنح الـــيــومَ كــفُّهُ
فـلـسـطـينَ مـا يمـحـو به ذلك الـذَّنـبـا
فـجـودوا بـكُـثْـرِ المـال والـقُلِّ واذكـروا
هـــنـــالك أرحـــامَ الـــعـــروبـــة والـــقُـــربى
فـلـو نـابـكم مـا نـابـهم وثَـبـوا عـلى
ذوي الـظـلـمِ من أعـدائـكم أُسُـدًا غُـلْـبـا
وخـاضـوا غِـمـار الـحـرب خـوضَـكُمُ لـهـا
ولـم يَـعـدَمـوا في عـونـكم مـا لَـهم حَـربـا
وسَـحّـوا عـلى مـشـبـوبِ نـار خـطـوبـكم
كـمـا يـقـتـضي مـحـمودُ أخلاقـهم سُـحْبـا
فـهم من عـلـمـتم بـالـوفـاء لـقـومـهم
وإخـوانـهم مـهـمـا شـكـوْا حـادثًـا صـعـبـا
فلا تُـــعـــدِمـــوا أهل الـــوفـــاء وفـــاءَكم
وراعـوا يـتـامـاهم وأرعـوهم الـخـصـبـا
أقـــاربُـــكم بـــالأمس أرضَـــوْا بـــبـــذلـــهم
نـفـوسَـهُمُ مـجـدَ الـعـروبـة والـرَّبّـا
فـــأرضـــوهـــمـــا عـــنـــكم بـــبـــذلِ رغـــائبٍ
بـهـا يـنـثـني مُـرُّ الحـيـاة لـهم عَـذبـا

فــطــوبى لمن قــد ألحَقَ الــيـــوم مـــا لَهُ
من الخـطب مـا يُـنسي به قـومَهُ الخَـطْبـا
بــنـي يــعــربٍ مــا زلــتم كــلــمــا دَجــا
من الأمــر لــيلٌ تَـطـلُــعـون به شُــهْـبـا
فـلـوحـوا كـمـا كـنـتم تـلـوحـون أنجـمًـا
يَـجُـبْنَ ظلامَ الـكـربِ أجـمَعَ والـكَـرْبـا
عَنَـتْكُمْ جـمـيـعًـا ألـسُنُ الحـال عـنـدهم
بـقـولٍ مـؤداه صِـلـوا الأهلَ والـصَّـحْـبـا
فـلـبّـوا سـراعًــا بـالمـعـونـة وابـذلـوا
جــهــودَكمُ فــالــفــوزُ مــنــكم لمن لَــبّى
أعــيــنــوهـمُ بل آثــروهـم لـــتُـــشــبِـــهـوا
بـإيـثـارِكُمْ أجـدادَكم في الـعُلا الـعُـرْبـا
فـكم آثَـروا بـالـوُجْـدِ مـحـتـاجَ وُجْـدِهِمْ
وأذكُـرُ مـنــهم حــاتِمَ الجـودِ أو كــعــبـا
ولم أنْسَ في الإيـثـار أصـحـابَ خـيـرِ مَن
إلى خـلـقِهِ من ربـهم حَـمَـلـوا الـكُـتْـبـا
فـإن تـقـتـدوا في فـعـلـكم بـفـعـالـهم
تَـطِبْ لـكمُ أُولى الحـيـاتـين والـعُـقـبى
وإيـــاكمُ والـــشُّحَّ فـــهـــو بـــخِـــدنِهِ
إلى كلِّ مـا يـخـشى الـنُّـهى سـالكٌ دَرْبـا
فـإن مـات فـالإثمُ الـعـظـيمُ وإن يَـعِشْ
فـلـيس له من غَـمـزِ أقـرانِهِ مَـخـبـا
هــو الـشُّحُّ في الـدارين لـيس بـجـالبٍ
إلى أهــله إلا الـــنــدامــة والــعَـيْـبـا

فـكـونـوا عـلـى بُـعـدٍ من الـشُّحِّ واحـذروا
أوائل مـــا يـــأتي به الـــشح والـــغـــبـــا

☆☆☆☆☆

ألـم يـنـظُـرِ الــمُـثْـري الـشـحـيحُ إلى الأُلى
قـضَـوْا قـبـلـه – من كل ذي ثـروةٍ – نَـحْـبـا
أســاروا إلـى بــطن الـــثـــرى بــثـــرائـــهم
أم اسـتَـصـحَـبـوا مـنه سـوى كـفنٍ ثَـوْبـا

☆☆☆☆☆

بـنـي يـعـربٍ هُـبّـوا إلى بـذل وُسـعِـكُمْ
فـــأجـــدَرُ يـــومٍ تـــبـــذلـــون به هَـــبّـــا
وشُـنّـوا عـلـى الـمـثـري الـبـخـيلِ مَـغـارَكم
بــكلِّ مــقـــالٍ وامــلـــؤوا قــلــبَهُ رُعْــبـا
فـمن لم يـكن في فـعـلـه الـخـيـرَ راغـبًـا
فلا بـأس أن تـلـقـاه يـفـعـلُه رَهْـبـا
ومـــا نـــفـعُ مـــالٍ عـــاقَهُ عن قـــضـــائه
حـقـوقَ الـعُلا ذو جِـنَّـةٍ ظـنَّـهـا لُـبّـا
أفـي مـــثل هـــذا الـــيـــوم يمـــنعُ عَـــوْنَهُ
فـلـسـطـينَ من تحـوي جـوانـبُهُ قَـلْـبـا
فـلـسـطـينُ من لم يـعـتـرفْ طـائـعًـا بمـا
عـلـيـنـا لـهـا من مِـنَّـةٍ يـعـتـرفْ غَـصْـبـا
فــقـــد أثـــبـــتَتْ أن الـــعـــروبـــةَ لم تَـــزَلْ
تُـطـيق على الأعـداء – مـهـمـا قَـوُوا – وَثْبـا
وإن لـــهـــيبَ الـــعُـــرْبِ ضـــمن رمـــادهم
يـــهـولُ نـــفـوسَ الـــظـــالمـــين إذا شَـــبّـــا
وضَـــمَّتْ إلى فـــخـــر الـــعـــروبـــة مـــثـــلَهُ
بــكلِّ دَمٍ زاكٍ عــلــى أرضـــهـــا انـــصَـــبّـــا

فـمـرحى «لـفـوزيٍّ» الـعُلا و«سـعـيـدهـا»
وصَـحـبِـهِـمـا الـمُـعـلـينَ أعلامَـهـا الـقُـشْـبـا

فـقـد رفـعـوا شـأنَ الـعـروبـة فـاعـتـلـى
بـهـم وجَـلَـوْا عن شـمـس عـلـيـائـهـا الـحُـجْـبـا

وألْـقَـوْا عـلـيـهـا خـيـرَ درسٍ مـفـادُهُ
إذا شـئـتَ أن تـحـيـا فلا تُـغـمِـدِ الـعَـضْـبـا

****

الله يأبى

يـريـد الـذي في الـغـربِ أن يـفـنيَ الـعُـرْبـا
جـمـيـعًـا ولـكن الـذي في الـسَّـمـا يـأبى
فـلـو أمـكن الإفـنـاءُ أفـنى ولم يَـدَعْ
من الـعُـربِ لا فـردًا يـعـيشُ ولا شَـعْـبـا
وهـذا عُـمـانٌ والجـزائـرُ شـاهـدٌ
جـهـادُهُـمـا المـيـمـونُ أن لم أقُلْ كِـذْبـا
ومـا بـرحت من فـعـلِهِ الـنُّـكْـرِ تـشـتـكي
فلسطينُ ما أغرى بـهـا الـكَرْبَ فـالـكَرْبا
فـهل عـربيٌّ بـعـد هـذا مُـؤَمِّلٌ
من الـغـرب إنـصـافًـا إذا اسـتـرشَـدَ الـلُّـبّـا

****

بين الجد والهزل[1]
عنز تأكل الكتب

كُلوا عَنْزَكُمْ من قبلِ أن تُفنِيَ الكُتْبا
وتُحدِثَ أمرًا ثانيًا يُسخِطُ الصَّحْبا
وأرضوهُمُ منها بناضجِ لحمِها
على أُرُزٍ يغدو له (حَشْوُهُ) حَجْبا
ولا يمسحوا الراحاتِ إلا بشَعرِها
إذا ما قضَوْا من أكلِ مطبوخِها الإرْبا
ولا تَتَّخِذْ من جلدها غيرَ جوربٍ
ونعلٍ كما يقضي الهوانُ إذا أربى
فإنك إن تفعلْ بها ما ذكرتُهُ
تَعَفْ كلُّ عنزٍ مثلَ فعلتها رَهْبا
ولا تخشَ فيها يا حسينُ ملامةً
فلا لَوْمَ في أمِّ التُّوَيْسِ ولا عَتْبا
وسائلْ بطونَ القوم عمّا أقولُهُ
يُجِبْنَكَ إنَّ الحقَّ هذا ولا رَيْبا
وما خيرُ عنزٍ تجعلُ الكتْبَ مَرتعًا

(١) كانت للوجيه الفاضل المرحوم ملا حسين بن عبدالله مكتبة تضم معظم أمهات كتب الفقه واللغة والتاريخ وكتب الأدب، وكان يجتمع في ديوانه بعد ظهر كل جمعة الفقهاء وطلاب الدين للنقاش والمراجعة، وفي أحد الأيام دخلت عنز إلى المكتبة وأكلت قسمًا من الكتب، فنظم الشاعر هذه القصيدة وقدمها لملا حسين بن عبدالله.

ولم تقطعوا عنها الشعير ولا العُشْبا

يُعِيضُكَ عنها - إن أبحتَ لصحبنا

حِمى لحمها والشحمِ - معطيكُما سِرْبا

✡✡✡✡✡

فلا تَدكَّرْ منها الحليبَ وطِيبَهُ

إذا مزجوا بالشاي منه لك القَعْبا

ولا ما يسُرُّ القلبَ من حركاتها

زمانَ تُجيدُ القفزَ والطَّمْرَ والوَثْبا

فكلٌّ قريبٍ العهد بالعيش مثلها

له حركاتٌ كلُّها يُطربُ القَلْبا

فقد ملأ الله الصغار ملاحةً

لنبذلَ عن حُبٍّ لها الرِّفقَ والحَدْبا

فحُبُّ صغار النسلِ جداً مخفِّفٌ

- على من يربيها - من المهنةِ الأَعْبا

ولم ير لولا الحسنُ حُبّاً ولم يجد

سوى الحُبِّ يشفي داء أتعابِهِ طِبّا

وما خَصَّ هذا الأمرُ بل عَمَّ كلَّ من

يُرَبِّي صغارًا في الخلائق أو رَبَّى

ولولا افتتانُ الأمهاتِ بحسنهم

تمنَّينَ من أحضانهنَّ لهم سَحْبا

فلا طفلَ إلا وهو في عين أمِّهِ

يفوق جمالاً دائرَ الشُّهبِ والقُطْبا

وسِيّانِ أمٌّ ما ابتغت قَطُّ ملبسًا

(١) السب: شقة كتان رقيقة.

ومن تبتغي ما عاشت الثوب والسِّبّا[1]
وقلبُ وليدِ الإنسِ كان كغيرهِ
بحسن الذي تأتي به أبدًا يُسبى
كذلك لطفُ الله في الخلق لم يَدَعْ
من الخفضِ من توليهِ حرفتُهُ نَصْبا
وهذي صغارُ المَعْزِ تملأُ كَثْرَةً
فنزِّهْ بها الطَّرفَ (المطبَّة) والدَّرْبا
لتنسى بها تلك التي كلما جرَتْ
ببالِيَ ذكراها تصوَّرتُها ذِئبا
وما الفرق بين الذئبِ والعنزِ إن غدت
وراحت - سوى إفسادها مثله - تأبى
ولم يَقْسُ إنسانٌ على الذئبِ مَرَّةً
لَوِ الذئبُ لم يُتلِفْ صِحاحًا ولا جُرْبا
فمن ضَرَّنا كنا عليه - ولم نكن
بمعتبري نوعٍ ولا غيره - إلْبا
فنحن لأهل النفعِ حزبٌ بطبعنا
وبالطبع ما زلنا على ضدِّهِمْ حِزبا
فإن أعقبَتْ تيسًا لكم أو عُنَيزَةً
فأتبع بتلك الأم ذَيّالِكَ العَقْبا
فما خَبُثَتْ إلا ليَخْبُثَ نسلُها
فهل كلبةٌ جاءت بما يَفْضُلُ الكلبا
فيا ربما تعتاض أغْزَرَ درَّةً
وأخفض صوتًا عندما تبصر الأبّا
وأكثَرَ للكتْبِ الكرام تَجِلَّةً

وأيسرَ تنقيبًا عن القَتِّ إذ يُخْبا
وأسكَنَ للحَلابِ منها قوائمًا
إذا ما دنا من ضرعها يبتغي الحَلْبا
فلا رَكْلَها يخشى ولا كَسْرَها الإنا
ولا نبشَها – ما دام يحلبُها – التُّرْبا

☆☆☆☆☆

ألا ما لهجوي مازحًا دَبَّ عقربًا
إلى العنز حتى حاذرتْ موتَها لَسْبا[1]
لِيَ الويلُ مما قلتُ فلأطْوِ كلَّ ما
نشرتُ من المَهْجا وإن قلتُهُ لِعْبا
وما لِيَ ألهو بالهجاء إذا اتَّقى
شبيهَ فؤادِ العنز من وقعه نَدْبا
أتوب إلى أُمِّ التُّوَيْسِ من الذي
تَظَنَّتْ به إن دام أن تَقْضِيَ النَّحْبا
فإنيَ قد أحسستُ مُشْجي ثُغائِها
تُصَعِّدُ فيه الشَّكْوَ محزونةً غضبى
فأصغوا إليها تفهموا ما تقولُهُ
ففهمُ الذي تعنيه لا يُعجِزُ اللُّبّا
ولا تحسَبوا أن البهائم لم تكنْ
لتُحسِنَ صَدعًا بالمقال ولا رَأبا
فكم أوضحَتْ ذي العنزُ غامضَ قصدِها
بمنطقها المعهودِ (أمباعُ أو أمْبا)
وهل لغةُ الإنسان تسمو إبانةً

(١) اللسب: اللدغ.

عـلـى لـغـةِ الحـيـوان سـاءَلَ أو أنـبـا
ومن يـتـأمَّلْ صـوتَهُ في ارتـفـاعه
وفي الخـفضِ يَـعْـلَمْ أنـني لم أقُلْ كِـذْبـا
وسَلْ – إن شـككتَ – الـبـعضَ مـنه فـإنه
مـجـيبٌ بمـا لا شكَّ فـيه ولا رَيْـبـا
ولـيس سـؤالُ المـرء حـيـوانَهُ سـوى
دراسـتِـه مـحـيـاهُ إن نـام أو هَـبّـا
فـمن زاولـوهُ أَخـبَـروا أنه يَـعي
من الـعَـينِ مـا تـوحي رضًى كـان أو عَـتْبـا
ومن يَـدْرِ حـتى وحْيَ عـيـنـيك لم يـكن
لـيـجـهل سـهلاً خـصَّهُ لا ولا صَـعْـبـا
فـهـمتُ عن الـعـنـزِ المـقـال الـذي به
تَـذُبُّ الأذى عـنـهـا وعن نـوعـهـا ذَبّـا
وهـاكم مـؤدّى مـا أبـانَ خـطـابُـهـا
ورُبَّ خـطـابٍ عن أخـيه ثـنى خَـطْـبـا
ألا خِـفْتَ فـيـنـا الـلهَ من نـظمِ كِـلـمـةٍ
تَـضَـمَّنَ مـنـهـا كلُّ بـيتٍ لـنـا كَـرْبـا
فـوالـله لـو كـنـا أنـاسًـا وكـنـتمُ
بـهـائمَ كـنـا فـيـكم نـتـقي الـرَّبّـا
ولم نَـجْـزِكُمْ مـهـمـا أتـيـتم إسـاءةً
إلـيـنـا عـلـيـهـا مـثلَ قـولِكَ أو ضَـرْبـا
وقـمـنـا لـكم بـالـعـذر عن كل هـفـوةٍ
على مثلها تجزوننا الـضَّرْبَ والـسَبّا
وكـيف نجـازيـكم عـلى الـسـوء مـثـلَهُ
ولم تُـرزَقـوا فـهـمًـا يُـمـيـزُ ولا إربـا
ولم نُـرْعِـكُمْ إلا مـراعيَ خـصـبـةً

ولم نَـرْضَ إلا بـالـتَّـمـيـرِ لـكم شُـرْبـا
ولم نـتَّـخِـذْ من أرضِـنـا لجُـنـوبـكم
مـرابضَ إلا سـهـلَـهـا الـنـاعِمَ الـرَّحْـبـا
ونـحـسنُ صـنـعًـا مـا اسـتـطـعـنـا ولم نَـرُحْ
نَـجُـرُّ به الأذيـالَ فـخـرًا ولا عُـجْـبـا
ولـكن نـرى الإحـسـان من شـكـرِ واهبٍ
لـنـا مـنـكم شَـخْتَ المـنـافع والجَـأْبـا
ومن لم يَـصُنْ بـالـشـكـر نـعـمـةَ رَبِّهِ
عـلـيه فلا يـأْمن عـلى الـنـعـمـة الـسَّـلْبـا

✡✡✡✡

عـلى أنَّ إكـرام الـبـهـائم زائـدٌ
لـنـا كلَّ رزقٍ من فـوائـدهـا يُـجْـبى
فـإكسـابُـنـا الـصُّـنْعَ الجـمـيلَ بـهـائـمًـا
مـلـكـنـا نَـواصـيـهـا يـعـودُ لـنـا كَـسْـبـا
ولم نـسـتـسغ لحم الـبـهـيـمـة سِـيَّـمـا
إذا أظـهـرت مـنـهـا لـنـا الألـفـةُ الحُـبّـا
فـكـيف بـهـاتـيكَ الـتي من ثُـدِيِّـهـا
رشـفـنـا - ولـو في عـمـرنـا مـرةً - شُـخْـبـا
فـهـاتـيك مـثلُ الأم تـبـقى وكـلُّـنـا
يـحـوكُ لـهـا من كل مـكـرمـةٍ ثَـوْبـا

✡✡✡✡

ولـكنَّ حُبَّ الـذاتِ أبـنـاءَ آدمٍ
عـلـيـكم أبى وَصْلَ الـعـدالـةِ والـقُـربى
وهل نـرتجي أن تـبـصـروا خـلف حُـبِّـكُمْ
ذَواتَـكُمُ شـمـسًـا من الـعـدلِ أو شُـهْـبـا
ومن يَـمْـتَـلِـكْهُ مـثـلَـكم حُبُّ ذاتِهِ

يُغادِرْ جمالَ العدلِ عن عينهِ غَيْبا

فلولا غيابُ العدلِ يا «صقر» عنكمُ

لما قلتَ فينا اليوم ما يقصِمُ الصُّلْبا

كأنّا بناتِ التَّيْسِ نمنعُ فوزَكم

بمرجوِّكم أُولى الحياتين والعُقبى

ونحن لديكم إن مكثنا لياليًا

ثنى المكثُ منا كلَّ قلبٍ بكم صَبّا

لأنّا دواني ألفةٍ والهوى لها

وليدٌ وتلك الأم لا تلد الشَّوْبا[1]

فنوليكمُ صَفْوَ الودادِ ووُدُّكُمْ

نشاهده حتى لجنسكمُ خَبّا[2]

فأيُّكُمُ يُبدي الودادَ لغيرهِ

إذا لم يجد رهبًا لديه ولا رَغْبا

ولو بعضكم للبعض أخلص وُدَّهُ

لما استشعرت يومًا قلوبُكُمُ رُعْبا

فما الرُّعْبُ إلا ابنُ الخصام الذي أتى

نتيجة بغضٍ لم يزل لكمُ دأبا

ولا بُغْضَ لولا قلبُ كلِّ أخٍ غدا

به من أخيه الجَوْرُ مستحدثًا ثُقْبا

ولا جَوْرَ إلا أصلُهُ الطمعُ الذي

حياؤكمُ فيه على وجهه كُبّا

كأن لم تروا في أخذه الموتَ منكمُ

(١) الشوب: الخلط.

(٢) الخب: الخداع.

حكى الطائر العجلان في لقطه الحَبّا
ومن عجبٍ تصديقُكم أن كُلَّكُمْ
سيلقى من العيش الهناءَ الذي أصبى
ولن تبلغوهُ والقناعةُ لم تُضئِ
دُجى الطمَعِ المُردي مشاةً ولا رَكْبا
فلا تأملوا دون القُنوع تساويًا
يعمُّ بخيراتٍ الدُّنا العُجْمَ والعُرْبا
فأنفُسُكم تأبي القنوعَ كأنما
على قالَبِ الأطماع سائرُها صُبّا
وكم قد زعمتم أنكم فوقنا نُهًى
وما كلُّ ذي زعمٍ بتحقيقه يُحْبى
فإن كان فحلاً ذلك الزعمُ عندكم
فبالطمَعِ المُزري بكم عندنا جُبّا
ولو صحَّتِ الدعوى تساوت ثيابُكم
ولم تُلحِقوا المأكولَ فَرْقًا ولا الشُّرْبا
وكنتم كأن الرزق رمحٌ لديكمُ
وكلٌّ يُريهِ القَسْمُ فيه له كَعبا
وعشتم وكلُّ الأرض دارٌ وأنتمُ
بها أسرةٌ تأبى تفاوُتَها القُربى
فلو لم يكن هذا التفاوتُ بينكم
لما جال فيكم ماردُ الشَرِّ أو خَبّا[1]
وغيرُ صحيحِ العقل خَلْقٌ بعقله
ولما يُفِدْهُ الخيرُ يفخَرُ أو يَعْبا
ويحزنني ذو الفقر يُكبِرُ ذا الغنى

---

(١) خب: عدا نوعًا من العدو.

ولـو لم يَـجُـدْ يـومًـا بمـا يُـشـبِعُ الـضَّـبّـا
فــأُضــمِــرُ كــرهًــا لــلــغــنيِّ ومــالِهِ
وإن مـات فـاكسِـرْ خـلـفهُ الـكـوزَ والحُـبّا[1]
وأُكـثِـرُ لـلـثـاني احـتـقـاري وأنـثـني
وجاحِمُ سُـخـطي صُـنـعُهُ في الحـشـا شَـبّا
أتُــرخي أمــام الأغــنــيــاء تــأدُّبًــا
عـلى مـا تـرى من بـخـلـهم عـيـنُه الـهُـدْبـا
ولــو لـم يـكن أمـثــالـهم سَـلَـمًـا لــهم
لمـا وطـئـوا تلاً من الـيُـسـر أو هَـضْـبـا
فـلـو حَـرَّمَ الـنـاسُ احـتـرامَ ذوي الـغـنى
إذًا لـم يُـواسـوا الـنــاس بـذلاً ولا وَهْـبـا
وأبــطَلَ مَن مـلـبـوسُهُ الخـيشُ شِـرعـةً
بـهـا يسـرقُ الأرزاقَ من يـلـبسُ الـعَـصْـبا[2]
رأوا من رُخـاءِ الـعـيشِ فـيـهم مـنـاهلاً
يَــفِــضْنَ لــكلٍّ إن تحــسَّى وإن عَــبّــا
ولم يــنـفـرد بـالخـفض شـعبٌ وعـيـنُهُ
تـرى الموت في جيش الـطَّوى غـازيًا شَـعبا
وهـيـهـات. فـالإنـسـان لـو قـلبُ خِـدْنِه
يـذوبُ، حَـسَـا منه – ولم يـخـجَلِ – الـذَّوْبا
لـيـنـقضَّ صـقـرًا خـاطـفًـا رزقَ غـيـرِه
تـعـلَّم حـتى أتـقن الحَـوْمَ والـلَّـوْبـا[3]
ولم يــكــفِهِ أن يــخــطِف الــرزقَ وحــدَهُ

(١) الحب: الجرة الكبيرة.

(٢) العصب: نوع من أنواع البرود.

(٣) لاب لوبًا: حامَ حول الماء وهو لا يصل اليه.

(٤) الحوباء: النفس وهنا قصرها للقافية.

فيخطفَ قبل الرزقِ من جسمه الحَوْبا[٤]

فتبكي اليتامى والأيامى ولم يكن

يبالي على الصرعى لأدمعها سَكْبا

ولله سَيْبٌ فيهمُ لو تناصفوا

كفاهم معًا أن يطلبوا غيرَهُ سَيْبا[١]

✲✲✲✲✲

فلا سعِدت عنزٌ تمنَّت أباكمُ

لها والدًا يومًا وتَبّاً لها تَبّا

لأن أباكم آدمًا كان نسله

ولمّا يزل فيه نرى العيب فالعَيْبا

فما مَرَّ حينٌ لم يُبِنْ من عيوبه

لمن عاصروه من أوائلنا ضَرْبا

كأن امتدادَ الدهر أعدى عُداتِكم

لإبداءِ ما أدناه يغمركم ثَلْبا

فها هي تنمو ما تمادى زمانُكم

وتكثرُ حتى شانَتِ الشرقَ والغَربا

ومن شَرٍّ هاتيك العيوب شراسةً

تشقون عن كبْدِ الضعيف بها الخِلْبا

ولو لم تكن منهم لما كنت راميًا

بنبل الأذى شرواي لا الأُسُدَ الغُلبا

وما زلتَ كالصخر الأصمِّ صلابةً

علينا ولولا ضعفُنا لم تكن صُلْبا

وأقبِحْ من الطفلِ الصغيرِ بقسوةٍ

---

(١) السيب: العطاء.

فـكـيف بـهـا من مـكـتَسٍ رأسُه شَـيْـبـا
تُـكَـبِّـرُ ظُـلـمًـا هـفـوتي عـنـد صـاحـبي
لـيـجـعلَ لحـمي بـعـد ذبـحي لـكم نَـهْـبـا
ومـا هـفـوتي عـنـد الـقـيـاس بـبـعضٍ مـا
أتــيتَ إليَّ الــيــوم مــعــدودةٌ ذَنْــبــا
لـتـجـعل حـقّـاً بـاطلَ الأمـر جـاهـدًا
مُـجِـدّاً أرى في شـخـصكَ الـبـطلَ الـنَّـدْبـا
ومـــا زال عـــكسُ الحق دأبـــكمُ فـــمن
دَبَى شـــــرِّكم أيُّ المـــــراتعِ مـــــا أدْبَى
فلا حُــــذِيَ الأظلافَ مِــثْــلَك شــاعــرٌ
تـقـيهِ أذى شـوكِ الـطـريق أو الحَـصْـبـا
ولا نَــبَتَ الـقَــرْنــانِ مــنه بــهــامــةٍ
يُـخـيـفـان من يـأتي له نـاويًـا حَـرْبـا
ولا صــــارتِ الأذنــــانِ مــــنه مَــــذَبَّــــةً
يَــذُبُّ بــهــا مــا طــار يــؤذيه أو دَبّــا
ولا سَـرْبَلَ الـضـافي من الـشـعـرِ جـسـمَهُ
لـيـأمَنَ في المـشـتى أذى ريـحِهِ الـنَّـكـبـا
ولا اجــتَــرَّ مــســـرورًا بــجِــرَّتِهِ إذا
أراد الـــتـــذاذًا أو أحسَّ به سَـــغْـــبـــا
ولا اكـتَـنَـفَـتْهُ المـعـزُ يـومًـا بـروضـةٍ
عـلى مـا أتت من رِيِّـهـا تـشـكـر الـسُّـحْـبـا
مـنـوِّرَةِ الأعـشـاب تحـسـبُـهـا سـمًـا
وتحـسب فـيـهـا أنجـمًـا زهـرَهـا الـرَّطـبـا
إذا شـبـعت من عشـبـهـا الـعـنزُ واحـتـوى

لـهـا مَـرْبِضٌ في سـفحِ ربـوتِـهـا الجَـنْـبـا
وداعَبَ عــطــريٌّ الــنــســيم أُنَــيْــفَــهــا
ونــادت فــلــبّــاهــا من المــعــز من لَــبّى
أحــسَّتْ كــمــا تــهــواهُ ثَمَّ ســعــادةً
تـفـوتُ يَـدَيْ من شـاب مـنـكم ومن شـبّـا
لـكي مـا تـنـالـوا مـثـلـهـا سَلَّ بـعـضُـكم
عـلى بعضِكم من حَيْفِهِ سيفَهُ الـعَضْبـا
كـأن الـفـتى يـغـدو سـعـيـدًا إذا انـثـنى
إلى جيبه ما في جيوب السِّوى غصبًا(١)
وهــيــهــاتَ مــا نــفسُ أمــرئٍ بـكـنـوزهِ
تـصـادف يـومًـا من سـعـادتـهـا جَـلْـبـا
عـلى حَـسْبِ مـا يـزدادُ مـالُكَ وجـهُـهـا
يـزيـدُ لـيُـخـفي عـنك مـشـهـدُهُ الـنَّـقْـبـا
ســكـيـنــةُ نـفسِ الحيِّ مـنـا ومــنـكمُ
ســعــادتُهُ لا مــا به يملأ الجَــيْــبــا
ولم نَــرَ مــنـكم ســاكنَ الـنـفس هــادئًـا
ســواءً رعى خـصب المــراعي أوِ الجَـدْبـا
وحــرمــانُــكم أن تــهــدأوا أوّلُ الجَــزا
عـلى ظـلـمـكم دُهْمَ الحـيـاوين والـشُّـهْـبـا
ومــا تَــخْــبَــأُ الأخــرى أمَــرُّ مــذاقــةً
لــكل امــرئٍ من ظـلــمـهِ تــركَ الـتَّــوْبـا
فـإن لم تـخـافـوا الـلـه فـيـنـا وتَـرْفُـقـوا

---

(١) **السِّوى: الغير.**

فلا تـأمـنـوا من سـوء مـا جـئـتمُ الـغِـبّـا

فــإن الــذي ولاكُمُ الــيــوم أمــرَنــا

وأجـرى لـكم أقـواتَـنـا لـبَـنًـا عَـذْبـا

سـيـجـزيـكم عـنـا غـدًا مـثلَ فـعـلِـكم

فلا تـأمـنـوا عـكسَ الجـزاء ولا الـقَـلْـبـا

كـذا خـاطـبـتـني الـعـنـزُ وهي مُـحِـقَّـةٌ

وذكرى حقـوقِ الـعـنـزِ أنـسـانِيَ الشَّـغْبـا

فلا تُـهـمـلـوا حَقَّ الـبـهـائم واسـلـكـوا

بـهنَّ سـهـولَ الـسُّـبْلِ والمـرتَعَ الخِـصْـبـا

****

يا أشقائي العرب[1]

دَعُوا الجزائرَ تلقى الويلَ والحَرَبا
ثم ادَّعوا أنكم ما زلتمُ عَرَبا
لو لم نزل عربًا لم تلقَ إخوتُنا
مِن دوننا كل ما قد آدَ أو كَرَبا[2]
ولم نجِد بينهم مَن عن معونتِهم
بالنفسِ والمالِ لا بالقولِ قد هَرَبا
وأصبح الكلُّ منّا جَهْدَ طاقتِهِ
مخفِّفًا عنهم الأشجانَ والتَّعَبا
مشاركًا لهمُ في كل نازلةٍ
تَستبذلُ الجُهْدَ منه صالَ أو وَهَبا
أمَا ويَعْرُبَ لو ظَلْنا بَنيهِ رأت
مِنّا فرنسا شجًا في حلقها نَشِبا
وما أحسَّت وقد جاءت بفعلتها
فينا فتًى ضدَّها لم يستَحِلْ لَهَبا
أيعرُبيّون من أفعالهم بَعُدَتْ
عن فعلِ يعرُبَ فيما جَلَّ أو حَزَبا
ظننتُ ظنًّا شجاني أن رابطَنا
بيعرُبَ المعتلي قدرًا قد انقضَبا

(١) قيلت في ١٩٦٢/١/٢٨ عن الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

أو أنّ مــوصــولَهُ المحضَ الــرفــيعَ دَنــا
منه الـوضـيعُ من الأنسـاب فـانـتـشـبا[1]
لــو لم يــكن ذاكَ ظَـلْـنــا مُــشــبِــهــينَ له
- مـهـمًا تـقـلَّبَتِ الـدنـيـا بـنـا - حَـسَـبا
ظَنٌّ شــجــاني وأبــكــاني عــلى نــسبٍ
زَهَتْ بــرفــعــته أجــدادُنــا حــقــبــا
لا صـــدَّقَ الــلهُ مُــشْــجي ظِــنَّــتي لأرى
مـا أوجَعَ الـقـلبَ مـنـهـا بـاطلاً ذهـبـا
فــإن تــكــذيــبَــهــا أشــهى الأمــورِ إلى
قـلبٍ عـلـيه بـهـا مُـدْمي الأسى جَـلَـبـا

✲✲✲✲✲

لِمْ لا تــرانِيَ هــذا الــوقتَ مــنــطــويًــا
عـلى شـجـونٍ يُـبِـدْنَ الـصَّـبْـرَ مـكـتـئـبـا
والأذنُ تــســمــعُ مــا عن نــفعِ مــعــشــرِهــا
يُـلـهي ويشـغلُ، فـاسـمع تَـحْـزَنِ الـصَّـخَـبـا
مــا للإذاعــات بــين الــعُــرْبِ دائــبــةً
تــبثُّ ملءَ الــشــروقِ الــلــهــوَ والــطَّــرَبــا
كــأنــهــا حــســبَتْ أهلَ الجــزائــرِ في
مـا يـقـتـضي طـولَ بَثِّ الـلـهـوِ والـدَّأبـا
إن لم يَكُ الــكلُّ مــنّــا وقتَ مــحــنــتــهم
لــطِــيبِ لــذاتِهِ جــمــعــاءَ مــحــتــسِــبــا
مُــوَجِّــهًــا من قــواه الــكُلَّ يُــنــجِــدُهم
حــتى يــرى كلَّ صــدعٍ عــنــدهم رُئِــبــا

(١) انتشب: اختلط.

فـــأيُّ وقتٍ نُـــواسـي مـــنـــهمُ أسَـــرًا
تـكـابـدُ الآنَ ضَـنْكَ الـعـيش والـشَّـجَـبـا
أكـان يـعـرُبُ يـرضـى الـلـهـوَ وهـو يَـرى
من قـومـه أحـدًا قـد سِيءَ أو نُـكِـبـا
عن الجـزائـر يُـشـجي الـقـلـبَ مـنـبِـؤهُ
حـتى يـغـادِرَهُ أسـوانَ مـضـطـرِبـا
فـمـا الـذي أيُّـهـا اللاهـونَ أطـربَـكُمْ
أعـنـدكم غـيـرُ مـا يُـشـجي الـقـلـوبَ نَـبـا
حـتى مـتى لا يـكـون الـلـهـوُ مُـطَّـرَحًـا
مـا بـين كُـلِّـكُمُ لا الـبـعضِ مـجـتـنـبـا
وفي الجـزائـر من يـرجـو بـنـجـدتـكم
رَدَّ الـذي ضـاق من أمـرٍ وقـد رَحُـبـا
خَـلّـوا إلى المجـد هـذا الـهـزل وادَّكـروا
دَمَ الـكـرامِ الـذي مـا انـفَكَّ مـنـسـكـبـا
حِـيـالَ دمعِ الـيـتـامى والأراملِ من
قـومٍ هُمُ أنـتمُ إن تـذكـروا الـنَّـسَـبـا
شُـنّـوا مَـغـارَكُمُ من كلِّ نـاحـيـةٍ
عـلى (دويـكـيل) حـتى يـرعـوي رَهَـبـا
لا تحـسـبـوا الـقُضْبَ لـلـموتـور أسـلـحةً
فـحـسبُ، إن جَـدَّ في أوتـاره طَـلَـبـا
بَلِ الـسلاحُ كـثـيـرٌ غـيـرُهُنَّ وكم
بـبـعـضه قَلَّ مـوتـورُ الـورى الـقُـضُـبـا
فـأعـمِـلـوا كلَّ مـا فـيه أذيَّـتُهُ
فـكل مُـؤذٍ سلاحٌ لـلـذي غَـضِـبـا

كـيـمـا يُـصَـدِّقَ مـنّـا كلُّ مـفـتـخِـرٍ
إذا عَـزا نـفـسَه يـومًـا إلى ابنِ سَـبـا
أخلاقُ يـعـرُبَ مـا كـانت بـفـائـتـةٍ
يـومًـا درايـتُـهـا الأفـرادَ والـعُـصَـبـا
لـو فـاتهُ الـعِـزُّ لم يـقـبَلْ به بـدَلاً
له ولـلـقـوم طـرّاً مـا عـدا الـعَـطَـبـا
فـإن نـكن مـثـله في طـبـعه صَـدَقَتْ
مـنّـا ادعـاءاتُـنـا إذ نَـدَّعـيه أبـا
إذا انـتـمى لأبٍ نجلٌ فـشـيـمـتُهُ
تُـقَـرِّرُ الأمـرَ إن صِـدقًـا وإن كَـذِبـا
يـا من جُـدودُهُمُ كـانـوا الـشـمـوسَ – إذا
دَجَتْ حـوادثُ هـذا الـدهـرِ – والـشُّـهُـبـا
والـنَّـبْعُ من جُـرأةٍ تَـثـني صلابـتُهُ
أمـامـهم في الـوغى أبـطـالَـهـا قَـصَـبـا
شَـبَّتْ مـطـامعُ (ديـكـولٍ) جَـهَـنَّـمُـهـا
وقـد أراد لـهـا من بـعـضـنـا حـطَـبـا
فـجـاهـدوه – وإن شَقَّ الجـهـادُ – إلى
يـومٍ يُـريهِ بـهـا أعـوانَهُ حَـصَـبـا
أراحـةُ تَـطَّـبـيـكم والجـزائـرُ لم
تَـبْـرَحْ تُـكـابـد من جـورِ الـعِـدا نَـصَـبـا
وتـسـتـطـيـبـون خِـصْبَ الـعـيشِ في زمنٍ
يـلـقى الأشـقّـاءُ فـيه المـوتَ والـسَّـغَـبـا
قـد أمَّلَ الـكُلُّ مـنـهـم صِـدْقَ نُـصـرتـكم
إيـاهـم في جـهـاد المـعـتـدي كَـلِـبـا

ولـو نـهـضـتُمْ كـمـا رَجَّـوْا لـمـا حَـبَـسَـتْ
عـنـهـم ذئـابُ فـرنـسـا الـنـصـرَ والـغَـلَـبـا
لـو آنـسـوا صِـدقَ فـعلِ الـعُـربِ ضـدَّهُمُ
لم تـلق مـنـهم لحقِّ الـعُـرب مـغـتـصِـبـا
مـا كـان بـالـصَّـقْـرِ «ديـكـولُ» تُـجـاهَـكُمُ
بل كـان – لـولا تـراخي بـعـضِـكم – خَـرَبـا[1]
فـطَـهِّـروا كـل أرضٍ من ديـاركمُ
من كُلِّ من لم يـكن ضِـدَّ الـعِـدا صَـلُـبـا
تَـرَوْا (دويـكـيل) عن ظـلـمٍ يـواصـلُه
إلى الـعـدالـة مـضـطـرّاً قـدِ انـقـلَـبـا
ويـنـثـني الـكُلُّ من قُـصّـاد ظـلـمِـكُمُ
بـرغـمِهِ مـنـصـفًـا عن قَـصْـدِهِ رَغِـبـا
لم يـتَّـخـذ دَرْبَهُ في بـحـر نـعـمـتـكم
حُـوتُ المـطـامع – لـو لم يـوجـدوا – سَـرَبـا
من لي بـيـعـرُبَ أشـكـو المـنـتـمـين له
وكلَّ طِـبْعٍ لـهم عن طَـبْـعِهِ غَـرُبـا
كـيـمـا يُـعَـلِّمَ مـنـهم كلَّ مـنـتـحلٍ
– إذ يـنـتـمي نـسـبًـا قـد فـاته – الأدبـا
سَـلُـوا بـيـعـرُبَ من عُـشّـاقِ سـيـرتِهِ
رواتَـهـا الـصـادقـين الـقـولَ والـكُـتُـبـا
هل جـاء يـعـرُبُ إن مـكـروهـةٌ صَـعُـبَتْ
بمـا سـوى الجِـدِّ في تـسـهـيلِ مـا صَـعُـبـا
حـتى يَـرُدَّ إلى سـهلٍ صـعـوبـتَـهـا
لـكلِّ من قـد أتـاه يـشـتـكي الـنُّـوَبـا

---

(١) الخرب: ذكر الحبارى.

يســتـوعبُ الجِـدَّ مـنه الجـهـدُ عن كـرمٍ
في الـــذَبِّ عــمَّن عـــلـــيه ظـــالمٌ وثَـــبـــا
وفـي إغـــــاثــــــة من رَجَّى إغـــــاثَـــــتَهُ
ممن مُـحَـيّـا الحَـيـا عـنـهم قـد احـتـجـبـا
مـــا جـــاء في أحـــدِ الأمـــرين من عـــملٍ
إلا وجَـــهْـــدُ الـقـــوى فـيه قـــد انـتـصـبـا
والجِـــدُّ إن لم يمـــثِّلْ جُـــهْـــدَ صـــاحـــبهِ
فـيـمـا عـلـيه من الإنجـاد قـد وجـبـا
فـمـا هـو الجِـدُّ إذ تُـولـيه تـسـمـيـةً
فَـسَـمِّه أيـنـمـا أبـصـرتَهُ لَـعِـبـا
خـيـرُ الـنـفـوس الـتي تـهـتمُّ مـصـلـحـةً
لـقـومـهـا كلَّ شيءٍ عـنـدهم حَـزَبـا
فَـيُبصِرُ الخِـصْبَ بـعد الجَـدْبِ قـاصدُهـا
كـمـا اشـتـهى عـنـدهـا والأمنَ مَن رُعِـبـا
تـــأبى مُـــروءَتُـــهـــا إلا تَـــقَـــدُّمَـــهـــا
بـالجـهـد مـهـمـا لـهـا داعي الـعُلا نَـدَبـا
تـــظلُّ من بـــاهـــراتِ المجـــدِ فـــاعـــلـــةً
مـا غـيـرُهـا مـنه مـبـهـورُ الحِـجـا عـجَـبـا
ســددت أذني فلا الأشــعــارَ أســمــعُــهــا
تـعـني الجـزائـرَ مُـذ حـينٍ ولا الخُـطَـبـا
فـــإن مـــا قـــيل في إخلاص قـــائـــلـهِ
قـد كـاد يـبـعث فِيَّ الـشكَّ والـرِّيَـبـا
فـصـــادقُ الــقـــول مـــا يـــدنـــو به أملٌ
نـــاءٍ ويُـــنْـــئي من الآلام مـــا اقـــتـــربـــا

ونــحن لم نَــرَ حــتى الآن ضــجَّــتَــنــا
كـانت لـتـحـقـيـقـهـا أمـالَـنـا سَـبَـبـا
مـا خُـلَّبُ الـبـرقِ مَـرْجُـوٌّ كـصـادقِهِ
مـهـمـا اسـتـثـار من الإعـجـاب أو خَـلَـبـا
والـسُّـحْبُ مُـمْـطِرُهُ - لـيس الجـهـامُ - به
لـنـا الـثـرى يُـخـرج الأشـجـارَ والـعُـشُـبا
مـجـرَّدُ الـقـول أو شِـبْهُ المجـرَّدِ لا
تـلـقى الجـزائـر فـيه الـقـصـد والأربـا
فـأسـعـفـوهـا بـأفـعـالٍ يُـعِـدْنَ لـهـا
مـا من مَـعِـينِ رَخـاء الـعـيشِ قـد نَـضَـبـا

****

لن يراني القوم إلا مذنبا

مـــا زلتُ أشـــكـــو من زمـــاني نُـــوَبـــا
تُـــغـــادر الـــطـــفلَ الـــرضـــيعَ أشـــيَـــبـــا
لـــكلٍّ من يـــحـــكي الـــصَّـــفـــا فـــؤادُهُ
صلابـــةً أو كـــان مـــنه أصـــلَـــبـــا
وأســـرع الـــقـــوم عـــتـــابًـــا لـــو سَـــرَتْ
رِقَّـــتُهُ بـــجـــامـــدٍ لأعـــتَـــبـــا[1]
فـــلم أجـــدْ لي مُـــشـــكـــيًـــا أو مُـــعـــتِـــبًـــا
ولـم أجـــدْ عـــليَّ مـــنـــهم حَـــدَبـــا
كـــأنـــني أصـــبـــحتُ لـــيـــثًـــا كـــاشـــرًا
عن عُـــصُلٍ مـــجـــتـــمِـــعًـــا كَيْ يَـــثِـــبـــا
وكـــان لا لـــومٌ عـــلى من قـــد نـــأى
بـــنـــفـــسه يـــخـــافُ لـــيـــثًـــا أغـــلَـــبـــا
والـــكلُّ يـــهـــوى أن يـــكـــونَ بـــادئًـــا
إيـــذاءَ ذاك الـــلـــيثِ أو مـــعـــقِّـــبـــا
فـــمـــا تـــرى في الـــقـــوم عن إيـــذائِهِ
من أمـــكـــنـــتهُ فـــرصـــةٌ مُـــنَـــكِّـــبـــا
فـــلـــيـــتَـــهم إذ مـــنـــعـــوني خـــيـــرَهم
لم يُـــركـــبـــوني من أذاهمْ مـــركَـــبـــا

(١) أعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

لم يَــحْلُ في قــومي مــقــامي ســاعــةً
لــو أنــني أســطــيعُ مــنــهم هَــرَبــا
فــإنْ أقــمتُ في الــكــويت مــرغــمًــا
مــضــطــهَــدًا من أهــلــهــا مــكــتــئــبــا
أشــكــو ولا مُــشْــكِيَ مــنــهم فــالــقــضــا
عــلــيَّ أن أهــرُبَ مــنــهم قــد أبى
وكــيف يــســطــيعُ فــرارًا من غــدا
يــشــكــو الــوَثــاقــينِ الــعَــمَى والــوَصَــبــا
حَــقِّيَ مــنــهم أن أُلَــقّى راحــةً
فــمــا لــقــومي ألحَــقــوني نَــصَــبــا
إن كــان ذنــبي عــنــدهم صــراحــتي
فــلن يــراني الــقــومُ إلا مُــذْنِــبــا
وكــيف عــنــهــا أنــثــني ولم تــكن
تــخــلُّــقًــا بل خُــلُــقًــا بي رُكِّــبــا
مَعْ أنــهــا لــو لم تــكن ســجــيَّــتي
لم آلُ في تــخــلــيــصِــهــا تَــسَــبُّــبــا
فــإن قــلــبي حــســنُــهــا اســتــمــالَهُ
فــمــالَ كلَّ الــمَــيْلِ قــلــبي وَصَــبــا
فــلــيَــعــملِ الــقــومُ عــلى أذيَّــتي
إن كــان إيــذائي عــلــيــهــا وجَــبــا
فــلن يَــروني عن صــراحــتي ولــو
رأيتُ فــيــهــا مــصــرعي مُــنْــقَــلِــبــا
وكــيف يــا قــومُ أقــولُ عن فــتًى
أعــرف عــنه كِــذْبَهُ: مــا كَــذَبــا

أم كـيف قـولي عن فـتًى يَـصْـدُقُـني
شَبَّ عـلـى الـكِـذْب فلانٌ ورَبـا
وعن فـتًى خَـرَّبَ: ذا مُـعَـمِّـرٌ
وعن فـتًى عَـمَّـرَ: هـذا خَـرَّبـا
وعن فـتًى أطْـنَبَ: هـذا مـوجِـزٌ
وعن فـتًى أوْجَـزَ: هـذا أطـنـبـا
وعن فـتًى غَـرَّبَ: ذا مـشـرِّقٌ
وعن فـتًى شَـرَّقَ: هـذا غَـرَّبـا
إن كـان ذا يـرضـيـكمُ فـإنـني
أبـقى لمـا يـرضـيـكمُ مـجـتـنِـبـا
فـلـيس في اسـتـطـاعـتي إرضـاؤكم
فـأمـطِـروني من أذاكم صَـيِّـبـا
فـإن لي صـبـرًا عـلـيـكم مـسـعِـدًا
مـا لم تجـرِّدوا عـليَّ الـقُـضُـبـا[1]
فـإنَّ لـي في أن أعـيش رغـبـةً
ولـو كـمـا تـرونـني مـعـذَّبـا
ولْـتَـعـلـمـوا أن الأذى مـا لم يَـصِلْ
لـلـمـوت بي أعُـدُّهُ مـدَرِّبـا
لـله دَرُّ مـعـشَـري مـا بـيـنـهمْ
لا يـشـتـكي إلا الـصـريحُ الـكَـرَبـا
أمّـا الـذي نـافقَ فـهْـو عـنـدهمْ
مـقـدَّمٌ مـسـمـوعُ قـولٍ مُـجْـتَـبَى
ولم أزل آمُلُ مـنـهم نـهـضـةً
حـتى لَـخَـلَّـتـني غـدوتُ أشـعَـبـا[2]

(١) مسعد: معين ومساعد.

فَــلْــيَــضــحَــكَنَّ من رجــائي كلُّ مَن

أوتيَ قــلــبًــا لــيس فــيه مِن غَــبــا

فـمـا رجـائي مـعـشـري أن يـنـهـضـوا

وأن يمــدَوا لــلــمــعــالي سَــبَــبــا

إلا كــمــا أرجــو لــعــيــني أن تــرى

عـلى عـمـاهـا في سـمـاهـا الـشُّـهُـبـا

وأيُّ خــيــرٍ يُــرتجى لأمــةٍ

مـا بـيـنـهم نـورُ الـصَّـراحـاتِ خَـبـا

✲✲✲✲✲

أقــول لــلــعِــلْمِ الــذي قــد جــاءنــا

فــلم نــقلْ أهلاً له أو مــرحَــبــا

يــا أيــهــا الــعــلمُ ارتحِلْ عن بــلــدةٍ

قــد ضــاق عــنك رحـبُـهـا وقـد نَـبـا

واسـتـصـحِبِ الـشِّـعـرَ فـمـا نـحـتـاجه

ولا تَــذَرْ يــا عِــلْمُ فــيــنــا الأدبــا

وخُصَّ بــالــتــحــطــيم أقلامَ الأُلى

عــقــولَــهمْ حُبُّ الــصَّــراحــاتِ سَــبى

وأَوْسِــعَنْ أســفــارَهمْ مَــحْــوًا إلى

أن لا أرى من تــلك فــيــنــا كُــتُــبــا[1]

فــهــذه الأخلاقُ لا تُــعــجِــبُــنــا

ولا تــرى مــنــا لــهــاتــا مــعــجَــبــا

وأنت يــا جــهلُ أقِمْ مــكــرَّمًــا

واتَّــخِــذِ الألــبــابَ مــنــا مــلــعَــبــا

---

(١) الأسفار: الكتب.

أفســـسِـــدْ وعِثْ خَـــرِّبْ ودَمِّـــرْ لن تَـــرى
تــقــطــيبَ شــعــبٍ لــلــعــلــوم قَــطَّــبــا
ولا تَــــخَــفْ من الـــعـــلـــوم صـــولـــةً
فــقــد فَــلَــلْــنــا نــابَــهــا والــمِــخْــلَــبــا
وأصـــبـــحتْ عـــنّـــا إلى حـــيثُ الأُلى
تُـــعـــجِــبُـــهُمْ من الأنـــام مَـــهْـــرَبـــا
وغـــيـــرُ بَـــدْعٍ إن قَـــلَـــوْنـــاهـــا وإنْ
أقــمتَ أنتَ بــيــنــنــا مــحــبَّــبــا
فـــأنت قـــد رضـــيتَ عن نِــفــاقِــنــا
والــعــلــمُ أبــدى لــلــنــفــاق الــغَــضَــبــا
والــعِــلمُ يــقــضي بــالمــســاواةِ الــتي
تــنــفي عن الجــائع مــنّــا الــعَــطَــبــا
وأنتَ بـــالأَثْـــرَةِ تـــقـــضي هـــازئًـــا
بـــكلِّ شـــاكٍ من طَـــواه الحَـــرَبـــا[1]
ونـــحن لا نـــرضى لـــذي مَـــتْـــرَبَـــةٍ
يــشــكــو الــطَّوى من مــالــنــا أن يَــنْــصَــبــا
سِـــيّـــانِ مَن عـــاش ومن مـــاتَ طَـــوًى
إذا غَـــدَوْنـــا وافـــرين الـــنَّـــشَـــبـــا[2]

✲✲✲✲

وإن نُـــخَـــصِّـــصْكَ بـــكلِّ مـــعـــهـــدٍ
أرخَصَ فـــيـه شـــائـــدوهُ الـــذَّهَـــبـــا

(١) الأثرة بفتح الثاء: اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره، وحب النفس المفرط، وسكن الثناء هنا للشعر. والحَرَب: الضيق.
(٢) الطوى: الجوع. والنشب: المال الأصيل.

ولم نَـــدَعْ لـــلـــعـــلـمِ في أرجـــائِهِ
فـرعًـا تـخـاف بـطـشَهُ أو مـنـصِـبـا
فـالـعـلـمُ قـد يـرضى بِـطِـمْـرٍ مـلـبسًـا
وأنت لا تـــلــــبسُ إلا الـــقَـــشِـــبـــا[1]
ونــــحن لا يـــــروقُــــنـــا إلا الــــذي
يـخـتـارُ لـلـظـاهـر مـنه الـسَّـلَـبـا[2]
فـلـو رأيـنـا نُـصُـبًـا مـرتـديًـا
حُـلَّـةَ ديـبـاجٍ عـبـدنـا الـنُّـصُـبـا[3]
وقـــلـتُ والجـــهلُ يَـــشُـبُّ نـــارَهُ
ويـجـعلُ الألـبـاب فـيـهـا حـطَـبـا
أحـسـنتَ يـا جـهلُ لـعـمـري مُـوقِـدًا
أحـسـنتَ يـا جـهلُ لـعـمـري مُـلْـهِـبـا
إن أنت أتـبـعتَ الـنُّـهى عـواطـفًـا
مـنـا وأخلاقًـا نـراهـا نُـخَـبـا
فـــقـــالَ لا تـــعـــجلْ فـــذا من أربي
وإنـــني مـــنـــكمْ ســأقـضي الأرَبـا
فـصـفِّـقـوا يـا قـومُ لـلـجـهل مـعي
أحَـدَّ تـصـفـيقٍ ومِـيـسُـوا طَـرَبـا
فـكـلَّـمـا الجـهلُ غَـدا مُـحَـرِّقًـا
مـنـا لـنـا غـيـرَ الـعـنـا مـا جَـلَـبـا
فـلـيس يـشـكـو غـيـر ذي عـواطفٍ
سـلـيمِ لُبٍّ في الحـيـاة الـتَّـعَـبـا

(١) الطمر: الثوب البالي. والقشيب: الجديد.

(٢) السلب: الثياب السود.

(٣) النصب: الأصنام.

والجـــهلُ – والحــمــدُ لَهُ – مُــريــحُــنــا
من كلِّ مــا نُــضــمــرُ مــنه الــرَّهَــبــا
والــشَّــعبُ طــوعٌ لــلــهــوى والــهُــزْءُ إنْ
بــكلِّ شــعبٍ لم يــكن مــنــشَــعِــبــا
وكلُّ مَن مــوطــنُــهم مــا بــيــنــهمْ
ألــقى إخــاءً جَلَّ أن يــنــقــضِــبــا
فــأصــبــحــوا يــرونه أُمّــاً لــهمْ
جــديــرةً بــالــبِــرِّ مــنــهم وأَبــا
وكلُّ من واصَلَ – طــوعَ عــقــلِه
وعــلــمِه لــكي يــعــيش – الــدَّأَبــا
وكلُّ من لم يَــخْشَ – في تَــطلابِه
مــعــارفًــا يــعــلــو بــهنَّ – الــلَّــغَــبــا[1]
فــالــهُــزْءُ مــنــا بــهمُ مــتــمِّمٌ
لجــهــلــنــا رضًــا عــلــيــنــا لَــزِبــا[2]
وإن يَــلُــمْــنــا لائمٌ فــلــنــحــثُــوَنْ
في وجــهه حــتى يــكفَّ الــتُّــرُبــا
ولــنــرفعِ الأصــواتَ مــنّــا قَــحَــةً
نــقــولُ عــنه: احــتــاجَ أن يــؤدَّبــا
فــذاك ممّــا يُــحــزِنُ الــعــلمَ الــذي
خِــفــنــا عــلى الــراحــة مــنه الــشَّــجَــبــا
وحــقُّه يــا قــومُ أن نُــحــزِنَهُ
حــتى ولــو عَــنّــا تــولّى خَــبَــبــا

---

(١) اللغب: التعب والإعياء الشديد.

كي لا نـــــراهُ أبـــــدًا عن أرضــــنـــــا
إلا بــعــيــدًا شــاحــطًــا مــغــتــربِــا
فـــإنـــنـــا غـــيـــرُ أمـــيـــنـــينَ - إذا
عــاد - عــلـى راحــتــنــا أن تُــسْــلَــبــا

****

لنمسِ في الوطن أحبابا

وشَــرُّ أغــربــةِ الــتــفــريقِ من جــعــلــوا
للارتـــزاقِ من الـــعِـــمّـــاتِ أســـبـــابـــا
بــاسم الــديــانــة رَدُّوا جــمــعَــكم فِــرَقًــا
والــدينُ جــاء لــصــدعِ الــشَّــمْلِ رَءّابــا
سَــعَــوْا يــبــثّــون روحَ الخُــلْف بــيــنــكمُ
لــيُــدركــوا مــنــكمُ بــالخُــلْفِ آرابــا
قــد أَعْــرَبَتْ لــكمُ عن ســوءِ نــيَّــتِــهمْ
لــو تــفــطــنــون مــســاعي الــقــومِ إعــرابــا
إن يُــعْجِبِ الــســعيُ مــنــهم بــيــنــكم نَــفَــرًا
رمــاكمُ بــهمُ «الــتــامــيــزُ» إعــجــابــا[1]
فــإن ســعــيَــهُمُ المــشــؤومَ أغــضَبَ مِن
أبــنــاءِ عــدنــانَ كلَّ الــصِّــيــدِ إغــضــابــا
قــد حــاولــوا فــيــكم تــنــفــيــذ مَــكْــرِهِمُ
بــاسم الــديــانــة خَــدّاعــين خُلاّبــا
إن انــطــلَتْ يــا لــقــومي مــنــهمُ حِــيَلٌ
عــلــيــكمُ فــالــبــثــوا في الــذُلِّ أحــقــابــا
يــا أحــبطَ الــلهُ مــســعى مــعــشــرٍ فــتــحــوا
عــلــيــكم من ممــيت الخُــلْفِ أبــوابــا

(١) التامين: نهر في بلاد الإنجليز.

وأوهَــمــوكم بــأنّ الــدينَ يُــلــزِمُــكُمْ
أن تَــدخُــلــوهن آحــادًا وأســرابــا
حَـتّـامَ يُضْـحِكُ مـنـا الخُـلْفُ من شَـحَذوا
لأكـلِـنـا من بـني «الـتـامـيـز» أنـيـابـا
بـنـا سَـيُـنْـشِبُ أنـيـابَ الـعـدوِّ - كـمـا
نـخـشى - تَـفَـرُّقُـنـا إن دام إنـشـابـا
فـلـتـنف وحـدتُـنـا الـمُـثـلى تَـفَـرُّقَـنـا
ولـنُـمْسِ في الـوطن المحـبـوب أحـبـابـا
ولـنـتَّـبِعْ مـا به الـدينُ الـصـحـيحُ قـضى
ولـنـعـتـزل من ذوي الـعِـمّـاتِ أنـصـابـا(١)

****

(١) الأنصاب: الأوثان والأصنام التي كانت تنصب وتعبد من دون الله.

السباب سلاح العاجزين[1]

أرضى وأغـضَبَ تـصـريحُ المـقـال كـمـا
تـقـضي الـصـراحـةُ إرضـاءً وإغـضـابـا
أمـا الـمُـحِـقّـونَ عَـمّـا قـد حـوى فَـرَضـوا
وأوسـعـوا رَبَّهُ حَـمْـدًا وإعـجـابـا
والآخـرون عـلـيه أنـزَلـوا سَـخَـطًـا
هـذا لأنَّ أخـاهُ فـيه مـا حـابى
نـافِـقْ وداهِـنْ وإلا لـم تَـلِـجْ أبَـدًا
إلى الـسلامـة من إيـذائـهم بـابـا
خَلِّ الـصـراحـةَ أو لا فـانـتـصِـبْ هـدفًـا
لِـنَـبْـلِـهِمْ لا يـرى في الـرَّمْي إغـبـابـا[2]
ويْـلُـمِّـهـا أمَّـةً تَـلـقـاك مُـعْـرِبَـةً
عن بُـغـضِـهـا الـوطـنيَّ الحُـرَّ إعـرابـا
مـا ذنـبُهُ عـنـدهـا إلا صـراحـتُهُ
فـيـمـا يـقـول وإن لم يَـغْـدُ كَـذّابـا
أوقـفـتـمـوه عـلى جـمـرِ الأذى سَـفَـهًـا
لـمـا انـبـرى لانـصـداع الـشَّـعْبِ رَءّابـا[3]

(١) قالها بمناسبة مقال نشره الأستاذ أحمد الصراف يلوم فيه بعض المسؤولين على تقصيرهم في حق صقر الشبيب وذلك في إحدى الصحف العراقية، فأحدث ضجة لما فيه من الصراحة.
(٢) أغب: جاء يومًا وترك يومًا.

شَنَّ المَغارَ على العاداتِ فاسدةً
واجتَثَّ منهنَّ أوتادًا وأطنابا
بئس الجزاء تلقى منكم رجلٌ
في نصحكم لم يَزَلْ إن غاب أو آبا
جَدَّدْتُمُ ما «سَنِمّارٌ» جنت يَدُهُ
إذ أغرَبَتْ في ابتناء القصرِ إغرابا[1]
أراقكم ما جزى «النُّعمانُ» عاملَهُ
إني أرى صُنْعَهُ أضحى لكم دابا[2]
أَصُنْعَ «نُعمانَ» أحببتم مَغَبَّتَهُ
حتى انثنيتُمْ له في الصنعِ أضرابا
نَقَمْتُمُ من أخي الإصلاحِ صيحتَهُ
بكم ليوقظَ أفكارًا وألبابا
طابُ المنامُ لكم عن كلِّ موصلةٍ
إلى العُلا وله الإيقاظُ قد طابا
فجاء يوقظُكم منه مخافةَ أن
يُنسيكمُ النوم أخلاقًا وآدابا
فقمتُمُ والكرى غاشٍ عقولَكُمُ
له تُحِدّون أظفارًا وأنيابا
تمهَّلوا ريثما تستيقظوا تضَعوا
مكان سُخطِكُمُ حُبّاً وإعتابا
أقول والحزنُ يُذكي النار في كبدي
للحاسمين من الآداب أسبابا

(١) سنمار: الذي بنى قصراً لأحد الملوك وهو النعمان بن المنذر فكافأه بأن ألقاه من فوقه فقتله.
(٢) دابا: دأباً، عادة.

لِـتُـكـبِـروا عـلــمَهُ أن تُـلْـحِـقـوهُ أذًى
أو تُـكـسِـبـوهُ فـظـيعَ الـسَّبِّ إكـســابـا
رُدّوهُ إن زَلَّ بــالحــســنى فــذاك فــتًى
مــذ كــان نــعــرفُهُ لــلــحق طَلاّبــا
هَلاّ نـقـلـتم إلى الـنـقـدِ الـشـريف خُـطًى
نــزيــهــةً وولَــجْــتُم مــنه أبــوابــا
فــذاك أدنى إلى الــنــفـعِ المــؤَمَّلِ من
أن تَـركَـبـوا الـسَّبَّ أكـوارًا وأقـتـابـا
إن الـسِّـبـابَ سلاحُ الـعـاجـزين فـمن
يـسـتلُّ مـنه حـسـامًـا في الـوغى خـابـا
سـلـوا الجـبـان إذا مـا راح يـحـمـلُهُ
هل اقـتـنى مـنه إلا الـذَّمَّ والـعـابـا[1]

****

(١) العاب: العيب.

خير من تخيرت[1]

علـى غـيـرِ صـافي الـهـوى مـا انـطـويتْ
وطـــوعَ ســـوى أمـــرِهِ مـــا جـــرَيْتْ
وأنـتَ ولا شـكَّ عـــنـــدي كـــذا
كَ وإن كـــنتَ أُوهِـــمْتَ أنّي جـــنـــيْت
وإن غَـــيَّبَ الـــوهمُ عـــنك الـــصـــواب
فـــعَـــمّـــا قـــلـــيلٍ أراكَ ارعـــويت
فـــمـــا لـــلـــودادِ غـــدا بـــائـــنًـــا
عـــلـى أُسٍّ شـــكـــوى عـــلـــيه بـــنـــيت
تَـــوَهَّمَ مـــا يـــتَّـــقي فـــاشـــتـــكى
إليَّ كـــمـــا الـــيـــوم مـــني اشـــتـــكـيت
وقـــال أرى أحـــمـــدًا قـــد أتى
ســـوى كلِّ مـــا كـــنتُ مـــنه اشـــتـــهـيت
فـــقـــلتُ الـــتـــســـرُّعُ ضِـــدُّ الـــصـــواب
فَـــخَلِّ الـــتـــســـرُّعَ فـــيـــمـــا رأيت
ظـــنـــنتَ فـــخـــفتَ وكم أخـــطـــأتْ
ظـــنـــونٌ جَـــنى غـــرسِـــهـــا كـــان لَـــيْت
لـــعَـــمْـــرُ أخي أحـــمـــدٍ مـــا نـــوى
من الأمـــر مـــا تَـــتَّـــقي أو نـــويت

---

(١) كان الأستاذ أحمد البشر من أخلص أصدقاء الشاعر، وقد حصل بينه وبين الشاعر جدل فحمل الشاعر فيه على صديقه أحمد مما جعل الصديق ينقطع عن زيارته. فقال هذه القصيدة يعاتبه.

وإني مُـــريكَ وشـــيـــكًـــا جَـــلِيًّ
حـقـيـقـة مـا كـنتَ فـيه امـتَـرَيْت

سـأُطْـلِعُ فـجـرَ عـتـاب يُـزيلُ
دُجى لـيلِ ظَنٍّ به قـد سـرَيت

فـقـال الـعـتـابُ إذًا سـيُـعـيـدُ
به الـيـوم حَيًّ شـكـوكي كَـمَـيْت

فـقـلتُ أجَلْ فـالـعـتـاب المحَكُّ
لمن أبْـتَـلِي في الـورى وابـتَـلَـيْت

فـقـال الـعـتـابُ يـسـيـرٌ فـسُـمْهُ
صـديـقَكَ حـتى أقـولَ اكـتَـفَـيت

فـقـلتُ سـأفـعلُ حـتى تـقـولَ
صـدقتَ ونـعمَ الـصَّـفِيُّ اصـطَـفَـيْت

فـإنِيَّ من قـلـبه نـازلٌ
بـحـيثُ أردتُ وحـيثُ ارتَـضَـيْت

فـعـاتـبتُ لا أبـتـغي غـيـرَ ذاكَ
فـأَوْهَـمْتُ أمـرًا سـوى مـا ابـتَـغَـيت

أهـجـوًا أسـومُ أخًـا بـسـوى
سُلافَـةِ أخلاقِهِ مـا انـتَـشَـيْت

وإن شـئتُ راحـةَ نـفـسي عـمَـدتُ
إلى راحِ آدابه فـاحـتَـسَـيْت

أسُـمّـاً ظـنـنت كـؤوسَ الـعـتـابِ
ولـيس بـهـا مـنه إلا الـكُـمَـيْت

أسـأت الـظـنـون إلى أن نـسـبت
لـلـفـظيَ مـعـنًى له مـا عَـنَـيْت

ومـــا كــنتُ أحـــسَبُ أن تَـــســـتـــريبَ
ولـــــو بمـــــريبِ المـــــقـــــال أتَـــيْت
لأنك تــــــعــــــلـم أني امـــــرؤٌ
لـــصـــحـــبي وإن غـــدروا بي وَفَـــيْت
وأنت لــــعــــمـــريَ مِن خـــيــــرِ مَن
تَــخَــيَّــرْتُ من مــعــشــري وانــتـــقَــيْت
ليَ الـــويلُ من ســـوءِ حَظٍّ قـــضى
عـــليَّ بـــذنبٍ له مـــا جَـــنَـــيْت
إذا ســـاء بي الـــظَنُّ من صـــفـــوتي
فـــهل يَـــحْـــسُنُ الـــظَنُّ مِـــمَّن قَـــلَـــيْت
وهَـــبْـــني عـــثـــرتُ بـــعُـــرضِ طـــريقٍ
عـــلـــيه إلى خـــيـــر شـــأوٍ سَـــعَـــيْت
ألـــيس إذًا واجـــبي أن تـــقـــول
لَـــعًـــا لك حـــتى تـــراني اســـتَـــوَيْت[1]
ومن ذا إذا مـــا عـــثـــرتُ يُـــقـــيلُ
عِـــثـــاري ويُـــنـــهِـــضُـــني في الـــكـــويت
ســـوى من بـــهم يـــعـــتـــلي واعـــتـــلى
من الـــشِّـــعْـــرِ أو طِـــيـــنِـــهـــا كلُّ بـــيت
إذا عَـــزَّني غـــيـــرُ حَـــوْضِ الـــلـــئـــام
فلا كـــنتُ إن كـــنتُ مـــنه اســـتَـــقَـــيْت
وكـــيف اغـــتـــبـــاطي بِـــرِيِّي إذا
تـــذكَّـــرْتُ أنِّيَ مـــنه ارتَـــويت
ألم تَـــرَني حـــين غـــاضَ الـــكـــرامُ
وفـــاض الـــلـــئـــامُ بـــبـــيـــتي انـــزويت

(١) لَعًا لك: دعاء يقصد منه طلب إزالة آثار العثار.

فــبــعــدًا لــطــولِ حــيــاةٍ بــهــا
أراني بــهــم من حِــمــامي احــتَــمَــيْت
فــلــيس تُــســاوي الحــيــاةُ امــتــنــانَ
لــئــامِ بلادٍ إلــيــهــا انــتَــمَــيْت
فــلــم أرَ أشــنَــعَ من لــؤمــهــم
وألــذَعَ من نــارهِ مــا اصــطَــلَــيْت
إذا قــلــتُ ذا يــســتــحقُّ الــنــدى
وبــرهــنتُ كَيْ لا يــقــولــوا افــتَــرَيْت
أجــابــوا ألم تَــدْرِ من أمــرِهِ
بمــا هــو كــيْتَ - اعــتلالاً - وكَــيْت
وقــالــوا كــمــا يــقــتــضي لــؤمُــهم
بهِ عــكسَ مــا كــنتُ مــنه دَرَيْت
لــكــيــمــا يُــجــيــزَ لــهم شُــحُّــهُمْ
عــلى من لحــالــتِهِ قــد رَثَــيْت
فــعن رِفــدِهِمْ زُورُهُمْ نــائبٌ
ودعــني وجَــرِّبْ تجــدْ مــا ادَّعَــيْت
وهل بــســوى الــشــوكِ من عَــوْسَجٍ
تــؤوبُ إذا جــئــتَهُ واجــتَــنَــيْت
فــحــالُ مــســاكــيــنِــهم بــيــنــهم
فُــوَيْقَ مــنــايــاهُمُ أو تُــحَــيْت
فــلــو عَــجَّلَ الــلــهُ عــدَل الجــزاء
أحــيــطــوا بــنــارٍ وجــيــدوا بِــزَيْت
ولــكــنــهم أُمــهِــلــوا فــاســتــطــابــوا
خــبــيثَ غــوايَــتِــهم، لا غَــوَيْت
ولم يَــفْــرُقــوا بــين إمــهــالِــهِم
وإهــمــالــهِم فــابــكــهِم إن بَــكَــيْت

أهَــبْتُ إلى الــرُّشْــدِ جــهــرًا بـــهم
فــلم يــســمــعــونِيَ حــتى وَهَــيْت
فـــغـــادرتُـــهم واقـــفـــين عـــلى
شَــفـا هُــوَّةٍ تــلــتــظي وانــثَــنَــيْت
فــلــو كــنتَ شــاهــدتَــهُمْ واقــفــينَ
هـــنـــاك هـــزأتَ بـــهم وازْدَرَيْت
فــأصــبــحتَ من فَــرْطِ تــغــريــرِهم
بــأنــفــسِــهِم عــجَــبًــا قــد قَــضَــيْت
وصِــحْتَ بمــا شــارفــوا قــائلاً
عن الــقــوم يــا هــولُ كــيف اخــتَــفَــيْت
ومن سَــدَّ عَــيْــنَيْ حِــجــاهُ الــهــوى
فــهــيــهــات أن يــجــتــلي مــا اجــتَــلَــيت
فــيــا يُــسْــرُ إن كــنت بي صــانــعًــا
كــذا، فــإلى مــنــزلي لا اهــتَــدَيت
فـــمـــا خـــيـــرُ يُـــسْـــرٍ أراني به
ظَــلَــمْتُ كــمــا ظَــلَــمــوا واعــتــديت
تــبــاركتَ مُــمْــهِلَ أمــثــالــهم
عــلى ســوءِ أعــمــالــهِم واعــتَــلَــيت
شـــكـــوتُ إلى بـــعـــضـــهم غِــرَّةً
زمــانًــا حَــدا بي إلى مــا اجــتَــوَيْت
فــلــمــا تَــبَــيَّــنْــتُــهُمْ رُحْتُ من
شَــكــاتي لــهم شــاكــيًــا واغــتــدَيت
ولـــولا اغـــتـــراري بـــهم لم أكن
إلــيــهم بــشــكــوى الــزمــان انــبَــرَيْت

****

العزلة

عَـــرَتْـــني وحـــشـــةٌ من كلِّ حُـــرٍّ
وعـــبـــدٍ في الـــبـــريـــة فـــانـــفـــرَدْتُ
فـــخـــالِطْ من تـــشـــاءُ ولا تَـــلُـــمْـــني
فـــإني عن مَلامـــتِكَ ابـــتـــعَـــدْتُ
فـإن تَـسْـعَـدْ بمـجـتـمع الـبـرايـا
فـــإني بـــانـــفـــرادي قـــد سَـــعِـــدْتُ

****

إلى محتكر الجنة

إن كـــان لا يَـــظْـــفَـــرُ بـــالجَـــنَّـــةِ
إلا امـــــرُؤٌ مـــــثـــــلُكَ ذو جِـــــنَّـــــةِ
ممن يَـــــصُـــبّـــونَ عـــطـــايـــاهُمُ
بِـــجَـــيْـــبِكَ الـــفـــارغِ ذي الـــفُـــسْـــحَـــةِ
والـــنـــار يـــصـــلى جـــمـــرَهـــا من غـــدا
به انـــحـــرافٌ عـــنك بـــالـــمِـــنْـــحَـــةِ
فـــلـــيس في الجـــنـــة لي رغـــبـــةٌ
فـــأعط من شـــئتَ بـــهـــا حِـــصَّـــتي
ومـــا ســـوى الـــنـــارِ الـــتي تَـــلْـــتَـــظي
- إن لم تـــكن فـــيـــهـــا مـــعي - مُـــنْـــيَـــتي

****

ذكرى كريم[1]

ما تذكرتُ سالمًا قَطُّ إلا
وتَجارَتْ لذكرهِ عَبَراتي

عاصياتٍ تَجَلُّدي طائعاتٍ
لي شجونًا كالنار ملتهِبات

ذاك ما تقتضيه ذكرى كريمٍ
قد أطابت حياتُهُ لي حياتي

شئتُ أو لم أشَأْ كذاك سأبقى
حَسْبَ ظنّي المصيبِ حتى مماتي

ما عجيبٌ عليه طولُ بُكائي
واشتعالي بِمُلتظي الزَّفَرات

بل عجيبٌ أن لا تُذيبَ وتُبلي
مهجتي بعد سالمٍ حَسَراتي

كنتُ في موطني الكويتِ بنارٍ
أصطليها في سائر الأوقات

فاستحالت بِبِرِّهِ المتوالي
مثل ما أشتهي إلى جَنّات

(١) كان المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح محبًا للشاعر وينعم عليه كثيرًا. وكان الشاعر يتذكر إنعامه كلما مسته أزمة وهذه القصيدة قالها في إحدى أزماته.

ثم لــمّــا قــضى اســتــحــالت شُــجــونًــا
كـــاويـــاتٍ حَـــشـــايَ بل مـــحـــرِقـــاتِ
فـــعـــلـــيه أزكى الـــتـــحـــيـــة مـــني
ومن الـــــله أوفـــــرُ الـــــرَّحَـــــمـــــاتِ

✱✱✱✱

الحُرُيثني على تاريخ الكويت[1]

كَسَا عبدُالعزيز الشهمُ أضفى
ثيابِ الفخرِ موطنَهُ الكُوَيْتا
بِبَثٍّ نفيسٍ روحِ العلمِ فيها
وإحياءِ الحِجاءِ وكان مَيْتا
فمرحى لابنِ أحمدَ إذا أعادت
مساعيهِ مُجَلِّينا سُكَيْتا[2]
فحَلْبَةُ كلِّ فضلٍ من تُجاري
بها يا نجلَ أحمدَ قد شَأَيْتا[3]
سَرَيْتَ ونحن في ليل التواني
نيامٌ للعلوم وما وَنَيْتا
فأجناكَ السُّرى أحلى جَناهُ
وأطيبَه كما منه اشتهَيْتا
فأصبحنا نقول وقد رأينا
جَنى غرسِ المتاعب إذا سَرَيْتا
لَوَ أنّا، ليتنا، لولا، وهاتا
تقول هوازنًا هيهاتَ هَيْتا

(١) قالها مقرظاً كتاب «تاريخ الكويت» الذي ألفه فضيلة صديقه الأستاذ الشيخ عبدالعزيز الرشيد.
(٢) السكيت: آخر خيل الحلبة. والمجلي: أولها.
(٣) شأي: سبق

لــــــكلِّ مـــــؤرخٍ فـــــضـلٌ إذا مـــــا
سـعى يـا ابنَ الـرُّشَـيْـدِ كـمـا سَـعَـيْـتـا
ألم تَـــجْلُ الحـــقـــائقَ نـــاصـــعـــاتٍ
سَـــوافِـــرَ مُـــنْـــسِـــيًـا لَـــوّاً ولَـــيْـــتـــا
وإبـــــداءُ الحـــــقـــــائقِ كُلُّ حُـــــرٍّ
به شـــــوقٌ إلـــــيه كـــــمـــــا رأيـــــتـــــا
فـــتـــاريخُ الـــكـــويتِ الحُـــرِّ يُـــثـــني
به خـــيـــرًا عـــلـــيك وإن أبَـــيْـــتـــا
بـــنـــيتَ عـــلى الحـــقـــائقِ مـــنه أُسّـــاً
فـمـا نـخـشى تـداعِيَ مـا بَـنَـيْـتـا
وأجْـــنَـــيْتَ الأُلى نـــظـــروا إلـــيه
بـــإنـــعـــامٍ أطـــايبَ مـــا جـــنـــيـــتـــا
وأجـريتَ الـصـراحـة فـيه صِـرْفًـا
ولم تـمـزجِ سُلافـتَـهـا الـكُـمَـيْـتـا
كـــأنّي بـــالـــذي يـــتـــلـــوه جـــهـــرًا
يـقـولُ لمن وعَـاهُ هَلِ انْـتَـشَـيْـتـا
لِـــيَـــسْـــقُطْ كلُّ تـــاريخٍ إذا لم
يـكن مـجـرى ذويه كـمـا جَـرَيْـتـا
فلا شُـــلَّتْ يمـــينٌ مـــنك خَـــطَّتْ
نـفـائسَ مـا جـمـعتَ ومـا وَعَـيْـتـا
ولا حَـطَـمَتْ لك الـدنـيـا يـراعًـا
به عن كلِّ سَـفـسَـفـةٍ نَـأَيْـتـا
ولا ثَـلَّتْ من الـعـلـيـاء عـرشًـا
عـلـيه مـذ حَـداثَـتِكَ اسـتَـوَيْـتـا

فــأنت أجَــلُّــنــا نُــصــحًــا ونــفــعًــا
لمن لا تجــتــبي ومن اجــتَــبَــيْــتــا
وأطْــولُــنــا وأصــفــانــا إذا مــا
دَجَــا خــطبٌ ذبــالاتٍ وزَيْــتــا
عــلى الــقِــدْحِ الــمُــعَــلّى في المــعــالي
وكلِّ مــؤثَّلِ المجــدِ احــتــويــتــا
فــأيُّ ســنــامِ مــكــرمــةٍ تــعــالتْ
وأنت عــلى ذُراهُ مــا اعــتــلَــيْــتــا؟
كــمُــلتَ فــلــستُ أســألُ فــيك رَبِّي
ســوى إســهــاب عــمــرك لا رَدِيــتــا
فــإن حــيــاتَك الــمُــثــلى حــيــاةٌ
لأوطــانٍ رَقَتْ بك إذ رَقَــيْــتــا

****

من عاداتي وشيمي

أرى خيرَ ساعاتِ المسرَّةِ ساعةً
يكون بها حولي صديقٌ أحادِثُهْ
يَبِيتُ كلانا سِرُّهُ لصديقهِ
بغير احتشامٍ أو حبيبٌ أعابثُه
وإن لم يكن هذا ولا ذاك حاصلاً
فسِفْرٌ جليلُ النفع تشفي مباحثُه
فذلك رَيْحاني وراحي وراحتي
وداعي سروري حين آسى وباعثُه
فيا قاصدي بالخُبْثِ ما أنا بالذي
يُخابِثُ فاقصِدْ في الورى من تُخابِثُه
فَوَقْتي بكُتْبي والحبيبِ وإخوتي
له شُغُلٌ عن رَدٍّ ما أنت نافِثُه
من الجهلِ إنفاقي من الوقتِ لحظةً
بِنَبْثي ثَرى أمثالِ ما أنتَ نابِثُه
على أنني والحمدُ لله لم يَلُثْ
قميصي على غيرِ الفضيلةِ لائِثُه(١)
وبرهانُ فضلي أنني عنك معرضٌ
وقلبُكَ في أمري به عاثَ عائثُه

(١) لاثه: لفَّه وعصبه.

أخــذتُ عــلى نــفــسي أكــيــدَ عــهــودِهــا

لــصــفــحي عن الجــاني ومــا أنــا نــاكِــثُه

وأقـــســـــمـتُ أني لا أكـــافـيءُ حـــاســـدًا

عــلى حــســدٍ والحَــلْفُ غــيــريَ حــانِــثُه

ومـــا راثَ في عَـــوْني عـــلى دفعِ مـــحـــزنٍ

إذا اســـطــعـتُ عن قــلب امـــرئٍ قَطُّ رائـــثُه

ومـــا زلتُ مــســـطـيــعًـا لحَـصْـدِيَ مـا بهِ

من الــشــوكِ مــا يــؤذي الــذي هــو حــارثُه

ولم أسـتـطع صـرفَ الأذى عن حَشـا امرئٍ

تــولت حــشــاه في ســكـوتي فــوارثه[1]

فلا يــنــتــظــرْ مــني الإجــابــةَ شــاتمٌ

ولـــو أنه كـــالـــدهـــر جَــمَّتْ حـــوادثُه

بـــشيءٍ ســـوى حُـــسْنِ المـــقـــالِ وإنه

لـــطـــبعُ أبي قـــبـــلي وإني لـــوارثُه

وإن لم أجِـدْهُ شــافــيًــا قــلبَ كــاشـحي

فــإني طــويلُ الــصــمتِ راعــيهِ مــاكِــثُه

وهل يُــتـحِفُ المــسكُ الأنــوفَ بــغــيــرِ مــا

يــطــيبُ إذا مـــا ثَــتْهُ يــومًــا مَــوائــثُه[2]

إذا اســتَـوْعَــرَ الإنــســانُ أخلاقَ صــاحبٍ

تــولَّت خــلــيــلي في خَلاقي دمــائــثُه[3]

ومـــا حُـــلْتُ عن خِـــدْنٍ أمـــالَتْ يـــســـارَهُ

إلى فـــاقـــدٍ من ذا الـــزمـــانِ كـــوارثُه

---

(١) فرث كبده: ضربها وهو حي.

(٢) ماث الشيء في الماء يميثه: أذابه.

فــقـــد عَـــلِمَ الأخـــدانُ أنّي وفـــيُّـــهُم
وأن ودادي دائمُ الـــعـــهـــدِ لابـــثُه
وأنِّي لا يَـــخـــشى الـــعـــدوُّ بـــوادري
إذا انــحصَّ عن ريشِ الــعـدُوِّ أثـائـثُه(1)
فــمن ســوءِ قــمــعي لــلـعـدوِّ أمــانُهُ
ومن حُسنِ صُـنـعي لـلـصـديق مَـغـاوِثُه
وإني عــلى مــا بي من الـلِّـين لا الـذي
تُـصَبُّ عـلى رأس الـظـلـوم هَـنـابِـثُه(2)
وإنِّـيَ في ذَبّي عن الحق تـــنـــثـــني
أجــادلُ ظــلـمٍ عـــنه وهي أبـــاغِـثُه(3)
ومن لم يُـــفَــرِّقْ بــين حَقٍّ وغـــاصبٍ
فلا لَمَّ في الـــدارين مـــنه مَـــشـــاعِـثُه
ويــا نــاقِـدي إن لَمْ أَخَفْ بـطشَ ظـالمٍ
بـفـيكَ عـلى الـنـقـدِ الـنـقـيـدِ كَـثـاكِـثُه(4)
أَأُحْــجِمُ عن فَـكّي لـذي الـضـعفِ حَـقَّهُ
إذا قَـــيَّـــدَتْهُ من ظَـــلـــومٍ روابـــثُه(5)
إذًا لا تـمـادت بي من الـعـيش فـسـحـةٌ
ولا أمـهـلـتـني في حِـمـامي حَـثـاحِـثُه(6)
وإني عـــلى بـــؤسي مـــتى ألقَ بـــائـــسًـا

---

(1) انحص الشعر: سقط. والأثائث: جمع أثيث وهو الملتف الكثير.
(2) الهنابث: الدواهي.
(3) الأبغث: جمعه أباغث طائر من طيور الماء، وهنا يريد طيرًا أصفر من الرخم بطيء الطيران.
(4) الكثكث: التراب، وجمعه كثاكث.
(5) الروابث: الموانع.
(6) الحثاحث: السراع.

فَفَلْسي لكيسي كالعدُوِّ يُماغِثُه[7]
ويُطربُني شكرُ الضعيفِ أُعينُهُ
على أمرِهِ لا مِزْهَرٌ ومَثالِثُه[1]
وما طاب لي يومًا من الزادِ طعمُهُ
وذو رحمٍ لي ضامرُ البطن غارِثُه[2]
فيا طاعمًا والجوعَ يشكو قريبُهُ
أماتَكَ من داءِ السَّراحين ضابِثُه[3]
وما خيرُ مَحْيا مُسْهِلٍ وحميمُهُ
تَهاداهُ من نهجِ الحياةِ أواعِثُه[4]
ولا رَوِيَتْ نفسُ الذي الماءُ عندهُ
إذا لم يَرِدْهُ جاهدُ اللُّوحِ لاهِثُه[5]
وإنّي لَذو عِرْضٍ بعيدٍ من الذي
يَسُبُّ صِلالَ السِّبِّ وهيَ براغِثُه[6]
ويا ربّما آذاهُ فِيَّ مقالُهُ
مُدى التَّيْسِ في التُّرْبِ الذي هو باحِثُه[7]

****

---

(١) المزهر: آلة من آلات الطرب. والمثالث: مفردها المثلث وهو ثالث أوتار العود.

(٢) غارث: جائع.

(٣) السراحين: الذئاب. والضابث: القابض قبضًا شديدًا.

(٤) الأواعث: الطرق العسرة.

(٥) لاحه العطش أو السفر لوحا: غيره.

(٦) الصلال: الحيات. السِّبُّ: الثوب، وقد شبه براغيثه بالحيات، كناية عن شدة لسعها.

(٧) يشير إلى المثل كالباحث عن حتفه بظلفه، وذلك أن شاة أو ثورًا كان يراد ذبحه، وحفر بظلفه فظهرت مدية.

لن يعيث[1]

لــــكلٍّ ســــهـــامِ مـــوجـــعـــةٍ فـــؤادي
أراهُ في الـــكـــويتِ غـــدا نَـــجِـــيـــثـــا
إلى كم أســـتـــجـــيـــرُ ولا مـــجـــيـــرٌ
وكم ذا أســـتـــغـــيثُ ولا مُـــغـــيـــثـــا
كـــــأني بـــيـــنـــكم ذئبٌ خـــبـــيثٌ
وكلٌّ يـــكـــرهُ الـــذئبَ الخـــبـــيـــثـــا
فـــإن يُـــغـــضِـــبـــكُمُ نُـــصـــحي فـــإني
بِـسَـيْـري في الـنـصـيـحـة لن أريـثـا
ســـأبـــقى مـــثلَ مـــا أنّي قـــديمًـــا
بـحـبل الـصـبـر مـعـتـصمٌ، حـديـثـا
حـثـيـثًـا سَـيْـرُ نُـصـحِـكُمُ إلـيـكمْ
فـــســـيـــروا بـــالأذيَّـــة لي حـــثـــيـــثـــا
فـــإني أرتجي لـــكمُ انـــتـــبـــاهًـــا
ولـــو حـــبلُ الـــرَّجـــا أمـــسى رَثـــيـــثـــا
ثِـــقـــوا أن الأذى مـــنـــكمْ بـــصـــبـــري
عـــلـــيـــكم حـــين أنـــصحُ لن يَـــعـــيـــثـــا
إلى أن أطـــمـــئنَّ بـــنُـــجْـــحِ ســـعـــيي
وأُجـــنـــيـــكمْ جَـــنى غـــرسي أثـــيـــثـــا[2]

---

(١) قالها يرد بها على من كانوا يحاربونه في دعوته إلى التقدم.

ســـأنـــزلُ في قـــلـــوبـــكمُ مـــكـــانًـــا
إذا انجــابَ الــكــرى عــنــكم دَمــيــثــا[1]
ولـــو أســـمـــعـــتـــمـــوني الـــيـــوم قـــولاً
جــريــرٌ قــبلُ أســمَــعَهُ الــبَــعــيــثــا[2]
فَـــرُبَّ نـــصـــيحِ أقـــوامٍ شـــتـــيمٍ
أصـــاروهُ لحـــمـــدِهِمُ وَرِيـــثـــا[3]

****

(١) دميث: لين.
(٢) البعيث: شاعر كان بينه وبين جرير هجاء.
(٣) الشتيم: الشديد الخلق مع قبح الوجه.

حالهم أدهى وأبرح

دَعَـتْـنِيَ حـاجـاتي إلى مَـدْحِ مـعـشَـرٍ
فـجـئتُ إلـيـهم طـوعَ حـاجِيَ أمْـدَحُ
فـكـنتُ كـأني من عُـبـوسِ وجـوهِـهم
تُـجـاهَ مـديـحي جـئتُ أهـجـو وأقـدَح
يـخـافـون إرفـادي لأن نـفـوسَـهم
بـهنّ إلى إمـسـاكِـهـا الـطـبعُ يَـجْـنَح
وإن خـيَّـبـوني أشـفـقـوا من قـصـائـدٍ
تُـثـيـرُ كـمـيـنـاتِ الـعُـيـوبِ وتَـفْـضَح
فـمـا بـين إرفـادي ومـنـعيَ حـالُـهُم
من المـنع والإرفـاد أدهى وأبْـرَح
عـلى أنـني مـا زلتُ – مـذ كـنتُ – قـالـيًا
من الـشـعـرِ مـا الأعـراضُ تَـخـشـاهُ يَـجْـرَح
ولـكن مـريبُ الـقـوم يُـرديه خـيـفـةً
تَـظَـنِّـيهِ حـيثُ الأمنُ يُـمـسي ويُـصـبِح
فـيـا لـيت أن الـلـهَ مـا كـان مُـحْـوِجي
إلى غـيـرهِ ممن يَـشُـحُّ ويـسـمَح

✱✱✱✱

أمع الحياة سعادة؟

مـــا كـــنتُ أغـــبِطُ مــذ أربْتُ ســـوى الـــذي
مـــا كـــان قَطُّ ولن يـــكـــون مـــدى الأبَـــدْ
أمّـــا الألى كـــانـــوا فـــلـــستُ بـــغـــابطٍ
مـــنـــهم عـــلـــى شيءٍ يـــفـــوزُ به أحَـــد
من كـــان لـــيس بمـــســـتـــحقٍّ غـــبـــطـــةً
حـــتى وإن قـــال الـــورى عـــنه سُـــعِـــد
أمَعَ الحـــيـــاةِ ســـعـــادةٌ؟ لا والـــذي
جـــعل الحـــيـــاةَ لأهـــلـــهـــا أُمَّ الـــنَّـــكَـــدْ
ولَـــدت حـــيـــاتي مَعْ شـــقـــائي كلَّ مـــا
أبـلى عـلـيـهـا الـصَّبْرَ مـني والجَـلَـد
فـــإذا جـــزعتُ فـــكلُّ نـــفسٍ لم تـــكن
إلا لَـتَـجْـزَعُ حـينَ تُـقْـرَنُ بـالجـسَـد
مـا إن تَـرِثُّ مـصـائـبي في مَـحـبِـسي
إلا أتت أخـرى لـتـخـلـفَـهـا جَـدَد[1]
يـا قـدرةً سَـجَـنَتْ بـجـسـمي روحَهُ
ضـاق الخـنـاقُ عـلى الـسجـين المضـطـهَد
إن لم تَـفُـكّي الـروحَ من جُـثـمـانه
فـتـداركي مـنـزورَ صـبـري بـالـمَـدَدْ
أرجـوكِ لا أرجـو سـواكِ فـأنـعـمي
عَـجْـلى عـليَّ بمـا تَـرَيْنَ من الـرَّشَـد

(١) الجدد، بفتحتين: القاسية الصلبة.

ثِـقْلُ الحـيـاة ضـعـفتُ عن حَـمـلي له
ضـعـفًـا بهِ لي الـشـيبُ أعـدلُ من شَـهِـد
قـد آدَنـي عِبْءُ الحـيـاة ومن رأى
عِبْءَ الحـيـاة لـذي مـشـيبٍ لم يَـؤُد[1]
وا رحـمـتـا لـلـشِّـيبِ مـنـا إنـهم
من حـمل أعـبـاء الحـيـاة لـفي كـمَـد
طـوبى لمن حَـطَّـتْهُ عـنه يَـدُ الـردى
إن لم يُـرَدَّ إلـيه أخـرى أو يَـعُـد
فـضلُ المـنـيّـة غـيـرُ مـنـكـورٍ عـلى
ذي شـيـبـةٍ وجَـدَ الحـيـاة كـمـا أَجِـد
مُـذ شِـختُ لم أحـمَـد حـيـاتي سـاعـةً
فـسـلـوا سـواي من المـشـايخ هل حَـمَـد
لـو كنتُ أحسُدُ مـا رميتُ - سـوى امـرئ
قـد شـاب شـيـبي يـوم يَـرْدى - بـالحسَـد
هـذا عـلى جـهـلي بمـا نـلـقـاهُ من
بـعـد الـردى ممـا هـنـاك لـنـا يُـعَـد
يـصـبـو إلى مـجـهـولِ أمـرَيْهِ الـذي
مـعـلـومُ أمـرَيْهِ له جِـدّاً جَـهَـد
والمـرء ذو أملٍ يـبـشِّـرُهُ إذا
سـاءته حـالـتُه بـأخـرى تَـسـتَـجِـد
وكـذا مـدى المحـيـا إلى الـيـوم الـذي
مـا كـان من مـحـيـاهُ مـشـفـوعًـا بـغَـد
فـإذا انـتـهت دنـيـاه بَـشَّـرَهُ بمـا
تُـخـفـيه أُخـراه له ممـا يَـوَد

(١) آدني: أثقلني.

فــتـــراهُ من آمـــالِهِ مـــهـــمـــا قَـــسَتْ
حـــالٌ عـــلــــيه يُـــحِسُّ أنهُ مُـــطَّـــرَدْ
مـــــا إن أتـى ألـمٌ لـــــقـــــلبٍ جـــــارحٍ
إلا أتـى أمـلٌ فـــــداوى أو ضَـــــمَـــــد
فـــلـــذا أرى آمـــالَـــنـــا مـــعـــدودةً
من رحـــمـــة الـلـه الـتي لـيـست تُـحَـد
وكـــذا أرى الآلام في إيـــقـــاظِـــهـــا
مَن عن تَـــعَـــرُّفِ لـطفِ خـالـقِهِ رَقَـد
فــــجــــمــــيعُ آمـــالي وآلامي إذًا
نِـعَمٌ تـشـابَهَ خـيـرُهـا حـتى اتَّـحَـد
ولـــعلَّ مَـــشـــقـــايَ المـلحَّ أتى جَـــزا
فـعـلي وقـولي الحـائـدَيْنِ عن الـسَّـدَد[1]
كم مـــرةٍ قـــارفتُ ذنـــبًـــا قـــاصـــدًا
وجـــزاءُ ذنبِ المـــرءِ مُـــشْقٍ إن قُـــصِـــد
وعـسى المـعـجَّلَ من جـزائي مُـنـقِـذي
ممـــا يـــؤجِّـلُه ليَ الـــعَـدلُ الـصَّـمَـد
أخـــشى عـــدالـــتَه وأمـــا فـــضـــلَهُ
فـــإلى ســوى تـــأمـــيـــلِهِ لا أســـتَـــنِـــد
لـــو لم أؤمِّلْ فـــضـــلَهُ لـــتـــطـــايـــرَتْ
لمخـــافـــتي من عـــدلِهِ نـــفـــسي بَـــدَد[2]
يـــا أيـــهـــا الـــعـــمـــر الـــذي أنـــفـــقـــتُهُ
فـــيـــمـــا تَـــبَـــيَّنَ زيـــفُهُ لمـــا نُـــقِـــد

---

(١) السدد: الاستقامة والصواب.

لم يـــبقَ لي إلا تَـــذَكُّــرُ مـــا مـــضى

مــتــنــدِّمًــا فَــســرِ الــهُــوَيــنى واتَّــئِـد

فــعــسى طــويلَ نــدامــتي يــقــضي عــلى

ســودِ الــذنــوب وجــمــعِــهنَّ المحــتــشِـد

يـــا لــــيت أنّي كـــنتُ أنـــقُـــدُ كلَّ مـــا

قـــد كـــنتُ آتـــيهِ وعـــمـــري مـــا نَـــفَـــد

أو حــــين آذَنَ بـــالـــنَّـــفـــادِ أخـــذتُ في

إصلاح مـــا أســـلـــفـــتُه ممـــا فـــسَـــد

يـــا ربِّ فـــاعفُ فـــلـــــيس لي إلاّ إلى

تـــأمـــيلِ عـــفـــوِك عن ذنـــوبي من مَـــرَدّ

يـــا مَن يـــؤمِّلُ عـــفـــوَهُ الجـــاني وإن

فــاتت لــكــثــرتــهــا الجــنــايــاتُ الــعَــدَد

خــوفُ الحــســـابِ عــلى ذنـــوبي هَـــدّني

وعــلــيك في الــتــأمــينِ مــنه المــعــتــمَــد

وَخْـزُ الــضــمــيرِ – ولــستُ مَن يــقــوى عــلى

وخـــزاتِه – أوهــى الـــقـــوى مـــني وَهَـــد

قـــاســـيتُ في مـــحـــيـــاي مـــنه شِـــدَّةً

وأخـــاف بـــعـــد المـــوت أن ألـــقى أشَـــدّ

يـــا أيـــهـــا الـــقـــبـــرُ الـــذي أنـــا وافـــدٌ

حـــتـــمًـــا عـــلـــيه كـــكلِّ مَن قـــبـــلي وَفَـــد

مـــاذا أعَـــدَّتْهُ الـــقـــبـــورُ؟ أراحـــةً

أم ضِـــدَّهـــا أم بَـــيْـنَ بـــين لمن وَرَد

قل لي وأفـــصِحْ إنـــني مـــســـتـــخـــبِـــرٌ

عن ذي الأمـــورِ مُـــذِ اكـــتـــهـــلتُ فـــلم أُفَـــد

فــــعـــسى جـــوابَكَ أن يُـــبَـــرِّدَ غُـــلَّـــةً
كـــانت ولم تـــبـــرَحْ بـــقـــلـــبي تَـــتَّـــقِـــد
هـــيـــهـــاتَ مـــا أرجـــوهُ مـــنك وكلُّ ذي
مَـــحْـــيـــا، جُـــمـــودَكَ عن جـــوابي قـــد جَـــمَـــد
ولأنتَ أعـــذَرُ من ســـألتُ فـــلـــم يُـــحِـــرْ
يـــومًـــا جـــوابًـــا مـــقـــنـــعًـــا في ذا الـــصَّـــدَد
من قـــام يـــطـــلـــبُ مـــا اســـتـــحـــال مَـــنـــالُه
شـــروى قـــيـــامي يـــائـــسًـــا مـــنه قَـــعَـــد
لم أدر مـــا تحـــوي الـــقـــبـــورُ لـــنـــا إذا
مـــا صـــخـــرُهـــا يـــومًـــا عـــلـــيـــنـــا قـــد نُـــضِـــد
أمَّـــا ظـــواهـــرُهـــا فَـــهُنَّ مـــظـــاهـــرٌ
مـــا مِـــزْنَ مـــنـــا مـــهـــمَلاً من مـــســـتـــعِـــدّ
ووراءهـــا مـــا لـــيس يـــعـــلـــم كـــنـــهَهُ
من جَـــدَّ في الـــتـــنـــقـــيب عـــنـــهـــا واجـــتـــهـــد
ســـبـــحـــانَ من حَـــجَـــبَ الخلائقَ كُـــلَّـــهـــا
عن عـــلـــمِهِ وبهِ تـــوحَّـــدَ وانـــفـــرَد

****

يا فهد القوافي[1]

لو كنتُ مِمَّن في طبيعتِه الحَسَدْ
لحَسَدتُ دون الناس شاعرَنا فَهَدْ
فقريضُهُ السامي المحلِّ منبِّهٌ
ما كان من حَسَدٍ بنفسٍ قد رَقَد
لكن براني الله خِلْوَ القلب من
حسدٍ به مَحْيا ذَويهِ قد فَسَد
فلذاك أغبِطُهُ ولم أحسِدْ ومَن
غبَطَ المبرِّزَ ليس يَعذِلُهُ أحَد
جَرَتِ القوافي منه في خَلَدي كما
يجري لذيذُ البرءِ في مُضْنى الجَسَد
أو مثلَ ما يجري زلالٌ باردٌ
متداركًا أحشاء حَرَّانِ الكَبِد
زامَلتُهُ ظلمًا بدعوايَ التي
إن يرضَها أُصْبِحْ بها مِمَّن سَعِد
متخيِّلاً أني له في نظمِهِ
ما راقني من محكَماتِ الشِّعرِ نِدْ
ولَكَمْ حسبتُ الزورَ يأتيني بهِ
مُلْهي التخيُّلِ أنَّهُ حَقٌّ وَجِدٌّ

(١) بعث بها إلى الشاعر المرحوم فهد العسكر.

فـإذا انـتـبـهتُ ثـنى انـتـبـاهي كلَّ مـا
نَـظَـمَـتْهُ من خـيـرٍ يَـداهُ لي بَـدَد(١)
وأعـودُ بـعـدُ مـصـدِّقًـا من وحـيهِ
أن سـر نـفـسي كلُّ زورٍ يَـسْـتَـجِـد
ولـقـلَّـمـا كـشَـفَتْ خـيـاليَّ الـكَـرى
لي يـقـظـةٌ فـكَـرايَ هـذا مُـطَّـرِد
فـإذا ادَّعَـيْتُ حـقـوقَ غـيـري في الـورى
فـعلى تَـخَـيُّـلِيَ انـتـقـادُ المـنـتَـقِـد
فـتـخـيـلُّي مـا زال يـدفـعُـني إلى
دعـوى أمـورٍ لـيس لي فـيـهنَّ يَـدْ
وعـلى ادعـائي قـد أرى لي عـاذرًا
شَـرواهُ إن جـارَ ادَّعـائي أو قَـصَـد
فـلـقـد يَـلَـذُّ ليَ ادعـائي رتـبـةً
غـيـري بـهـا قـد خُصَّ دوني وانـفَـرَد
وإذا تُـخُـيِّلَ جَـرُّ دعـوى لامـرئٍ
فـيـهـا مَـسَـرَّتُهُ فـعـنـهـا لم يَـحِـد
إني أعُـدُّ خـيـالَ كُـنْهٍ سَـرّني
من نـعـمـة الـله الـتي لـيـست تُـحَـد
وتـخـيُّـلي نَـيْـلي نـفـيسَ الأمـرِ إن
أخـطـأتُ مـنه الـكُـنْهَ لي حَظٌّ يُـعَـد
ولـطـالمـا أدنى تَـخَـيُّلُ نـعـمـةٍ
من غـبـطـةٍ قـلبُ امـرئٍ عـنـهـا ابـتَـعَد
وحـقـائقُ الـدنـيـا خـيـالاتٌ إذا
مـا جـال فـيـهـا الـفـكـر عـفـوًا أو جَـهَـد

(١) البدد: الفرق.

هَــنَــأَتْكَ يــا فــهــدُ الــقــوافي واثــبًــا
من مــقــولٍ لك مــا تــخــطّــاهُ الــسَّــدَد
فــيــهنَّ تــفــتــخــرُ الــكــويتُ مــقِــلَّــةً
مــنــهنَّ تــاجًــا فــوق هــامــتــهــا انــعــقَــد
فَــــبِــــغُــــرِّ آدابِ ابــــنِــهِ إن لم يَــــنَلْ
فــخــرًا فــمــاذا يُــكــسِــبُ الــفــخــرَ الــبــلــد
مــــا رمتُ أن أوفــــيكَ حــــقًــــا مُــــطْــــرِيًــــا
إلاّ وعَــــمّــــا رمتُ بي عَــــجْــــزي قَــــعَــــد
فــــإلــــيك جُــــهْــــدَ مــــقــــصِّــــرٍ لم يَــــرْضَهُ
لكَ لــو لأنــفَسَ مــنه حُــسْــنًــا قــد وَجَــد
وكــفــى عــلــى صــدقِ الــودادِ وصــفــوِهِ
جُــهْــدُ المــقــصِّــرِ شــاهــدًا مــهــمــا شَــهِــد

****

عليك بإحدى الحسنيين

أتــتــركُــني مــا بــين يــأسِيَ والــرَّجــا
ومن أحَــدِ الــضــدَّيْنِ عــنــدكَ لي بُــدُّ
وكلُّ بـــنـــاءٍ شـــادَهُ لـيَ مـــعـــقِلاً
جـمـيلُ اصـطـبـاري بـين هـذين يَـنْـهَـدُّ
عـلـيك بـإحـدى الحُـسْـنَـيَـيْنِ مـبـادرًا
كـمـا تـقـتـضي مـنك الـنـجـابـةُ والمجدُ
فـإن تـعـتـذِرْ فـالـعـذرُ يـلـقى قَـبـولَهُ
لـديَّ وإن تُـسـعِفْ فـمِـنّي لك الحَـمْـدُ

****

زحام

مـــا فـي الـــصَّـــفـــاةِ لـــذي عَـــمًى
مـــثـــلـي أمـــورٌ تُـــحْـــمَـــدُ
كـم مَـــــرّةٍ قـــــد ضَـــــمَّـــــنـي
فـــيـــهـــا زحـــامٌ أنْـــكَـــدُ
كـــــادت بـه عـن جُـــــثَّـــــتـي
نـــفـــسـي الـــعـــزيـــزةُ تُـــفْـــقَـــدُ

****

لا تؤذوا الصريح

إذا نَـــجَمَ الــــصـــــريحُ بـــأرض قـــومي
فــــإن جـــــزاءَهُ مـــــنــــــهم نَـــــآدُ(١)
أروني في الــــكـــــويتِ فـــتًى تجـــلَّت
نـــصـــائــحُهُ كـــمـــا يُـــوحي الــفـــؤادُ
فـــلم نُـــلْـــحِـــقْهُ جـــهلاً مـــا يُـــخَـــلّي
مَـــحـــاجِـــرَهُ يُـحـــالــفُـــهـــا الــسُّـــهـادُ

****

(١) النآد والنآدي: الداهية. ونجم: ظهر وطلع.

الأعمال لا الأقوال[1]

أيـــــرفعُ رأسَهُ الـــــعــــربيُّ يــــومًـــــا
إذا امــتَــلــكتْ فــلــســطــينَ الــيــهــودُ
وهــل عُـــــــــــذْرٌ لــه إن لــم تجـــــــــدهُ
بــــأغــــلى مـــا لــــديه لــــهـــا يَـــجـــود
وراءَ الخَـــــــطْبِ هـــــــذا أيُّ خَـــــطْبٍ
تُــصـــان له الـــنــفــوسُ أو الـــنُّـــقــود
أبَـــعْـــدَ الــيــــوم يــــومٌ فـــيه تـــزكــو
لــبـــاذلـــهـــا من الـــعـــرب الجُـــهــود
بــنـي الــعُــرْبِ الألى مــا عُــدَّ مــنـــهم
فــتًى عن نــصـــرِ مـــعــشــرِهِ يَــحــيـد
أمـــا كـــانـــوا وبـــعـــضـــهمُ لـــبـــعضٍ
إذا حُــمَّ الـــــعِـــــدا ركــنٌ شَــــــديـــــد
أمـــــا أدّى تـــــعــــــاونُـــــهم إلى مـــــا
يــــعـــمُّـــهُمُ به الــــعـــيشُ الــــرَّغــــيــد
ولـــو لـم نـــفـــتـــرق من بـــعـــدُ جـــهلاً
لمـــا عُـــدْنـــا وســـائــدُنــا مَـــسُـــود
نُــــجَـــدِّدُ مـــدحَـــهم والمـــدحُ عــــارٌ
عــلــيــنــا – لــو تــأمَّــلْــنــا – عَــتــيــد

(١) نشرت في السجل الأغر ١٧ شوال ١٣٥٦ (الجمعة) ١٤ كانون الأول ١٩٣٧ العدد ٧٧ وتكملتها في العدد

فَـلِمْ نُـطـري الجـدود عـلى عُلاهم
ولم نـفـعلْ كـمـا فـعلَ الجُـدود
فـإمّـا أن نـكـون قـد افـتـريـنـا
إذا رحـنـا بـذكـرهمُ نُـشـيـد
فـلـم يَـخْـضَـرَّ من شـرفٍ ومـجـدٍ
لـهم مـا بـين أهلِ الأرضِ عُـود
ولا كـانـوا وقـائـدُ كلِّ شـعبٍ
جـنـيبٌ خَـلْفَ قـائـدهم مَـقـود
ولا خَـفَـقَتْ لـهم في كلِّ أرضٍ
بـغـيـر مـجـرَّدِ الـدعـوى بُـنـود[1]
ولا كـانـوا من الإقـدام قِـدْمًـا
بـحـيثُ تـهـابُـهم حـتى الأسُـود
ولا كـادت عُـداتُـهُمُ - إذا مـا
أتـاهـا أنـهم غَـضِـبـوا - تَـبِـيـد
ولا كـانـوا زمـانَ الجَـدْبِ سُـحْـبًـا
عـلى الـعـافي بمـا يُـغْـني تَـعـود
وإمّـا أن نـكـون بـني سِـواهم
وحَـذْوُ الجَـدِّ يـحـذوهُ الحَـفـيـد
إذا انـتَـسـبتْ إلى أصلٍ فـروعٌ
فـأخلاقُ الـفـروعِ هي الـشُّـهـود
أمِنْ أخلاقِ يَـعْـرُبَ - إن دَعَـتْهُ
إلى الجُـلّى مـعـاشـرُهُ - الـصُّـدود[2]

---

(١) البنود: الأعلام.

(٢) الجلى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

ومـن أخـلاقـهِ شُـحٌّ عـــــلـــــيــــــهم
بمـــــا يـــــحــــويه أم ذَبٌّ وَجُــــــود
فــلـــو كُــنّــا بــنــيـهِ أبــصَــرَتْــنـــا
فـــلــــســــطـــينُ نُـــواسـي أو نَـــذود
أيَـــعْـــرُبُ من بـــنـــيه عُـــرْبُ يَـــوْمي
لـــعَـــمْـــرُ أبـــيكَ ذا شـيءٌ بـــعــيـــد
وظـــــــنّي أنـه لـــــــو شُـقَّ عــــــنه
لـيـشـهـد مـا أتـيـنـاه - الـصَّـعـيـد
لـــقـــالَ إلـــيـــكمُ عـــني إلـــيـــكمْ
فــلـــيس لـــكم إلى نَـــسَـبي صُـــعــود
وزادَ فـــقـــال مـــا فـــيـــكمْ - وهـــذا
- صــنـــيـــعـــكُمُ - لإنـــســانٍ ولـــيـــد
فــإن نَـــمَتِ الـــقُـــرودُ شـــكـــولَ نـــاسٍ
فــعُــرْبُ الـــيـــوم نـــامُـــوهـــا الـــقُـرود
أقـــــولُ مــــقـــــالـــــتي هــــذي وإنّي
لـــعُـــرْبِ الـــيــوم في الــدعــوى نَـــدِيـد
فـــلــــو صَـــــدَقَ ادِّعــــائي مِتُّ ممـــــا
روى لي عن فـــلــســطـــينَ الــبَـــريـــد
أحـــــاديثٌ لـــــهـــــا تـــــنــــشَقُّ مِــــمَّن
لـــــهم رُوِيَتْ قـــــلـــــوبٌ أو كُـــــبـــــود
فـــمن إخـــوانـــنـــا فـــيـــهـــا قـــتـــيلٌ
ومن إخـــوانـــنـــا عـــنـــهـــا طـــريـــد
وآخَـــرُ مـــنـــهمُ في الـــســـجن كـــادَتْ
عـــلـى ســـاقَـــيْهِ أن تـــأتي الـــقُـــيـــود

ومـا جَبُنَتْ فلسطينٌ ولكن

عليها للعِدا كَثُرَ الجُنود

«تكاثرتِ الظباءُ على خِراش

فما يدري خراشُ ما يصيد»

وها هيَ تستعينُ بنا فحتّى

متى عن أن نُعينَ بنا جُمود

إذا ما نحن لم نُسعِف ذَوينا

ويُوفِ عَديدَهُمْ منّا عَديدُ

فَنَعْضُدُ صيدَهُمْ منا بِصيدٍ

تُديلُ من الطُّغاةِ وتَسْتَقيد

فليس العُجْمُ تُعْذَلُ إن تَراخَتْ

بنَجدَتِها ولا تُلْحى الهُنود

فإن مَتّوا بدينِهِمُ إليهم

ونِعْمَ الرابطُ الدِّينُ الفَريد

ففيما بيننا لغةٌ ودينٌ

وفيما بيننا النَّسَبُ الأكيد

وَهَلْ أسٌّ لجامعةِ البرايا

سوى هاتا وسقفٌ أو عَمود[١]

ملوكَ العُرْبِ إنَّ الأمرَ جِدٌّ

وإنَّ الله مطَّلِعٌ شهيد

سيَسألُ - وهو أعلمُ - ما صنعتُمْ

لمن شيطانِ ظالِمِهِمْ مَريد

---

(١) كان البيت في المجلة التي نشرته:

وهاتا أس ما جمع البرايا وألف والسقيفة والعمود

ولكن وجدته في كراساته مضروبًا عليه ومغيرًا إلى ما أثبته (الرومي).

فهل للَّهِ عندكُمُ جوابٌ
لصَرْفِ عذابهِ كافٍ مفيدُ
أفكَّرتم ملوكَ العُرْبِ فيما
يخفِّفُ عن ذويكم ما يَؤود[1]
أقاربُكُمْ يُعاث بهم فسادًا
وأنتم عن معونتهم قُعود
فكم عانَتْ فلسطينٌ خطوبًا
يَشِيبُ من الصبِيِّ لَهنَّ فُود
وليس لدائها هذا دواءٌ
إذا ما طاشَ رأيكُمُ السَّديد
وليس الرأي إلا أن تقوموا
فإن قمتم فأمرُكُمُ رشيد
فلم يُعْوِزْكُمُ مالٌ وجُنْدٌ
بمثلهما لكم تُورى الزَّنود
فإن شعوبَكم أجنادُ صِدْقٍ
وظِلُّ المالِ فوقكمُ مَديد
وإن عاقت قيامَكُمُ أمورٌ
فمصدَرُ كلِّها أن لا تُريدوا
وأما صَرْفُ قولكمُ فمِنْهُ
على الإخفاق أضجَرَنا الرَّديد
فكم كَلِمٍ بَذَرْتُمْ منه بَذرًا
فما احلَوْلى لنا منه الحَصيد
فَعَدّوا عن مجرَّدِ كلِّ قَوْلٍ
فما سَعِدَتْ لِلازِمِهِ الجُدود[2]

---

(١) يؤود: يثقل.

أمُـنْـبَتٌّ من الـطـغـيـان يـومًـا
بِـحَـدٍّ مـجـرَّدِ الـقـولِ الـوريـد
أجُـبْـنًـا عن مـصـادمـةِ الأعـادي
ومـا بَـرِحَتْ مـظـالـمـهمْ تَـزيـد
ألم يَـدْرِ الـذي يـخـشى المـنـايـا
مِن الجُـبـنـاءِ أنْ عَـزَّ الخـلـود
وأنَّ بـيـوتَ من ذَلّـوا وهـانـوا
بـرغم أنـيقِ مـحـيـاهم لُـحـود
وأنَّ المـوتَ في طُـرُقٍ تـؤدي
إلى قَـمْع الـطُّـغـاة ومـا تَـكـيـد
هـو الـعـيشُ الـذي اكـتَـنَـفَتْ ذويه
جِـنـانُ الخُـلْـدِ والـذِّكْـرُ الحَـمـيـد
أنَـجْـبُنُ عن جـهـادِ خـصـومِ سـوءٍ
مُـجـاهِـدُهُم شـهـيـدٌ أو سَـعـيـد
وقـد أجْـرَوْا فـظـائِعَ لـو دَرَتْـهـا
درايـتَـنـا الجـبـالُ غَـدَتْ تَـمـيـد
نُـحَـوْقِلُ كـلّـمـا قـالـوا ذَوُوكُمْ
تَـفَـشّى فـيـهمُ الجَـهْـدُ الجَـهِـيـد[١]
ونـأبى أن نـقـومَ لـهم بـأمـرٍ
يـقـومُ بمـثـله الـبَـشَـرُ الـمَـجِـيـد
لمـاذا أطْـلَقَ الأفـواهَ مِـنّـا
ولم يُـطْـلِقْ سـواعِـدَنـا الـرُّكـود
أفي يـوم الـوغى تُـغْـني سـيـوفٌ
تَـصِلُ ولا تُـزايـلُـهـا الـغُـمـود

(١) نحوقل: نقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا دَوَتِ الرُّعودُ بغيرِ قُطْرِ
فهل تُجْدي ذَوي المَحْلِ الرُّعود
إذا ما الفعلُ لم يَعْضُدْ مَقالاً
فلا كان النَّثيرُ ولا النَّضيد
أقولُ لِمُدَّعي وُدِّي إذا ما
أرادَ مساءَتي الخصمُ العنيد
مُطيقَ مَعونَتي: إن لم تُعِنّي
فأنتَ لكاشحي لا لي وَدُود
ويا مَن ذادَنا عن منهَلَيْهِ
ولي أملٌ بِوِرْدِهِما وَطيد
وبي ظمأٌ لفَرْطِ البُخْلِ منه
وقد طابت له مني العُهود
أتبكي إن أمُتْ عَطَشًا ولَوْ لَمْ
تُحَلِّئْني لأحياني الوُرود[1]

☆☆☆☆☆

وأنتم يا بَني «التاميزِ» قولوا
أما لشنيع ظلمكمُ حُدودُ
نَعَيْتُمْ ظُلْمَ غيرِكُمُ عليه
أأظْلَمَ منكمُ يَحوي الوُجود
وعِبْتُمْ كلَّ غَدْرٍ ثم جِئتمْ
بغدرٍ لم يجئ شَرواهُ سِيدُ[2]
صنيعُكُمُ تَكَشَّفَ عن وحوشٍ
لها صُوَرُ الأناسِيِ والجُلود

---

(١) حلأه: دفعه عن ورود الماء.
(٢) شرواه: مثله، والسِّيد: الذئب.

أتَخْدَعُ بَعْدَ هذا اليومِ منكمْ
مواثيقٌ تؤكَّدُ أو وُعود
وأنتم أيُّها النُّوّابُ عَمَّن
أرادوا السِّلْمَ في الدنيا يَسُود
عَلامَ «الإنكليزُ» بَغَوْا وجاروا
وأنتم عن مفاسدهم رُقود
أطَبَّقْتُمْ مبادِئكم عليهم
وصَحَّ الوعدُ منكم والوعيد
وإلا فالمبادئُ ما دَهاها
أأبطَلَها لكم وضْعٌ جديد
أعُصْبَةَ هذه الأممِ انتباهًا
فمثلك لا يناسِبُهُ الهُجود
أنَوْمًا والطُّغاةُ تَحُشُّ نارًا
لها مَنْ سامَهم عَدْلاً وَقود[1]
ألم تتألَّفي قبلُ اختيارًا
وقمعُ البغي مقصدُكِ الوحيد
ليفنى البغيُ أجْمَعَ لا عُمورٌ
تُقيمُ له الحُروبُ ولا زُيود
وقُولي لي أحُرٌّ كلُّ عُضْوٍ
عليه انضَمَّ مبناكِ المَشيد
أمِ الأعضاءُ فيكِ - كما اقتضاهُ
مُشاعُ الظلمِ - للأقوى عَبيد

****

(١) حش النار: أوقدها.

أفي الصحيفة درُ؟[1]

إن شَـــجـــاكم مـــنّي الأنـــينُ الـــمَـــدِيـــدُ
فـــعـــذابي بـــالـــفـــقـــر جِـــدّاً شـــديـــدُ
كـــلـــمـــا قـــلتُ ذاتَ يـــومٍ ســـيـــمـــضي
مـــنه عـــني اشـــتـــدادُهُ أو يَـــبِـــيـــدُ
عَنَّ خَـــطْبٌ يـــقـــول إني كـــفـــيلٌ
أن ســـتَـــبـــلى يـــا «صـــقـــرُ» وهـــو جَـــديد
بـــعـــدَ خـــطبٍ لِـــنـــاجِـــذَيْهِ جُـــروحٌ
في فـــؤادي انـــدِمـــالُـــهنّ بـــعـــيـــد
فـــالـــخـــطـــوبُ الجـــوارحُ الـــقـــلبَ عـــنـــدي
كلَّ يـــومٍ عَـــدِيـــدُهُنَّ يَـــزيـــد
فـــكـــأن الـــخـــطـــوب كن نـــعـــامـــا
ضِـــمْنَ قـــلـــبي بَـــدا لَـــهُنَّ هَـــبـــيـــد[2]
ولـــوَ انَّ الـــخـــطـــوبَ أبـــقَـــيْنَ صـــبـــرًا
لـي إلـــــيـــه مـن جَـــــورهِـنَّ أعـــــود
مـــا شـــكـــوتُ الـــزمـــانَ مـــا بـــين مَنْ هُمْ
لـــزمـــاني طـــرّاً عـــليَّ جُـــنـــود
أنـــا أدري أن الـــشَّـــكِـــيّـــةَ مـــنـــهـــا
لـــستُ إلاّ شَـــمـــاتَـــهم أســـتـــفـــيـــد

(١) قالها يجيب بها صديقه الأستاذ الجليل الشيخ عبدالعزيز الرشيد على قصيدة بعث بها إليه.

غــيــرَ أنَّ الخــطــوبَ أفْــنَــيْنَ صــبــري
آكلاتٍ والــصــبــرُ ذُخــري الــوحــيــدُ
وإذا بَـــزَّتِ الخـــطـــوبُ جـــلـــيـــدًا
ذُخــرَهُ اضــطُــرَّ لــلــشَّــكــاةِ الجَــلــيــد
زفَـــراتُ الحـــزينِ مــــا تَمَّ مـــنـــهُ
ـنَّ اخــتــيــارا من الحــزين الــصــعــود
جَـــهَـــدَتْـــني صـــروفُ دهـــريَ حـــتى
غـــيـــرَ شـــكـــوى صـــروفِهِ لا أُجـــيـــد
كلُّ صـــوتٍ مـــا لم يـــكن بـــأنـــينٍ
لم يُـــجِـــدْهُ ذو الـــعـــلّـــةِ المجـــهـــودُ
مــا مــقــالي المحــرِّكُ الــشَّــجْــوَ في نــفـ
ـــسِكَ مــني انــبــعــاثُهُ مــقــصــود
بل كــثــيــرًا مــا كــنتُ أهــواهُ يــأتي
يُــطــرِبُ الــســامــعــينَ مــنِّي الــنــشــيــد
بـــيـــد أن الـــذي يَـــزِفُّ من الـــشِّـــعـ
ـــرِ ســـرورًا يـــأبـــاهُ حُـــزني المـــديـــد
ومن الـــصـــعبِ أن يـــفـــوه بمـــا يـــبـ
ـــعثُ غـــيـــرَ الـــكـــآبـــةِ المـــفـــؤود
مــا شــجــتك الخــنــســاء لــو لم يُــصِــبْــهــا
في أخــيــهــا عــادي الــزمــانِ الــعــنــيــدُ
بل حـــبـــا بـــالـــســـرور – مـــنك فـــؤادًا
أحـــزَنَـــتْهُ أنّـــاتُـــهـــا – الـــتـــغـــريـــد
وبـــنـــاتُ الـــهَـــديلِ لـــو لم يُـــذِبْـــهُ
ـنَّ حـــنـــينٌ إلى الـــهَـــديلِ تَـــلـــيـــد

مــا رأيتَ الــغـصــونَ - مـهـمـا يُـرَجِّـعْـ
ـنَ نُـواحًـا عـلـى الـغـصــون - تَـمـيـدُ
لا تُـــؤَمِّلْ لـــديَّ مـــطـــرِبَ شِـــعـــرٍ
فـــلـــســـاني عن قـــصـــدِهِ مَـــصـــدُود
لم أحـــاول ســـوى الــشَّـــكـــاةِ فَـــعَـــدَّى
عن ســبـيـلي شـيـطـانُ بـؤسي الـمَـريـد
فـــتـــراه عن غـــايـــتي دون عـــلـــمي
لِيَ نـــحـــوَ الـــشَّـــكـــاةِ مـــنهُ يَـــذود
فـــتـــراني أشـــكـــو وقـــصـــدِيَ أنّي
لـــلـــتـــهـــاني إلى صـــديقٍ أقُـــود
فـتـجـيءُ الـصـديقَ مـنّي الـقـوافي
حـــاملات شـــكـــواي والـــيـــومُ عِـــيـــد
فـــيُـــريـــني مـــنه الـــتـــطـــيُّـــرُ صَـــدّاً
خـــافـــيًـــا فـــيه بِـــشْـــرُهُ المـــعـــهـــود
فـــتـــراني أشـــكـــو وقـــصـــدِيَ وعْـــدٌ
لـــلـــمُـــوالي أو لـــلـــمُـــعـــادي وعـــيـــد
وكـــــذا لا يـــــزالُ عَـــــوْضُ يُلاقي
غـــيـــرَ مـــا رامَ أو نـــوى الـــمَـــحـــدود[١]
فـــالـــتـــمِسْ لي ســـعـــادةً من إلـــهي
حـــين يـــحـــويكَ لـلإلـهِ الـــسُّـــجـــود
فـــلـــعلَّ الـــدُّعـــاءَ مـــنكَ يُـــنـــافـــيـ
ـهِ تـــمـــامًـــا دعـــائِيَ الـــمَـــردود

(١) عوض: ظرف يدل على استغراق المستقبل، ومعناها: أبدًا. أما كلمة «قط» فهي لاستغراق الماضي، نقول: ما فعلته قط ولا أفعله عوض.

فــيُـلَـقّى الـدعـاءُ مـنك قـبـولاً
فـتـراني ونَـحْسُ جـدّي سُـعـود
فـبـحـسـبي سـؤالُ ربِّيَ خـيـرًا
لِيَ مِـمَّنْ سـؤالُه المجـهـود
فـلـقـد يَـفْـضُلُ الـصلاةَ دعـاءٌ
كلَّ حـينٍ لـرفـعِهِ تجـديـد
في صلاةٍ يـذِلُّ فـيـهـا ويَـعْـنُـو
- لـلـذي صـاغ شـخـصَه - الـصِّـنديـد
فـارم عـبـدَالـعـزيـزِ بـالـسُّؤْل فـقـري
فـسـؤال الـتَّـقِيِّ سـهمٌ سَـديـد
☆☆☆☆☆
رُبَّ لـيلٍ سـهـرتُ تحت دُجـاهُ
أبـدَأُ الـفـكـرَ تـارةً وأُعـيـد
بـاحـثًـا فـيه عن طـريقِ خلاصٍ
من هـمـومٍ يـشـيبُ مـنـهـا الـولـيـد
قـد هَـداهـا إلى فـؤادي احـتـيـاجي
كلَّ مـا دونَهُ الحـيـاةُ تـؤود
فـيُـوَلِّي الـدُّجى وكلُّ طـريقٍ
خـلـتُ فـيه الخلاصَ لي مـسـدود
فـأُقَـضِّي الـنـهـارَ مـا بـين كُـتْبٍ
أنـا صَبٌّ بمـا وَعَـتْهُ عَـمـيـد
فـإذا الـلـيل عـادَ عُـدْتُ إلى مـا
كـنت فـيه والـنـاسُ حَـوْلي رُقـود
وأخـيـرًا رأيت أن ركـوب الـ
ـبحـرِ فـيه لِـفـاقَـتي تـشـريـد

فــإذا الــبَــحْــرُ مَــوْتُ مَنْ نــورُ عَــيْــنَــيْـ
ـهِ – شــبــيــهي من الــورى – مَــفــقــود
فـــأنـــا الـــيـــومَ في الـــكـــويت أقـــاسي
من شـــقـــاءٍ مـــا لا يـــطـــيق الحـــديـــد
بـــين مـــثـــرٍ يـــرى الـــســـمـــاحـــة عـــارًا
فـــهـــو طَـــوْعَ الإمـــســـاك عـــنه يـــحـــيـــد
لـــيس يُـــصـــغي إلى شَـــكـــاتِيَ مـــهـــمـــا
زارَ سَـــمْـــعَـــيْهِ بـــالـــشّـــكـــاةِ الـــقـــصـــيـــد
لا يُـــلـــينُ الـــمُـــقِلُّ مـــنه بـــشـــكـــوا
هُ فـــؤادًا به اســـتـــبَـــدَّ الجُـــمـــود
ومُـــقِلٌّ يَـــوَدُّ إســـعـــادَ مـــثـــلي
في الـــبـــرايـــا لـــو ســـاعـــدته الجـــدود
فـــلـــكلٍّ من الـــفـــريـــقـــين من بُـــخْـ
ـلٍ وبـــؤسٍ أن يُـــســـعِـــداني قُـــيـــود

✲✲✲✲✲

لـــستُ أدري أفي الـــصـــحـــيـــفـــة دُرٌّ
زَفَّهُ لي عـــبـــدُالـــعـــزيـــزِ الـــرَّشـــيـــدُ
مـــســـتـــثـــيـــرًا تـــعـــجُّـــبي إذ أتـــاني
وهـــو عـــقـــدٌ – ولم يُـــثَـــقَّب – نـــضـــيـــد
أم أمـــانٍ قـــضـى عـــلـــيـــهنَّ يـــأسي
من يـــســـاري وفُـــرْشُـــهُنَّ مُـــهـــود
قـــد تَـــبَـــدَّلْنَ بـــالـــمـــمـــاتِ حـــيـــاةً
فـــازدهـــاني مـــنـــهن عُـــمْـــرٌ رَدِيـــدُ
أم زُهـــورٌ يَـــرُقْنَ حُـــسْـــنًـــا وريّـــاً
كـــلَّ أنـــفٍ وكـــلَّ طَـــرفٍ يَـــرود

بل ثـــنـــاءُ أجـــادَ نـــسجَ قَـــوافٍ
– ضمُنّتُهُ – ذاك الصَّناعُ المُجيد

وبـــحَـــسْـــبي مـــعـــزِّيًـــا عن حـــظـــوظٍ
شَفَّ نفسي منهنَّ عني الصدود

إن شَــروى عــبــدِالــعــزيــز من الــصِّــيـ
ـــدِ بــذكــري بــين الأنــام يُــشــيــد

أيُّـــهـــذا المـــذيعُ بـــين الـــبـــرايـــا
ذكـــرَ مَن مِلْءُ عـــيـــشِهِ الـــتَّـــنْـــكـــيـــد

كـــيـــف لان الـــفـــؤادُ مـــنك بـــأرضٍ
أنجـــبَـــتْكَ الـــلِّـــيـــانُ فـــيـــهـــا فَـــقـــيـــد

ولـــعَـــدوى الـــبلاد بـــالـــيُـــبْسِ والـــلِّـ
ـــينِ بـــنـــيـــهـــا تـــغـــلُّبٌ مـــشـــهـــود

✡✡✡✡✡

أنـــا مـــا زلتُ في الـــكـــويتِ أُغَـــنّي
كلَّ صـــوتٍ يَـــشْـــجى به الجُـــلْـــمـــود

وهيَ تـــزداد قـــســـوةً فـــغـــنـــائي
لـــشـــقـــائي تـــتـــمَّـــةٌ ومـــزيـــد

فـــكـــأنَّ الـــكـــويتَ مـــا دمتُ فـــيـــهـــا
قـــفـــصٌ فـــيـــه بـــلـــبلٌ غِـــرِّيـــد

أيـــأســـتـــني من أن تَـــرِقَّ لحـــالٍ
شـــاب مـــنـــهـــا عـــلـــى شـــبـــابي الـــفُـــود[1]

جَـــهِـــلَتْ حـــقِّـيَ الـــكـــويتُ فـــلـــم يُـــو
لِ الـــتـــفـــاتًـــا مـــنـــهـــا إلـــيه الجِـــيـــد

(١) الفود بفتح فسكون: جانب الرأس، وهنا ضم الفاء لضرورة القافية.

وعـلى جَـهْـلـهـا المـضِـرِّ بـحـقِّي
تـتـلـظَّى عـليَّ فـيـهـا الحُـقـود
فـكـأني عـمّـا لَـهـا من حـقـوقٍ
طـاردٌ طَـوْعَ مـطـمـعي لا طَـريـدُ
فـبـهـا الـيـوم بـين كـيْـدٍ وأيْـدٍ
تـلـتـقـيـني ثـعـالبٌ وأُسُـود[1]
فـنـصـيـبي مـنـهـا الـتـوقُّعُ للإيـ
ـذاء يـومي ولـيـليَ الـتـسـهـيـد
وصَـمَـتْـني حـتى بِـجَـحْـدِ إلهٍ
مـا تـمـشّى له بـبـالي الجُـحـود
ويـقـيـني - بـأن ربّي مُـديـلي
من ذوي الـظـلمِ - عُـدَّتي والـعـديـد[2]
فـرجـائي عَـوْنُ الإله عَـتـادي
إذ عَـتـادُ الـقـوم الـقُـوى والـنُّـقـود
ومـفـازي في عـاجـلي إن تـوانى
فـهْـوَ في آجِـلي لـديَّ أكـيـد
أنـا لـولا الإيمـانُ بـالـلـه وافَى
نـارَ مَـحـيـايَ من هُـبُـوبي الخُـمـود
فـانـتـحـاري - لـولا يـقـيـني - خـيـرٌ
من حـيـاةٍ لا تـرتـضـيـهـا الـقُـرود
كـيف يـحـيـا لـولا الـيـقـينُ ضـعـيفٌ
نـابَـذَتْهُ عُـمـورُهـا والـزُّيـود

(١) الأيد: القوة.

(٢) أداله الله من أعدائه: جعل الكرة له عليهم.

لـــستُ أدري لِمَ الـــكـــويتُ نَـــبَتْ بي

وقَـــريـــضـي تـــاجٌ لـــهـــا وعُـــقـــود

ومن الـــبِـــدْعِ أنـــني لـــستُ أهـــوى

صَـــرْمَـــهـــا وهيَ للأديبِ تَـــكـــيـــد

فـــكـــأن الأديبَ فـــيـــهـــا مـــقـــيمٌ

حَـشْـوَ أطـمـارِهِ الـنـزيـهـةِ سِـيـد

ربمـــا سَـــوَّلَتْ ليَ الـــنـــفسُ مَـــنْـــآ

هـا إلى مـا تُـقـيمُ فـيه الـصِّـيـد[1]

فـــثـــنـــاني عن أن أغـــادرَ أرضي

عـــهـــدُ حُبٍّ لـــهـــا لـــديَّ عَـــهـــيـــد

لا تـــســـلـــنـــي أنـــا أحِبُّ بلادًا

أُسُّ تَـعـسي مُـذ كـنتُ فـيـهـا وَطـيـد

فـــجـــوابي عـــلى ســـؤالِكَ لا الـــمَـــنْـ

ـــقـــودُ عـــنـــدي ولا هـــو المـــوعـــود

إن سِـــرَّ الـــغـــرام بـــالـــشيءِ مـــا كـــا

نَ لـــشَـــمْلِ الأسى به تَـــبْـــدِيـــد

وغَـــدا فـــيه لـــلـــســـرورِ حـــيـــاةٌ

وســـروري في مـــوطـــني مَـــوْءود

فـــإذا بـــانَ ســـرُّ حُبِّ مُـــحِبٍّ

تَـــيَّـــمَـــتْهُ تَـــهـــائِمٌ أو نُـــجـــود

فـــغـــرامي بمـــوطـــني دونَ فـــهـــمي

سِـــرَّهُ حـــال من شـــقـــائي ســـدود

---

(١) الصِّيد: جمع أصيد، وهو من يرفع رأسه كبرًا، وهنا يريد بالصيد العظماء.

بـــا بلادًا فـــيـــهـــا الـــفـــقـــيـــرُ يُـــعـــاني
مـــــا يــــعــــاني في نــــارِهِ نَــــمـــرود
لـــيتَ فـــيكِ الجُـــدودُ أسْـــعَـــدْنَ أوْبًـــا
لـــيـــتَـــهـــا فـــيك مـــا نَـــمَـــتْـــني الجُـــدود
فـــالأســـاسُ الـــذي عـــلـــيه شـــقـــائي
قـــام أنّي بـــفـــاقـــتي مَـــصْـــفـــود
فـــيكِ والـــفـــقـــرُ عـــنـــد أهـــلـــيكِ ذَنْبٌ
مـــا لـــسُـــبْلِ اغـــتـــفـــارهِ تـــمـــهـــيـــد
فـــلـــفـــقـــري ظَـــلَـــلْتُ فـــيكِ كـــأني
دون جُـــرْمٍ طـــريـــدُ جُـــرْمٍ شَـــريـــد

****

تَسَلَّيْ يا نفسُ

كـــنتُ لـــو لم أعَـــلِّلِ الـــنـــفسَ مِـــمَّنْ
غَـيَّـبَتْ مـنـهمُ الجـسـومَ الـلُّـحـودُ
غـيـرَ أني أقـول لـلـنـفسِ مـا ضـا
قَ عـلـيـهـا خـنـاقُـهـا المـشـدود
إن هـذا الـوجـودَ يـا نـفسُ يمـحـو
هُ سـواهُ عَـمّـا قـلـيلٍ وُجُـود
وزمـانُ الـوجـودِ هـذا إلى جَـنْـ
ـبِ زمـانِ الـوجـودِ ذاكَ زَهـيـد
فـلـعلَّ الـذي يُلاقي شـقـاءً
مـسـتـمـرّاً هُـنـا، هـنـاكَ سـعـيد
فـلـئن كـنتَ في دُنـاكَ قَـعـودًا
مـثـقلاً بـالـشـقـاءِ مـنه الـقُـتـود
طـاويًـا مِن دُنـاهُ بـالـعِبءِ مـا لَم
تَـنْـأَ مـنه عـلى الـطَّـواةِ الحُـدود
فـمن الـعـدلِ بـعـد طَيٍّ مَـداهُ
يـحـملُ الـثِّـقْلَ أن يُـراحَ الـقَـعـود
وعـلى عَـدْلِ من كـمـا شـاء كـنّـا
كلُّ شيءٍ كـمـا عـلـمتَ شَـهـيـد
فـإذا مـا رأيتَ مـقـصـودَ نَـعـمـا
ءٍ تَـوالى عـلـيه مـنـهـا وُفـود

ثـم أبـــــصـــــرتَ حـــــولَ ذاك مُـــــقِلاً
قــد عَــداهُ في الــدهــر عــيشٌ رغــيــد
فـــــشـــــبـــــيـــــهـــــانِ بـــائسٌ وغـــنيٌّ
في وجــودٍ به اســـتـــحـــالَ الخـــلـــود
ثم لم يـــعـــلمِ المـــقـــيـــمـــون فـــيهِ
أقـــصـــيـــرٌ مـــقـــامُـــهم أم مَـــديـــد
وهَـــبِـــيهِ يـــطـــولُ فـــالـــطـــولُ مـــنه
عن ثـــمـــانـــين غـــالـــبًـــا لا يَـــزيـــد
وهي تـمـضي كـمـا اسـتـمـرَّت أو اسـتَـحْـ
ـــلَت خــيــالاً تــخــيَّــلَــته الــرُّقــود
فــإذا مــا انـقـضت تَـسـاوى الـنـقـيـضـا
نِ ســـعـــيـــدُ الحـــظـــوظ والمـــنـــكـــود
بل تـــرين الـــفـــقـــيـــرَ أحـــسـنَ حـــالاً
حـــين يـــغـــدو بـــالـــنـــفْسِ كلٌّ يَـــجـــود
ذاك أنَّ الـــفـــقـــيـــرَ يـــنـــحلُّ عـــنه
قـــيـــدُ حـــزنٍ بـــقـــلـــبه مـــعـــقـــود
وحـــلـــيف الـــثـــراء يـــنـــجـــابُ عـــنه
ظِـلُّ أُنْـسٍ مِـن فـــــــوقِـه ممـــــــــدود
وهَـــــــبِي أن ذلك الـــــــرأيَ مــــــنّي
في الـــتـــسَـــلّي يـــنـــالُه الـــتـــفـــنـــيـــد
أيـــنـــالُ الـــتـــفـــنـــيـــدُ أن يـــتـــســـاوى
في الـــــتـــــراب المحـــــدودُ والمجـــــدود
إنَّ هـــذي الـــقـــبـــورَ فـــيـــهـــا مـــلـــوكٌ
ســـبَـــقـــونـــا إلى الـــبِـــلى وعَـــبِـــيـــد
فـــتـــسَـــلَّيْ يـــا نـــفسُ أو فـــأريـــني
مـــا بِـه فـــات عَـــبْـــدَهُ المـــعـــبـــود

واسـألي الـدودَ والـبِـلى مـا اسـتـبـاحـا

مــنــهـمُ، يـخـبـرِ الـبِـلى والـدُّودُ

اسـتـبـاحـا تـفـاوُتَ الـقـومِ حـتى

لا سِـمـاتٌ لـهـم ولا تحـديـد

فـالـورى في قـبـورهـم لـيس فـيـهـم

حـاسـدٌ مـيـزَةً ولا مـحـسـود

لـو تَـقَـرّى المـاضـين فـكـرةُ مُـثْـرٍ

يـزدهـيـهِ ثـراؤُهُ المحـشـود

فـهـو طـوعَ الـغـرور يمـلكُ عِـطْـفَـيْـ

ـهِ اخـتـيـالاً - إذا مـشـى - الـتّـأويـد

فـكـأنَّ الـفـتى لـفَـرطِ الـتَّـبـاهي

في حُلاهـا اخـتـالت فـتـاةٌ رُودُ

لأُذيلَ الـتـواضُعُ الـدَّهْـرَ من كِـبْـ

ـرٍ لـوجه الـغـنى بهِ تَـسـويـد

إنَّ كلَّ الـذين بـالمـال غُـرُّوا

غـافلٌ عن مـآله أو بـلـيـد

كـيف يمـشي فـوق الـصـعـيـد اخـتـيـالاً

مـشـيـةً يـجـتـويه مـنـهـا الـصَّـعـيـد

من دَرى أن جِـسـمَهُ من طـعـامٍ

لـلـصـعـيـد الـمُـقِـلِّه[1] مَـعـدود

أيُّـهـذا الـمُـدِلُّ بـالمـال مـهلاً

إن أمَّ الـمَـنـونِ بـعـدُ وَلـود

وهي حـبـلى يـكـاد يـحـبـو إلـيـهـا

(١) المُقِلّه: الذي يقله. أي يحمله.

في ذَراكَ الــمَــخــاضُ والــتَّــولــيــد
فـــإذا مـــا أتت وحـــتـــمًـــا ســتـــأتي
بـــولـــيـــدٍ به الـــبـــشـــائـــرُ ســـود
مِن نَـــعِيٍّ به يُـــسَـــرُّ الـــمُـــعـــادي
ونُـــــواحٍ به يُـــســـــــاءُ الـــــوَدود
بَــزَّ مــنكَ الــبــشــيــرُ بُــشــراهُ قَــسـُـرًا
وهـي ممـــا أتـــاهَكَ الـــتَّـــجـــريـــد
لا تُـــعـــالجْ بـــالمـــال كـــسْـــرَ فـــؤادٍ
من فـــقـــيـــرٍ فـــمـــا لمـــالٍ عـــهـــود
وهَبِ المـــوتَ قـــد تـــأتَّـــاكَ حـــيـــنًـــا
حـاصـدًا أيُّـهـا الـهـشـيمُ الحَـصـيـد
فـلـيـالـيكَ شـيـمَـتـاهـا قـيـامٌ
بـــالـــفـــتى تـــارةً وأخـــرى قُـــعـــود
وتـــــأمَّلْ فـــــإن أحــــوالَ من حَــــوْ
لَكَ طُـــرّاً لـــقَـــوْلَـــتي تـــأيـــيـــد
فـــلـــئن كـــان وِرْدُكَ الـــيـــومَ رِفْـــهًـــا
كلُّ حـــوضٍ عـــنه الـــفـــقـــيـــرُ مَـــذُود
فـلـقـد تَـطْـرُقُ الـعـوادي بمـا يَـنْـ
ـــبَتُّ فـــيه ممـــا تـــروحُ الـــوريـــد
فـــإذا بـــالحِـــيـــاضِ مـــنـــهـــا يُـــواتي
مـاضـيَ الـفَـقْـرِ كـيف شـاءَ الـوُرود
وإذا بـــالـــصَّـــدِي الُـــمـــلِحِّ تـــلـــظَّى
مـن حـــــديثِ الإمـلاقِ مـــــنـه وَقُـــــود
كم رأيـــنـــا من بـــيتِ يُـــسْـــرٍ مـــنـــيعٍ
ظلَّ مـــا ظَلَّ وهـــو عـــالٍ مَـــشـــيـــد
ســاكِـنـوهُ لـم يَـشْـكُـهُمْ مـنـذ حَـلّـوا

جـــانِــــبَـــــيْهِ مـن ريحِ أُنْسٍ رُكـــود
كلُّ شيءٍ ممـــا يُــــجِـــدُّ ســــرورًا
وارتــيــاحًـا في ســاحـتَـيْهِ عَـتـيـد
ثـم لمـــا طَـــغى ذَوُوُه وتــــاهـــوا
خَـرَّ مـنه الـذُّرى وخـانَ الـعَـمـود
فـإذا الـبـيتُ عِـبْـرَةُ الـدهـرِ يـشـفي
واعــظًـا مـنه ركــنُهُ الَـمـهـدُود
وكـــأنّي من صِـــفـــرِ كَفّ تـــأتّى
عـنه حـيـنًـا مـا يـشـتـهي ويُـريـد
مـــر حــــين لـه ولـم تــــر فـي كَـ
ـفَّـيْـه ممّـا به يُــعــاشُ زنُــود
كلُّ زنـــدٍ يُـــوري بــــكفٍّ سِـــواهُ
هـــو في راحــتـيهِ كــابٍ صَـلُـــود
كـابَـدَ الـعُـرْيَ والمجـاعـةَ حـتى
مُـنْـيَـتـاهُ عـبـاءةٌ وثَــريــد
كـــلـــمـــا الــلــيل جن جن طـــواه
صـائـحًـا مـا لمن صَـحِـبْتُ هُـجـود
وإذا مـا غَـدا غَـدا يُـسـمِعُ الـصُّـ
ـمَّ قـلـوبًـا قـمـيـصُهُ الَـمـقـدود
ثم لمـــا أن أَوْشَكَ الـيـأسُ يمـضـي
حــكـمُهُ في رجـائـه ويَــســود
أدركـته مـغـيـثـةً رحـمـةُ الـلـ
ـهِ فـأضـحى يـخـضَـرُّ مـنه الـعُـود
فـرأى يـابِسَ المـعـيـشـةِ رطـبًـا
وذمـيمَ الحـيـاةِ وهْـوَ حَـمـيـد

*****

(١) ظاهره: عاونه.

(٢) قد: قطع.

(٣) عز: قل حتى لا يكاد يوجد.

أوحد الظباء

يَـــروعُ فـــؤادي بـــالجَـــفـــا من أوَدُّهُ
إذا لم يَـــرُعْ مـــنه فـــؤاديَ بُـــعْـــدُهُ

وبُـعـدُ حـبـيب الـنـفس يـقـتلُ وحـدَهُ
فـكـيف إذا مـا ظـاهَـرَ الـبُـعْـدَ صَـدُّه[1]

فـمـا سَلَّ سـيـفًـا صـارمًـا من صـدودهِ
فـكـان سـوى قـلـبي المـعـذَّبِ غِـمـدُه

ولا شَـحَـذَتْ أيـدي تَـنـائـيه صـارمًـا
فَـقَـدَّ سـوى أحـشـاءِ صـبـرِيَ حَـدُّه[2]

ومَن كـان بـالـظـبي الـنَّـفـورِ غـرامُه
فـأتـعسُ جَـدٍّ في الـبـريَّـةِ جَـدُّه

تـلَـوْتُ بِـعَـيْـنَيْ مـسـمَـعي صـورةَ الـبَـهـا
بـلـفظٍ له مـنه تـكـوَّنَ عِـقْـدُه

فـآمَن قـلـبي أنَّهُ أوحَـدُ الـظِّـبـا
جَـمـالاً وأنْ قـد عَـزَّ فـيـهنَّ نِـدُّه[3]

غـزالُ صـريمٍ في الـكـويتِ كِـنـاسُهُ
وقَـيْـصـومُهْ بـين الـضـلـوع ورَنْـده

فمن روضِ حُسْنِ الصَّبْرِ في القلبِ رَعْيُهُ
ومِن مـا عَـزائي في الجـوانح وِرْدُه[4]

تَـواصَلَ مـنه الـوصلُ لي قـبلَ عـلـمِهِ

---

(١) الندب: الخفيف في الحاجة، السريع الظريف.

بـأني عـلى حُـكمِ الـصَّـبـابـةِ عَـبْـدُهُ

فـلـمّـا درى أَوْرى لَـظى الـهـجـرِ واغـتـدى

يُـعـذِّبُـني فـيـهـا كـأنِّيَ ضِـدُّه

وأشـفَـعُ من شـعـري إلـيه بـشـافعٍ

عـلى كلِّ ظـبـيٍ غـيـرِهْ عَـزَّ رَدّه

وأُرسِـلُـهُ مَعْ كلِّ نَـدْبٍ إخـالُهُ

يَـهـونُ له حـتى من الـبَـدْرِ قَـوْدُه[1]

فـيـرجِعُ مـنه خـائبَ الـسَّـعْيِ قـائلاً

غَـزالُكَ هـذا لـيس يُـمـكِنُ صَـيْـدُه

سـعَـيْـنـا له في كلِّ مـنـهجِ حـيـلـةٍ

لـصَـيْـد ظـبـاءِ الإنسِ كـنّـا نُـعِـدُّه

وقـلـنـا إذا لم تـشـف صَـقـرًا بـزورةٍ

فـمن وَجْـدِهِ الـذاكي سـيَـحـويهِ لَـحْـدُه

فـقـالَ دَعُـوهُ يَـدَّعي الحُبَّ كـاذبًـا

وكـيف إلى الأعـمى تَـسَـرَّبَ وُجْـدُه

طـريقُ الـهـوى لـلـمـرءِ رؤيـةُ عـيـنِهِ

ونـهجُ هـوى صـقـرٍ عَـمـاهُ يَـسُـدُّه

وإن لم يَـمُتْ في الحب صـقـرٌ كـمـا ادَّعى

فَـمُـسْـتَـحِـكمُ الإعـسـارِ سـوفَ يَـهُـدُّه

****

(١) صفدتني: أوثقتني وقيدتني. والصفاد ما يوثق به ويقيد.

ذكرى مولد الرسول (ﷺ)

رَفَعَ الـــلهُ مـــجـــدَ بـــيتِ الـــضّـــادِ
وذَوِيــــهـــا مـــنهُ بـــخـــيـــرِ عِـــمـــادِ
فـــــعـــــلــــيهِ مع الـــصَّلاةِ سلامٌ
فـيه يُـمْـلـيـهِـمـا جـمـيلُ اعـتـقـادي
سَـيِّـدَ الـرُّسْلِ كـلَّـمـا رُمْتُ مَـدْحًـا
لـك أرجـــو بـه صـلاحَ مَـــعـــادي
وتـــأهَّـــبْتُ لـــلـــدُّنُـــوِّ إلـــيهِ
بـــقـــواف مـــا مـــلْنَ عن إنجـــادي
صَـــفَّـــدَتْـــني يَـــدا قُـــصـــوريَ عـــنهُ
فـأنـا عـنهُ مِـنـهُـمـا في صِـفـاد[1]
لـيس في حَـلْـبَـةِ الـثَّـنـاء عـلـى مَـجْـ
ـــدِكَ أهلاً لـــلـــجـــرْيِ مـــثلُ جِـيـادي
وكـفـاني بـالـعَـجْـزِ عـذرًا مـبـيـنًـا
وعـلـيه يـومَ الـلـقـاء اعـتـمـادي
فـاعفُ واصـفَحْ فـأنت لـلـعـفـو والـصَّفْـ
ـحِ لمـثـلـي في الـنـاس خـيـرُ جَـواد
هـــذه لـــيـــلـــةُ الـــوِلادِ وفـــيـــهـــا

(١) يربد: يغبر ويسود.
(٢) الإسعاد: الإعانة والمساعدة.
(٣) مبير: مهلك.
(٤) بسل: تقال بمعنى الحرام، وتقال بمعنى الحلال. وهنا يراد بها معنى الحرام.

لك يـــشـــدو بمـــدحـــةٍ كلُّ شـــاد
ولِــعَــجْـزي عــنه جَــعْـلَتُ إلى الــصَّـمْـ
ـتِ بــرغــمي بــينَ الــشُّــداةِ اســتـنــادي
أنـــا مـــا زلتُ من هـــمـــوميَ أسْـــري
تحت لـــيلٍ يَـــرْبَـــدُّ كلَّ ارْبِـــدَادِ[1]
وَرَضِيٌّ الــقــريضِ لــلــشــاعــر الــمَـهْـ
ـــمــومِ مـــا كـــان قَطُّ ذا إســـعـــاد[2]
فـــإذا مـــا أذِنْتَ لي بـــالـــتَّـــشَـــكّي
من هـــمـــومٍ عَـــلَيَّ ذاتِ احـــتِـــشـــاد
فَـــشَـــكـــاتي إلـــيكَ من كلِّ مُـــغْـــوٍ
ومُـــضِلٍّ بـــاغي المـــقـــالـــةِ عَـــادِ
قـــد أضَـــلُّـــوا بـــاسمِ الـــديـــانـــةِ ممَّن
جـــهِـــلـــوا كلَّ رائحٍ أو غـــاد
كم أمـاتـوا لـكي يـعـيـشـوا نـفـوسًـا
لم تَـــزَلْ بَـــعْـــدُ حَـــيَّـــةَ الأجـــســـاد
فـادْعُ يـا خـيـرَ مُـنـقِـذيـنـا عـلـيـهمْ
بـــزوالٍ يَـــعُـــمُّـــهُمْ ونَـــفـــاد
مـــا لجُـــرحِ الـــعـــروبـــةِ الـــيـــومَ - إلاّ
أن يَــزولــوا عن وجـــهِـــهـــا - من ضِـمــاد
لم يــكن قـــومُكَ الـــكـــرامُ عـــلى جـــهـ
ـلٍ مـــبـــيـــرٍ لـــولا هُمُ في تـــمـــاد[3]
أَوْهَـــمـــوهُم بـــأنَّ وِرْدَ حِـــيـــاضِ الـ
ـــعِـلْمِ بَـسْلٌ ديـنًـا عـلى كلِّ صـاد[4]
فـــغَـــدا الـــقـــومُ مـــنـــهمُ في اقـــترابٍ

---

(١) عز: غلب وقهر، ويريد هنا أنه جافاهم. عدتهم: صرفتهم.

ومن الــــعـــــلـمِ كُـــلِّهِ في ابـــــتــــعــــاد

وإذا الـــــعِــــلـمُ لم يَـــشِـعْ بــــين قــــومٍ

شـــــاعَ فـــــيــــهم هَلاكُــــهُمْ بــــاطِّــــرادِ

كــلَّـمــا قــام مــخــلـصٌ يــنــصـحُ الــنّــا

سَ ويـــــهـــديــــهمُ ســـبـــيلَ الـــرشــــاد

مُـــتَــــوَخٍّ نَـــشْــــرَ الـــعـــلـــومِ وإطلا

عَ شـمـوسِ الـعـلـومِ فـيـنـا الـهَـوادي

كـــاشفٌ عن فـــوائـــدِ الـــعــلمِ مـــبــدٍ

كلَّ مـــا الجـــهل مـــعـــقبٌ من فـــســـاد

طـــالبٌ أن يُــحـــارَبَ الجَـــهْلُ بـــالـــعِـلْـ

ـمِ مُـجِـدٌّ في نُـصــحِهِ ذو اجــتــهــاد

كَــــفَّــــرَتْهُ عـــمــــائمٌ قَـــرَّبَ الجَــــهْـ

ـلُ إلــيــهــا مِــنّـــا بَــعــيــدَ الــمُــراد

فــهي تــخــشى إذا اســتَــنَــرْنــا عُــقــولاً

فَــوْتَ خـــافي أغـــراضِـــهـــا والــبَـــادي

تَـــتَّـــقي أن يُـــحَــــرِّرَ الـــعِــلـمُ مَنْ ألـ

ـقَـوْا إلـيـهـا لجـهـلـهِم بـالـقِـيـاد

وانـــقـــيـــادُ الـــسَّـــوادِ مـــنّـــا إلـــيـــهـ

ـنَّ لـعَـمـري من مـــهـلـكـاتِ الـسَّـواد

وقـــدِ انـــقـــادَ جـــاهلاً فَـــاجْـــرِ يـــا دَمْـ

ـــعِي عـــلـــيه حـــزنًـــا وَذُبْ يـــا فُـــؤادي

فَـــرَّقَـــتْـــنـــا تـــلك الـــعـــمـــائمُ حـــتى

أيـــأسَـــتْـــنـــا من أُلْـــفَـــةٍ واتّـــحـــاد

---

(١) العسجد: الذهب.

وإذا عَــزَّ الاتِّــحــادُ بَــني الــعُــرْ
بِ عَـدَتـهمْ عن الحـيـاةِ الـعَـوادي[1]
أصـبحَ الـيـومَ حـامِـلـوهـا عـلـيـنـا
لـلـزمـانِ الـعـادي من الأجـنـاد
قـسَّـمـونـا بـاسم الـديـانـةِ أقـسـا
مًـا لـيَحْظَوْا بـالعـسجَـدِ الـمُستَفـاد[1]
ثم قـالـوا كـذلكَ الـدِّينُ والـدِّيـ
ـنُ بِـوادٍ والـكلُّ مـنـهم بِـوادِ
أبِـلَـيْلِ الـتـفـرُّقِ الـدِّينُ يَـبْـغي
مِن ذويهِ دوامَ مُـرْدي الـرُّقـاد
لا لـعَـمـري بل الـديـانـةُ تـقـضي
بـاجـتـمـاع الأحـزابِ والأفـراد
مـا أتى الـدِّينُ نـقـمـةً وهلاكًـا
بل حـيـاةً ورحـمـةً لـلـعـبـاد
أحَـيـاةُ الأقـوام مـا اسـتـثـمـروهُ
من بـذورِ اجـتـمـاعـهم والـوِداد
أم تَـرَوْنَ الحـيـاةَ فـيـمـا جَـنَـوْهُ
من مَـجـاني شَـتـاتِـهم والـتَّـعـادي
أيُّ شـعبٍ إذا تَـنـافَـرَ لم يَـشْـ
ـكُ انـتـقـاصَ الحـيـاة بـعـدَ ازديـاد
فـإلى الـوحـدة الحـمـيـدة عُـقْـبَى
نَـادِ يـا مُـصـلحَ الـعـروبـةِ نَـاد

(١) ورى الزند وريًا: اتقد.
(٢) النآد: الداهية.
(٣) الرقاق الحداد: يريد بها السيوف.

فــهي بــعــدَ الإله خــيــرُ كــفــيلٍ
بــبلــوغِ الــمُــنى وخــيــرُ عَــتــاد[٢]
هل رأيــتم لأمــةٍ في الــمَــعــالي
قــبلَ جَــمْعِ الــقــلــوبِ وَرْيَ زِنــاد[١]
نــحنُ أبــنــاءُ يــعــربٍ لــو عَــقَــلْــنــا
إخــوَةٌ في الــرجــوع لــلــمــيلاد
والــمَــعَــدِّيُّ يَــعْــرُبيٌّ عــلى حــا
لَيْ رَخــاءٍ من دهــرنــا واشــتــداد
وعــلى الإخــوةِ الــكــرام الــتَّــصــافي
لا الــتــنــافي كــســائــرِ الأضــداد
فــعَلامَ افــتــراقُــنــا وإلى مــا
نــحنُ نــشــقى مــنه بــكلِّ نَــآدِ[٢]
جــاءنــا الــدِّينُ جــامــعًــا لا مُــشــتِّــاً
فــاجــمَــعونــا فــالجَــمْعُ أصلُ الــسَّداد
وانــقُــدوا كلَّ قــائلٍ بــافــتــراقٍ
تــعــلــمــوا زَيْــفَهُ لــدى الانــتــقــاد
فــهــو إمّــا يُــعَــكِّــرُ المــاء حــتى
يــتــسَــنّى له طــريقُ اصــطــيــاد
أو غَــبيٍّ والــكلُّ من ذا وهــذا
لــيس إلا إلى المــهــالِكِ حَــادِ
فــانــصــحــوهم فــإن أنــابــوا وإلا
فــتَــوَقَّــوْا أخــطــارَهُم بــالجــهــاد

---

(١) صقر قريش هو عبدالرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس.

(٢) طير الأيادي يكنى به عن النقود.

جَـــــرِّدُوا كلَّ مِــــــقْــــوَلٍ ويَــــــراعٍ
لــستُ أدعــو إلى الــرِّقــاقِ الحِــداد[٣]
وأبــيــنــوا لــلــنَّشْءِ مــا هُمْ عــلــيهِ
من ضلالٍ وحِــــطَّـــــةٍ وعِــــنـــــاد
فــــعـــلى كلِّ ذي حــــجًى وبـــيـــانٍ
تَــــبِــــعــــاتُ الحــــيــــاةِ في الأولاد
وبـــقـــاءُ المــضَــلِّــلِــينَ شــقــاءٌ
لِـبَـنـيـنـا، وبَـعْـدُ في الأحـفـاد
ولـــكلٍّ مــــنــــا ومــــنـــهم ولا شَـ
ـكَّ جَـــزاءُ الإله بـــالمــــرصـــاد
فــــهـــو عَـــدْلٌ وعَـــدْلُهُ لا يُـــســـاوي
بـــين أهلِ الإغـــراءِ والإرشــــاد
إنمـــا كـــانتِ الـــعــمـــائمُ عُـــنْـــوا
نَ المـــعـــالي والمجــدِ في الأجــداد
يــوم كــانــوا مــلــوكَ هَــدْيِ الــبــرايــا
في دمــشقٍ وبـــعـــدُ في بـــغـــداد
وبلادُ زَهَتْ بـــصـــقـــرِ قـــريشٍ
يــومَ تحــلــيــقِهِ بــتــلك الــبِلاد[١]
فَــثَــنَــتْــهــا غُــواتُــنــا الــيــوم لا عــا
شــوا فــخــاخًــا لــصــيــد (طَـيْـرِ الأيـادي)[٢]
نـــافَـــسُـــوا كُلَّ أيِّمٍ ويــــتـــيمٍ
وكــســيــرِ الــرِّجــلــينِ والأعــضــاد
في ســؤالِ الــزكــاةِ والــرِّفْــدِ من كُـ
ـلِّ مُـــزَكٍّ وكُـلِّ ذي إرفــــاد[٣]
أقــويــاءٌ عــلى الــتَّــكَــسُّبِ لــو شــا

ؤوا لــكـــانـــوا كـــســـائـــرِ الأمْـــجـــاد

ومِـن الـــــعـــــارِ والأثـــــامِ عـــــلى مَن

لم يُـــغِــثْهُ الـــزَّمـــانُ بـــاســـتـــعـــداد

أن تـــــراه كـــغـــيـــره من ذوي الـــعـــا

هـــات في مَـــدِّهِ يَـــدَ اســـتِـــمـــداد

لا تـــلـــومـــوا عـــلى الـــعـــمـــائمِ من صـــا

لَ بـــجـــنـــدٍ من الـــقَـــوافي الـــشِّـــداد

رفَـــعـــوهـــا عـــلى الـــرؤوس لـــكـــيـــمـــا

يـــضـــعـــونـــا بـــعـــد الـــرُّبـــا في وِهـــاد

فـــبـــأيـــدي الـــعِـــدا لـــكلِّ غـــراسٍ

من عُـلانـــا كـــانـــوا أداةَ حَـــصـــاد

نـــحن لـــولا شُـــرورُهُمْ مـــا غـــدَوْنـــا

لـــســـيـــوف الـــعِـــدا من الأغـــمـــاد

كـــلـــمـــا صـــالَتِ الأعـــادي عـــلـــيـــنـــا

مَـــهَّـــدوا بـــالـــشِّـــقـــاق طُـــرْقَ الأعـــادي

مـــا وجـــدنـــا وقـــد بـــحـــثـــنـــا طـــويلاً

غـــيـــرَهُمْ لـــلـــبَـــلاءِ من قُـــوّاد

افـــتَـــقَـــدْنـــا مـــجـــدَ الجُـــدود فـــأنـــبـــا

نـــا فـــصـــيـــحًـــا لـــســـانُ كلِّ افـــتـــقـــاد

أنَّ ركنَ المجـــدِ الـــذي شـــيَّـــدوهُ

هَـــدَمَـــتْهُ عَـــمـــائِمُ الأوغـــاد

وعـــجـــيبٌ أن نُـــحْـــسِنَ الـــظَنَّ حـــتى

(١) الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.

(٢) جميع: مجتمع.

(٣) ثوب ضاف: سابغ طويل، والضوافي: السوابغ، والأبراد جمع برد وهو نوع من الكساء.

نَـــتَـــظَـــنّـــاهُمُ مِنَ الـــزُّهّـــاد

ادَّعَـــوْا أنـــهم لـــتـــثـــبـــيتِ دينِ الـ

ـــلَّه فـــيـــنـــا كـــانـــوا من الأطْـــواد[1]

فـــهَلِ الـــدينُ رَدُّ كلِّ جَـــمـــيعٍ

مِن بـــني قـــومِـــنـــا إلى آحـــاد[2]

مـــثل مـــا يـــشـــتـــهي الـــعَـــدُوُّ إذا مـــا

شـــاءَ وضْـــعَ الأغلال في الأجـــيـــاد

وهَلِ الـــدينُ بَـــذْرُ كلِّ شِـــقـــاقٍ

مـــثـــمـــر الـــبُـــغْضِ مُـــعْـــقِبِ الأحـــقـــاد

أم تـــراهم من ادِّعـــائِـــهِمُ الخَـ

ـــلاّبِ جَـــرّوا ضَـــوافِيَ الأبْـــراد[3]

لـــيَـــذُرّوا في عَـــيْنِ كلِّ غَـــبِيٍّ

وبـــلـــيـــدٍ مـــنّـــا أضَـــرَّ رَمـــاد

إن آيَ الـــتـــنـــزيلِ لـــو قـــرؤوهـــا

آمِـــلي الـــوعـــدِ خـــائـــفي الإيـــعـــاد

لـــغَـــدَوْا بـــيـــنـــنـــا وبَـــيْنَ الـــتَّـــنـــافي

والـــتَّـــجـــافي سَـــدّاً من الأسْـــداد

وأعـــادوا ذوي الـــشـــمـــاتـــة بـــالـــعُـــرْ

ب جـــمـــيـــعًـــا وهُمْ من الحُـــسَّـــاد

رَبِّ فـــالـــطُفْ بـــنـــا وأيـــقِظْ ذَويـــنـــا

من مـــنـــامٍ عـــلـــيـــهمُ ذي امـــتـــدادِ

****

(١) قالها في المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح.

كلاهما في ازدياد[1]

كلَّما زرتُكم أمَرتُم بشيءٍ
مثلُهُ يقتضي مزيدَ الودادِ

ولكم منِّيَ المودَّةُ كانت
مثلَ شكري كِلاهُما في ازدياد

ثم صاروا إلى تَناهٍ عن الإنـ
ـماءِ مُعْيٍ قصائدي وفؤادي

فإلى كَم من الجميل تُوالو
نَ أمورًا بها ملكتم قيادي

ما تركتم من منزلٍ في فؤادي
لسواكم من حاضرٍ أو بادِ

جئتُ للرِّفدِ وحدَهُ فإذا بي
منك أحظى بِمُرفِدِ وبِهاد

منذ حرَّضتَني على بذلِ جِدِّي
في تلقّي الفصحى وبذلِ اجتهادي

كان شغلي جميعُه في نهاري
بل وليلي تطلُّبًا للضّاد

ولقد ذقتُ طعمَها الحلوَ حتى
ليس إلا منالُها من مرادي

ولك الفضلُ ليس لي أن تَأتّى
لِيَ ما رُمْتُ من لُغى الأجداد

✡✡✡✡✡

صَــغَّــرَ اسمَ الــكــويتِ من كــان سَــمّى
قــــبلَ مـــأتـــاكَ يـــا أبـــا الأمـــجـــاد
وحِـــجـــابُ الـــغـــيـــومِ إذا ذاك يُـــخـــفي
مـــــنك نَــــزْرَ الأشـــــبــــــاهِ والأنـــــداد
وَلَهُ الجـــــهلِ بــــالمـــــغــــيَّبِ عــــنه
حـــين سَـــمّى الـــكـــويتَ عُـــذْرٌ بـــادِ
لـــو درى أنـــهـــا ســتُـشـــرقُ شـــمـــسًـــا
مــثــلَــهـــا الـــيـــومَ في ســمـــاء الـــبلاد
تـــتـــعـــالى هـــذا الـــعُـــلُـــوَّ وتُــزْهي
كلَّ راءٍ بـــــنـــــورهـــــا الــــوَقّـــــاد
لحَـبــاهــا الــتـكـبـيـرَ غـيـرَ مُـحــابٍ
وتـفــادَى الـتـصـغـيـرَ كُلَّ الـتَّـفـادي
فَـلْـتَـعِشْ لـلـعُلا ولـلـمـجـدِ يـا (سـا
لِمُ) ســيـفًــا تــخــشى شَـبــاهُ الـعَـوادي
لم تَـــفُــــزْ قـــبـــلَكَ الـــكـــويتُ بمن لَمْ
يَـــرَ فـــيـــهـــا يـــومًـــا من الأعـــيـــاد
مـــثلَ يـــومٍ يَـــتِمُّ لـــلـــضَّــادِ فـــيه
من ظـــــهـــــورٍ مـــــا تَـمَّ وقْتَ إيـــــاد
حَـــقَّقَ الـــله مـــا تُـــحِبُّ فـــقـــلـــبي
من هـــــواهــــا قــــد هـــام في كلِّ واد
ســـتـــراني مُـــزَوَّدًا من جَـــنـــاهـــا
مـــثل مـــا تـــشـــتـــهي بـــأطـــيبِ زاد
فـــغـــرامي يـــزدادُ مـــنـــهـــا بِـــحُـــسْنٍ
لم تَـــنَـلْ مــــثـــلَه وجـــوهُ الخِـــراد

لـــو أحَسَّ الجَـــمـــادُ مـــنه بـــشيءٍ
لـــرَأيَـــنـــا به جـــنـــونَ الجَـــمـــاد

****

(١) المين: الكذب.

يا خيالي

خـيـال حـقـيـقـتي بَـعـدي سـتـبـقى
تُـــذَكِّـــرُ بي صِــحـــابـيَ والأعـــادي
فـمـا بُـغـضـي وإن فَـنِـيَـتْ عـظـامي
بـــفـــانٍ مـــا رَأَوْكَ ولا وِدادي
وبـــين هـــواهـمُ إيّـــايَ مَـــيْـــنًـــا
ومَـــقْـــتِـــهِمُ عِـــظـــاتٌ لــلـــسَّـــواد(1)
فَـــجَـــدِّدْ فـــيـــهمُ حُـــبّي وبُـــغـــضي
كـــكلِّ مـــذكِّـــرٍ بـــين الـــعـــبـــاد
عـــسى تجـــديـــدُكَ الـــضِّـــدَّيْنِ يـــغـــدو
وفـــيه لمـــعـــشـــري عِـــظَـــتـــا رشـــاد
فـــلم يـــثـــمـــر ســـوى هـــذَيْنِ غـــرسي
مَـــسَـــاعِيَ طـــولِ عـــمـــري في بلادي
أبى تـــقـــديـــرَهـــا وطـــني فـــصـــاحتْ
أغَـــبْنٌ مـــذ غُـــرِسْتُ إلى الحـــصـــاد
أيُـــجـــزى غـــارسي غَـــبْـــنًـــا طـــويلاً
أشَـــدَّ عـــلـــيه من خَـــرْطِ الـــقَـــتـــاد
وكـــانت صـــيـــحـــةً ذهـــبت ضـــيـــاعًـــا
كـــمـــا لـــو أنـــهـــا انـــبـــعـــثتْ بِـــواد
فـــدَعْـــني أشـــتـــكي مـــكـــروهَ غَـــبْنٍ
جـــنـــاهُ عـــليَّ لـــلـــوطن اجـــتـــهـــادي

وعِشْ لا غَــبْنَ يُــوجِعُ مــنك قــلــبًــا
وهـل وجَـعٌ لــــطِــــرْسٍ أو مِــــداد
بـــرزتَ إلى الـــوجـــود بـــغـــيـــر حِسٍّ
فـــيـــا لـــيـــتي شَـــبـــيـــهُكَ من جَـــمـــاد
فـــلـــولا الحِسُّ لم يـــألَمْ لخَـــطْبٍ
مُـــمِضٍّ يـــا خـــيـــالي من فـــؤادي
وهل هـــذا الـــوجـــودُ ســـوى خـــطـــوبٍ
مُـــمِـــضّـــاتٍ جـــديـــدٍ أو مُـــعـــاد
وُجـــودٌ وَدَّتِ الـــعُـــقَلاءُ أن لـــو
بَـــقُـــوا في الـــغـــيبِ عـــنه والـــبِـــعـــاد
تَـــمَـــنَّـــوْا أنـــهم لا شيء ظَـــلّـــوا
مـــدى مـــا لـــلـــوجـــودِ من امـــتـــداد
فـــمـــنه لِلأُلى يـــحـــوي جـــمـــيـــعًـــا
تـــكـــوَّنَ مـــصـــدَرُ الـــنُّـــوَبِ الـــشِّـــداد
ووَجْهُ الـــسِّـــرِّ فـــيه مـــا اجـــتَـــلَـــتْهُ
أنـــاسٌ عـــنـــه تـــســـألُ كُلَّ هـــاد
أطَـــلْتُ تـــطـــلُّـــعي طَـــوْعَ اشـــتـــيـــاقي
إلى ذاك المحَـــيّـــا الـــغَـــيْـــرِ بـــاد
فـــلـــم أرَهُ وعـــنـــه لم يُـــتَـــحْ لي
سُـــلُـــوُّ الـــيـــائـــسِـــينَ من الـــمُـــراد

****

إلى لوّامي في العزلة

إذا وَجَدَ الفتى يومًا سرورًا
بمجتمعِ الورى أو بانفرادِ
فعنهُ لا يميل وإن تَوالى
عليه لَوْمُ أَلْسِنَةٍ حِداد
وكم يومٍ سُرِرْتُ به وحيدًا
وما سَرَّتْ مخالَطَةٌ فؤادي
فعن لَوْمي إلى عُذري وإن لم
تَرَوْا لي في انفراديَ من سَداد
فما يُجدي الملامُ وقد تنافى
تمامًا مع مرادكمُ مُرادي
إذا بي عُزلَتي أفضَتْ لِغَيٍّ
فإن الغَيَّ منهاجُ الرشاد
وهل شَكَرَتْ أو استبْقَتْ صلاحًا
نفوسٌ ما شَكَتْ مَضَضَ الفساد
إذا ما الخيرُ لم يُسْبَقْ بشَرٍّ
به كان الفتى نَزْرَ اعتِداد
وما في النوم من طعمٍ لذيذٍ
لعينٍ لم تَذُقْ طعمَ السُّهاد
وفضلُ الماءِ لا يبدو لمن لم

(١) المحيا: الوجه.

يَــــــرِدْ مــــــنه زُلالاً وهـــــو صـــــادِ
فـــإن نـــفـــسي أضَـــلَّـــتـــني صـــوابي
فـــمـــا لي غـــيـــرَهـــا من بَـــعْـــدُ هـــادِ
فـــمـــا هِيَ في يَـــدَيْ هـــادٍ ســـواهـــا
إلى مـــا شـــاء تـــاركـــةٌ قـــيـــادي
ولـــيـــستْ في الحـــيـــاةِ إلى دلـــيلٍ
ســـوى تجـــريـــبـــهـــا ذاتَ انـــقـــيـــاد
فـــعـــمّـــا ســـاء من أمـــرٍ لمـــا لَم
يَـــسُـــؤْهـــا سَـــيْـــرُهـــا بي في اطِّـــراد
ولـــيس لـــتَـــرْكِ أمـــرٍ أو لـــزومٍ
له مـــثلُ اخـــتـــيـــار الـــنـــفسِ حـــادِ
وهل حَـــسُنَ الـــقـــرارُ عـــلى الـــروابي
لمن لم يـــخـــبُـــروا قُـــبْحَ الـــوِهـــاد
دعـــوا نـــفـــسي وعُـــزْلَـــتَـــهـــا إلى أن
تـــرى فـــيـــهـــا مُـــحَـــيّـــا الـــضُّـــرِّ بـــادِ(١)
وحـــيـــنـــئـــذٍ تـــكـــون كـــمـــا أردتم
مـلازِمَـــةَ المجـــامعِ والـــنّـــوادي

****

العزلة

وجدتُ الإنفرادَ يُريحُ نفسي
فملتُ بجملتي للإنفرادِ
فررتُ من اجتماعاتِ البرايا
وبي منهنَّ موجِعةُ الفؤاد
ولا تَنْقِمْ عليَّ البُعْدَ عنهم
فنفسي استعذَبَتْ ثَمَرَ البِعاد
وخُذْ لكَ غيرَ منهاجي سبيلاً
فلستُ لعاذلٍ طوعَ القِياد

****

(١) الأديب عبدالهادي الجواهري زار الشاعر في بيته، فقدم له الشبيب هذه القصيدة.

الفضل فضل البادي[1]

شُكري أكرِّرُهْ لعبدِ الهادي
فعليَّ منه اليوم فضلٌ بادِ
سَبَقَتْ زيارتُهُ مَحَلّي زَوْرَتي
لِمَحَلِّهِ والفضلُ فضلُ البادي
ما كنتُ أحلُمُ أن أفوزَ بِزَوْرَةٍ
منه لِهُونِ مكانتي ببلادي
لكنْ حَداهُ إليَّ فَرْطُ مروءَةٍ
وكفى بها نحوي له من حادِ
إن الكويتَ أديبُها في شِقوةٍ
ممتدَّةٍ ليست بذاتِ نَفادِ
فكأنه فيها لطولِ شقائهِ
في نارِهِ «فرعونُ» ذو الأوتادِ
فهَلِ الأديبُ كذا بكلِّ مكانةٍ
«مِصْرٍ» عرينِ الأُسْدِ أو «بغدادِ»
إن كان هذا فالمؤدَّبُ حَقُّهُ
تطويقُ لَبَّتِهِ بِحَيَّةِ وادِ
كيلا يعودَ يبثُّ من آدابِهِ
شيئًا بمجلسِ معشرٍ أو نادِ
هيهاتَ ما تلك البلادُ مُضِيعَةٌ
حَقَّ الذي يُعْلي لواءَ الضَّادِ

لــكــنــمــا وطــنـي - ولــستُ بــقــائسٍ
بــلــدًا به - عن مُــشـــبِــهي بِــرُقــاد

مــا كـــان حَـــقّي أن أُطــيلَ بمـــوطـــني
ذي الــرِّيِّ شــكــوى ذي الأُوامِ الــصّــادي

لـــو قـــام للأدبـــاء فـــيــه مُــــقـــدِّرٌ
يـــضـعُ الـــهـــجـــينَ وراءَ كُلِّ جَـــواد

****

(١) تربط الشاعر صقراً بحافظ وهبة صداقة متينة يوم كان في الكويت. وعندما التحق حافظ وهبة بالمملكة العربية السعودية موظفًا ثم سفيراً، ومرت سنوات زار الكويت بضعة أيام، فأرسل الشاعر إليه هذه القصيدة يعتذر فيها عن زيارته للسلام عليه.

قيوده عماه[1]

أحـــافظَ وهـــبـــةٍ قـــد كِــدْتُ آتي
إلـــيك مــســلِّــمًــا لـــولا قــيــودي
مَـــجـــيـــئي لـــلـــسلام إلـــيك حَقٌّ
ولــــستُ أُجــيـــزُ عن حَقٍّ قُـــعـــودي
ولــــكنْ بـي قــــيــــودي مــــائلاتٌ
إلى مــا أشــتــهي عــنه مَــحِــيــدي
فــبي مـــالَتْ قـــيـــودي مُـــرغِـــمـــاتٌ
لإخلالي بــــواجــــبِيَ الأكــــيــــدِ
قـــيـــودٌ لـــو بـــهـــا شُـــدَّتْ أُســـودٌ
لخـــاف من المـــهـــا ضـــاري الأُسُـــود
وقِـــدْمًـــا قـــد رَسَـــفْتُ بـــهـــا طـــويلاً
لمـــــوْدُودِ الـــــزيـــــارةِ أو وَدُودِ
وكــنتُ بــهـا عـلى الـرَّسَـفـانِ أقـوى
فـأضـعَفَ طـولُ حُـمـلـيـهِنَّ عـودي
فــهـا أنـا لا أطـيقُ بـهـا حِـراكًـا

(١) أودى به: ذهب به.
(٢) عضده: أعانه.
(٣) الصبب: الموضع المنحدر.
(٤) صدف عن الشيء: عدل عنه ومال. والصدى: شدة العطش.
(٥) الرواء: حسن المنظر.
(٦) البلاغ: الكفاية، أي ما يكفي.

وإن هي لـم تُــــصَـغْ لِيَ مـن حـــــديـــــد
وحَـسْــبي بـــالــعَـمـى قـيـدًا مُـمِـضّـاً
فـبـــالــصــبـرِ الجـمـيل أذاهُ مُــودي[١]
فــــكـــــيف بـه إذا عَــــضَــــدَتْ أذاهُ
عــلى الإنـســـان عـــاثِــرَةُ الجُــدود[٢]
لــعَــمــري لم أُرِدْ مـــاءً لــغــيـــري
يَــطـيبُ الــطـعمُ مــنه لــدى الــوُرود
فــلم تَــمــزِجْهُ أيــدي ســوءِ حَــظّي
بِـمُـغْـرٍ عـنه نـفـسي بــالــصُّـدود
أحُـومُ عـلـيه حَـوْمَ الـطـيـرِ عَـطْـشى
فــمن صَــبَبٍ أظَلُّ إلى صُــعـــود[٣]
وأَصْــدِفُ بــعــدَ طــولِ الحَــوْمِ عــنه
وفي نــفــسي صــداهـــا ذو وَقــود[٤]
فــهـــا أنـــا لم أزَلْ - والــكُلُّ راوٍ -
عــلى ظَــمَــأٍ مُــضِــرٍّ بي مُــبِــيــد
كــأني في الـــكــويتِ عــلى رُواهـــا
ســكـنتُ مـفـــازةً حُـفَّتْ بــبِــيــد[٥]
شــكــوتُ إلى كــثـيـرٍ من بَـنـيـهـا
بــأشــعـــاري من الــبـؤسِ الــشــديـد
ولـــو أني حــــصــــلتُ عــــلى بَلاغي
لمـا أعـلَـمتُ بـالـشـكـوى قَـصـيـدي[٦]
فـمـا أشـكـو عـلى طـولِ اشـتـكـائي
ولــو بــالــتــافهِ الــنَّـزْرِ الــزَّهـيـد

---

(١) بعل بالشي بعلاً - كفرح فرحًا -: ضجر وتبرم ولم يدر كيف يصنع فيه.

فكنتُ كأنني أشكو احتياجًا
بَعِلْتُ به إلى صُمٍّ رُقود[1]

وما ذنبي سوى أني بنصحي
صريحٌ في النثيرِ وفي النَّضيد

فهل حَظُّ الأديب بكلِّ أرضٍ
كحظي غيرُ مأمولِ السُّعود

وهل نَحَسَتْ سِواي فتًى صريحًا
صراحتُهُ بإرشادٍ مُفيد

أفِدْني تستفِدْ خلعي رداءً
عليك من الثنا أضفى البُرود

✡✡✡✡✡

أحافِظَ كلِّ مكرمةٍ ومَجدٍ
طريفٍ حين يُذكَرُ أو تَليدِ

شكوتُ إليك والمنحوسُ يشكو
بلاياهُ إلى الحُرِّ السَّعيد

فإمّا أن يكون له مُعينًا
على إيراءِ مِقْدَحِهِ الصَّلود[2]

وإما أن يُعَزِّيَهُ وحَسبي
عزاءٌ منك بالقولِ السَّديد

أردتُ بِكِلْمَتي هذي اعتذارًا
ولستُ بها لشَكْوٍ بالمُريد

ولكنَّ الأنينَ يشوبُ قسرًا
به أقوالَهُ واهي الوَريدِ

أحافِظُ قد أضاعتني بلادي

---

(١) السفع: السود، جمع الأسفع.

عــلى حــفــظي لــهــا حُــسْنَ الــعُــهــود

فــمــحــمــودُ الــعُــهــودِ لــديَّ بــاقٍ
لــغــيــر بِــلًى بمــنــظــرهِ الجــديــد

وبــالمــذمــوم أفــضــى من فــؤادي
تَــنــاســيــهِ إلى الــنُّــسْيِ الحَــمــيــد

أُريــهــا من وجــوهِ الــنُّــصحِ بــيــضًــا
بــحــكم هــوًى لــهــا عــنــدي عَــهــيــد

ولم تــبــرَحْ تُلاقــيــني بِــسُــفْعٍ
مــخــيــفــاتٍ من الــبــغــضــاءِ سُــودِ[1]

ولــستُ عــلى إدامــةِ بَــخْسِ حَــقي
وطــولِ الــغَــمْطِ بــالــرَّجُل الجَــلــيــد

فــهل لي في سِــواهــا عن حِــمــاهــا
بــديلٌ من قــريبٍ أو بــعِــيــد

طَــرِيــدَ ضَــيــاعــهــا عــنــهــا ســأمــضي
فــأيُّ الأرضِ أصــلَــحُ لــلــطَّــريــد

فــبــالأقــطــار أَدْرَى أنت مــنّي
وبــالأحــرارِ فــيــهــا والــعَــبــيــد

ســئــمتُ إقــامــتي مــا بــين قــومٍ
عــليَّ بــهــم ذَكَتْ نــارُ الحُــقــود

ومــا بــذرتْ يَــداي بُــذورَ ســوءٍ
فــمن بَــذري أقــولُ أتى حَــصــيــدي

رشــيــدُهُمُ يُــجــامِلُ بــانــتــقــاصي
وقــصــد إســاءتي غــيــرَ الــرَّشــيــدِ

فــمــا عُــذْرُ الــذَّكِيِّ إليَّ مــنــهــم
فــإني عــارفٌ عُــذْرَ الــبَــلــيــد

****

(١) العتيد: الحاضر المعد. عتد الشيء، وعتاده: أي عتادةً، أراد بها المصدر.

لحكمة أتينا الدنيا

لـــيس فـي الأرضِ مـن طـــريقٍ يُـــؤدّي
ســالــكـيهِ أو بــعـضَــهمْ لــلـسـعـادَهْ
فــلــهــا اسمٌ بــين الأنـــامِ شـــهــيــدٌ
ومُــســمّــاهُ مُــســتــحـيلُ الــشّــهـادَه
مـــا رأيـــنـــا إلا شـــقـــاءً عـــتـــيــدًا
لــبــنـي الأرضِ كُــلِّــهِمْ أو عَــتــادَه[1]
وعــلـى الــعــلـمِ بــالــشّــقـاء تــرانــا
نــتــمــنّى من الــبــنــينَ الــزِّيــادَه
أمُــــحِبٌّ أولادَهُ الــــوالــــدُ المــــسـ
ـــكــينُ أمْ كـــان مُـــبـــغِـضًـــا أولادَه
إنْ يـــكُنْ والـــدُ الـــبــنــين مُـــحــبّــاً
فـــلـــمـــاذا قـــد فَكَّ بـــاب الـــولادَه
وهـــو بـــابٌ مُـــذْ مَـــرَّ مـــنهُ إلى الـــدُّنـ
ـــيــا تــمــنّى في وجـــهِهِ إيــصــادَه
أفــيَــرضى المُــحِبُّ أن يـــنــظُـــرَ المحـ
ـبوبَ يـشـكُو من الـشّـقـاء اشـتـدادَه
أو يــكُن حــاقــدًا يُــريــد انــتــقــامًــا
فــســلُـــوهُ مـــاذا نَــمـــا أحـــقـــادَه
إنّـــمـــا يـــحـــقِــدُ الحَـــقــودُ عــلى منْ

(١) الحياوين: هنا جمع الحيوان، وهو ما يقع على كل شيء حي.

قــــدْ رآهُمْ بـــين الـــورى أضْــــدادَه

وبَـــنُـــوهُ في عـــالمِ الـــغـــيبِ لم يــأ

تُـــوا بـــأمـــرٍ يـــسُـــوءُ مـــنه فُـــؤاده

وإذًا لـــيس عن هَـــوًى أو لـــبُـــغضٍ

رامَ ذُو الـــنَّـــسْلِ نـــســـلَهُ وأرادَه

بـل لأمــــرٍ أرادهُ الـــلــهُ تَـــمّتْ

مِن بـــنِـــيه إلى الـــوُجُـــودِ الـــوِفـــادَه

وإذا مـــــــا أراد ربُّك أمـــــــرًا

بـــدأ الأمــــرَ قـــادرًا وأعـــــادَه

أُوجِــدَ الـــوالـــدُ الـــقـــديمُ لـــســرٍّ

ســابغِ الــكــتْمِ يــقــتــضي إيــجــادَه

فـــأتى الـــوالـــدُ الـــقـــديمُ إلى الـــدُّنْ

ـيـا اضـطـرارًا كـمـا أتـتْـهـا الجَـرادَه

ثُمّ أغـــراهُ بـــالـــتـــنـــاسُل إغـــرا

ءً إلـــيه ألْـــقى اضــطـــراراً قـــيـــادَه

فـتـلَـقّى الـوُجـودُ مِـنّـا مَـسـوقًـا

فَـمَـسُـوقًـا كـمـا تَـلَـقّى جَـمـادَه

وتَـــلَـــقّى أعـــلى الحَـــيـــاوينِ والأدْ

نَى وأزهـــارَ نـــبـــتِهِ وقَـــتـــادَه[1]

فــتــرانــا نــحــيــا ونــهــلِكُ مِــثلَ الــزْ

زرعِ لاقى من بـــاذرِيـهِ حَـــصـــاده

بـــذرُوهُ ولم يَـــشَـــأْ ثُم قـــامـــوا

بـحـصــادٍ - ومــا اشــتــهــاهُ - أبـادَه

وأرانـــا مُـــنـــذُ الـــولادةِ حـــتّى الـ

ـــمـــوتِ في لا إرادةٍ أنـــدادَه

لــو مــلــكتُ الــتّــصــرُّفَ الحُــرَّ لم أخْـ
ـضَعْ لـطـبـعي وقـد عـلِـمتُ فَـسـادَه
لا ولا مِـــلـتُ عن طـــريقِ حِـــجـــائي
بـــعـــد عِـــلـــمِي صلاحَهُ ورَشـــادَه
لـــــيس لـي مِنْ إرادةٍ في مـــــقـــــالٍ
قِـــيل عـــنِّـي أســـاءَهُ أو أجَـــادَه
مــــا أراهُ مـــؤهِّـــلـي لـــثـــنـــاءٍ
تــقــتـضـيه لِـمن أجــادَ الــعــادَه
أو أراهُ مُـــبـــرِّرًا لانـــتـــقـــادي
من مُـــمِـــرٍّ لمنْ أســـاء انـــتِـــقـــادَه
وكـقـولي جـمـيعُ فِـعـلي فـمـا تـمْـ
ـلِكُ كــفِّي انـحلالَه وانــعِــقــادَه
إنّـــمـــا كـــانتِ الإرادةُ لـــلـــمُـــو
دِعِ - مـا شـاء - من طِـبـاعٍ عِـبـادَه
فـــإلى طـــبـــعه المُـــركّبِ فـــيهِ
أُعْـزُ إسـرافَ مُـسـرفٍ واقـتـصـادَه
لا يُـطـيقُ المخـلُـوقُ تـبـديل طـبعٍ
بـــســـواهُ وإن أطـــال جِـــهـــادَه
قـسـوةُ الـصّـخـرِ لم تُـعِـدْهـا لِـيـانًا
لـــطـــمـــاتُ الأمـــواجِ مـــنْهُ صِلادَه
لا ولا الـصّـخـرُ قـد ثـنى لـيِّنَ المـا
ءِ قَـــسِـــيّـــاً وقـــد أدام جِلادَه
كـان هـذا لحِـكْـمـةٍ واكـتـنـاهُ الـ
ـكُنهِ منـهـا أعـيـا الحِـجـا واجـتـهـادَه

ذاك مـــا لا أحُـــولُ عـــنهُ اعـــتـــقـــادًا
تـــاركـــاً كُلّ نـــاظـــرٍ واعـــتـــقـــادَه

****

(١) عراه يعروه: غشيه. والغير: الحوادث.

(٢) يعز عليه هي جواب قوله في أول القصيدة «أمن كوّن الكون...» ويريد أن من كون الكون لا يغلبه ولا يعجز عن أن يعيد تكوينه. والرفت مصدر رفته يرفته رفتًا: كسره ودقه أو جعلها جمع رفات وهو الحطام وكل ما دق فكسر.

(١) رمَّ: صار رمة. ودثر: قدم وصار دارسًا.

(٢) الدكناء: الضاربة إلى السواد. والخرق: الفلاة الواسعة.

أدمْ بك إيماني

أمَنْ كــوَّنَ الــكــونَ الــعــظــيمَ بمــا بهِ
من المـدهـشـاتِ الحـائـراتِ بـهـا الـفِـكَرْ
وسَنَّ نــوامــيــسًـا عــلــيــهن قــد جــرى
قــرونًـا ملايــيـنًـا ولم تَـعْـرُهـا غِـيَـرْ[1]
وأودعَ فــيــنــا من لــطــائفِ صُــنــعهِ
ومُـحـكَـمِهِ مـا الـعـقلُ من بـعـضهِ انـبـهَـر
يــعِــزُّ عــلــيه أن يُـعـيـد كـمـا يَـشـا
إذا أوغـلـت في رَفْـتِـهـا هـذه الـصُّـوَر[2]
أيَــبْــدأُ من لا شيءَ تــكــوين خــلــقهِ
ويـــدركُه عن أن يـــعـــودَ به خَـــوَر
إذا مـا اسـتـحـالَ الـعَـوْدُ فـالـبَـدْءُ مِـثلُهُ
وأرسخ مــنه في اســتــحــالــته مَــقَــرّ
من الـبَـدْءِ عَـوْدُ الـشـيء أدنى صـعـوبـةً
بـحكم الـنُّهى فـاسـألْ نُـهـاك عن الخَبَر[3]
ومن عــجَبٍ إقــرارُهم بــابــتــداعهِ
بــدائعَ من لا عــينَ قــبلُ ولا أثَــر
وقــد أنــكــروا أن يــســتــطــيعَ إعــادةً

(١) أثبتنا هذه القصيدة لأنها تزيد (١٥) بيتاً عن نفس القصيدة المعنونة (ذكرى الشهيد علي بن الشيخ سالم الصباح).

(٢) نصف البيت هذا ليس للشاعر صقر وإنما ضمنه شعره انظر ص ٦٦٦ من هذا المجموع.

لمـــا هــــو مُــنــشــيـهِ إذا رَمَّ أو دَثَـــر[1]

ولـــو وَحَّــدوا الأمْــرَيْنِ زال تــعــجُّــبي

ولـكـنـه لـلـفـرق مـالت يَـدُ الـنـظـر

وأعــجبُ مــنــهم من تــرى الـلـهَ عـيـنُهُ

بـــآثــارِهِ من كلِّ مـــا جَلَّ أو صَـــغُـــر

ويـــصـــبحُ في شكٍّ مـــريبٍ فـــؤادُهُ

بـــإثـــبـــاتِ مَن في كل شيءٍ له ظَـــهَـــر

ولــكن إذا مـا الــلـه أعــمى من الـفـتى

بـصـيـرتَهُ لم تُـجْـدِهِ حِـدَّةُ الـبَـصـر

فـــيـــا مَن به آمــنتُ غــيــرَ مُــقَــلِّــدٍ

أدِمْ بِكَ إيمـــاني بــعــيــدًا عن الخــطــر

فــكم شــبــهــةٍ دكــنــاءَ جَنَّ ظلامُــهــا

فـكـدتُ أضِلُّ الخَـرْقَ فـيه إذِ اعـتـكـر[2]

ولـو لم تُـنِـرْ سُـرْجُ الـعـنـايـة لـيـلَـهـا

لأفـنـيتُ فـيه الـعُـمْـرَ أسـري عـلى غَـرَر

****

(١) الإمر: الأمر العظيم الشنيع.

يقولون[1]

ذكرى الشهيد الشيخ علي بن الشيخ سالم الصباح

يـقـولـون لي إنّـا عـهـدنـاكَ يـا صَـقْـرُ
إلى الـصـبـرِ تـدعـو كلَّ من أحـزَنَ الـدَّهْـرُ
وتُـوصـي بـإمـسـاكِ الـدمـوعِ ذوي الـبُـكـا
إذا مـا غـدَت تُـبـلـيـهِمُ الـنُّـوَبُ الـغُـبْـر
فـمـا لكَ قـد أصـبـحتَ أجـزَعَ جـازعٍ
كـأنكَ قـبلَ الـيـوم لم تـدرِ مـا الـصَّـبْـر
ومـا لـبـحـور الـدمعِ مَـدَّت ولم يـكنْ
لـيُـدركـهـا مـا بـين أجـفـانِكَ الجَـزْر
فـقـلتُ لـهم قـد كـان ذاكَ ولي حِـجًـا
فـزايَلَ مُـذ زالَ ابنُ سـالم الحِـجْـر
فـقَـتْلُ (عَـلِيٍّ) لم يَـدَعْ ليَ من نُـهًى
فـأعـرفُ مـا خـيـرُ الأمـورِ ومـا الـشَّـرُّ
فـإن فـاضَ دمعُ الـعـين مـني كـآبـةً
(فـلـيس لـعـين لم يـفضْ مـاؤهـا عـذر)[2]
وإن حـال مـا بـيـني وبـين جَلادَتي
أسًى كـاد أن يـنـشَقَّ من وقـعِهِ الـصَّدر
فـمـا أنـا من يـسـطـيعُ رَدَّ يَـدِ الأسى
إذا مـا لـقـلـبي مَـدَّهـا حـادثٌ إمْـرُ[1]
ومـا بـين أحـداثِ الـزمـانِ مُـضـارعٌ

لــــــذلك في أيـــــامهِ حــــــادثٌ مُــــــرُّ

فلا تــعــذِلــوني إن بــكــيتُ عــلــى فَــتًى

بَــكَــتْهُ كــمــا أبــكي مــكــارمُهُ الــغُــرّ

فــمــا بــرِحَتْ تــرجــو الــنــمُــوَّ مــكــارمٌ

عــلــى حــبِّــهــا مــنه انــطــوى نــاشئٌ حُــرّ

عــــلى أنه مــــا غــــابَ إلا وكــــلُّــــهــــا

بــــأفقِ عُلاهُ دونَــــهــــا الأنجمُ الــــزُّهْــــر

فــفي رحــمــةِ الــرحــمنِ مــنه غــضَــنــفَــرٌ

إلى مــوتهِ كــان الحــفــاظُ هــو الجِــســر

ولا بــرِحَ (الــرقــعيُّ) يــســقــيه هــاطلٌ

من الــغيثِ يحكي أدمعي فــيضُهُ الــغَــمر

فــبــين روابــيهِ الــشــهــيــدُ ابنُ ســالمٍ

بــأيــدي الحــفــاظ الــمُــرِّ خُطَّ له قَــبْــر

بــأيــدي المــنــايــا كلُّ حَيٍّ ســيــنــطــوي

وإن طــال في الــدنــيــا الــغَــدورِ له عُــمْــر

ولــكنَّ حُــسْنَ الــذكــرِ لــيس بمــنــطــوٍ

طــوال الــلــيــالي يــا (عــليٌّ) له نَــشْــر

فــنم غــيــرَ مــحــزونٍ فــذكــرُكَ خــالــدٌ

حــمــيــدٌ وهل مــاتَ امــرؤٌ وله ذِكْــر

ومــا أنت من يــحــيــا حــيــاةً وإنمــا

حَــيــاتَــيْنِ تحــيــا مــا لــشــمــســهــمــا ســِتــر

حَــيــاتَــيْنِ تحــيــا يــا (عــليٌّ) شــهــادةً

وذكــرى وهــاتــانِ الــســعــادةُ والــفَــخْــر

---

(١) الشطر مضمن من بيت لأبي تمام، وتمامه: فليس لعين لم يفض ماؤها عذر.

هكذا صقر

أتـــيـــتُكَ ممـــا أنت جـــانـــيهِ تـــائـــبًـــا
ومـــا زال في أحـــبـــابه هـــكـــذا صَـــقْـــرُ
فـــإن كـــان يَـــرضى من أحِبُّ بـــتـــوبـــتي
من الـــذنبِ يَـــجـــنـــيهِ أتُبْ وله الـــشُّـــكْـــر
ومـــهـــمـــا اســـتـمَـرّوا عـكسَ أمـريَ فـالـهوى
لـدى الـصَّبِّ يـحْـلـو فـيه أن يُـعـكَس الأمـر
ومـــا دمتُ أســـتـــحـــلي الـــذي أنـــا صـــانعٌ
فـــيـــا زيـــدُ قُلْ مـــا شـــئتَ فِيَّ ويـــا عـــمـــرو
إذا المـــرء أرضى نـــفـــسَهُ وحَـــبـــيـــبَهُ
فـــلـــيس لأقـــوالِ الـــورى عـــنـــده قَـــدْر
وأهْـــنَـــأُ عُـــشّـــاقِ الـــبـــريَّـــةِ عـــيـــشـــةً
فـــتًى ســـمـــعُهُ عَـــمّـــا يُـــقـــالُ بهِ وَقْـــر
فـــمن تَـــتَـــداوَلْ ســـمـــعَهُ ألـــسُنُ الـــورى
فـــيـــوشِكُ أن لا يـــســـتـــقِلَّ له فِـــكْـــر
وكلُّ امـــــرئٍ أصـــــغى إلى كُلِّ قـــــائلٍ
غـــدا كل عُـــرْفٍ وهـــو في نـــفـــسه نُـــكْـــر
فلا تـــســـتـــمعْ مـــا زَخـــرَفـــوا من مـــقـــالـــهم
فـكم زَخـرَفـوا لـلـصَّبِّ مـا ضِـمْـنَهُ الـشَّـرُّ
ومَن غُـــرَّ ممن لم يُـــجَـــرِّبْ فـــمـــا أنـــا
لـتـجـربـتي مـا يـصـنـعُ الـنـاسُ مـغـتَـرُّ

من الـنـاس مَنْ أقـصـى أمـانـيهِ أن يَـرى
لـباسَ الـعشـيقَيْنِ الـذي ينـسجُ الـهَجْر
فـمـا كلُّ من أحـلى لك الـقـولَ مـخـلصٌ
ولا كلُّ إنـسـانٍ سـجـيَّـتُهُ الخَـيْـر
فـإيـاك ممـا قـيل أن تـقـطعَ الـذي
به مـنك يـومَ الحـزنِ يـنـشـرحُ الـصَّدر
فـيـا ربمـا يُـصـبـيك بـعـدَ وصـالِه
وقـد حَطَّ مـنك الـقَـدْرَ في عـيـنهِ الـغَـدْر
فـتـدنـو ويـنـأى والخـيـانـةُ غِـبُّـهـا
نـدامـةُ أهـلـيـهـا الـشـديدةُ والخُـسْـر[1]
ومن عَـزَّهُ مـنـا لـقـاءُ حـبـيـبِه
غـدا كلُّ حـلـوٍ وهـو في ذوقِه مُـرُّ[2]
وعـاد الـفـضـاء الـرَّحْبُ وهـو لـضِـيـقِه
عـليه - كمـا تـقـضي قطيـعـتُهُ - قَـبـر
وبـات يـرى الـدنـيـا كـمـا هيَ كـلـمـا
عـلـيه انـطـوت أيـامُـهـا نُـوَبٌ غُـبْـر
فـلـولا الـتلاقي عن هـوًى لم يـكن عـلى
مُـمِـضّـاتِ مـا الـدنـيـا تـريـد بـنـا سِـتْـر
ولـولاهُ لم تُـبْـصِـرْ عـلى أرضـه فـتًى
يَـوَدُّ ويـهـوى أن يـطـولَ به الـعُـمْـر
فـمـا كـانت الـدنـيـا لِـتُـعْـمَـرَ حـقـبـةً
بـسـكّـانِـهـا لـو فـاتـهـا ذلك الـسِّـرُّ

(١) غبها: عاقبتها.
(٢) عزه: غلبه.

ومَن لم يَــذُقْ يــومًــا لــقــاءً عــلـى هــوًى
فــبِي من تَــحَــسِّي بــنتِ كــرمَــتِهِ سُــكْــرُ
ومن لم يـــؤدِّبهُ بـــهـــجـــرِ حـــبـــيـــبهِ
زمـــانٌ فــبــالــهــجــرانِ أدَّبَــني الــدَّهْــر
فــعــنــديَ - مــا لم يُــبْلِ هــجــرُ أحــبّــتي
فـــؤادي - لـــــهم عن كلِّ بـــادرةٍ عُــــذْر
فــإن تَــنْــفَــدِ الأعــذارُ يــومًــا ولـم تَــزَلْ
إليَّ جـــنـــايـــاتُ الأحـــبَّـــة تـــنـــجَـــرُّ
لجــأتُ إلى الــصَّــبْــرِ الــذي قَطُّ لم يَــخُنْ
عــلــيــهم ولــكن عــنــهمُ خــانــني الــصَّــبْــر
حــيــاةُ الــفــتى - مــا لم يُــسَــرَّ - حــمــامُهُ
وصـــحَّـــتُهُ سُـــقْــمٌ وثـــروتُهُ فَـــقـــر
ولـم أرَ في الــدنــيــا ســروراً ســوى الــذي
يُــخَــيِّــلُهُ من وصلِ أحــبــابــنــا سِــحــر
فــصِلْ والْقَ مَن أحــبــبــتَهُ تَــجِــدِ الــدُّنــا
ســـهــولاً وإلا فــالــدُّنــا مَــسْــلَكٌ وَعْــرُ

****

أندر شيء الحُر[1]

يـقـولـون لـي في وجـهكَ الحـزنُ قـد بَـدا
وفـيه لـنـا لاحَ الـتـضَـجُّـرُ يـا «صـقـرُ»
فـقـلـت لـهم «عـيـسى الـقُـطـاميُّ» عـازمٌ
عـلى سـفـر فـالـقـلب مـنّي به جَـمْـر
وهل لي سـوى «عـيـسى» إذا الـضُّرُّ مَسَّني
بـلـقـيـاهُ عـني يـنـجـلي الـهمُّ والـضُّـرُّ
وهل بَـعْـدَ «عـيـسى» الحُـرِّ لي من مـؤانسٍ
وأنـــدَرُ شيءٍ في الأنـــام هُـــوَ الحُـــرُّ
ومن ذا ســواه إن شـــكـــوتُ أعـــانـــني
وإن أهْفُ وافـــاني ولي عـــنـــدَهُ عُـــذر
فـكم من جــمــيلٍ جــاءني مــنه كــاملٍ
يـحفُّ به من طِـيب شـيـمـته الـشُّـكـر
كـأني الـذي أُسْـدي الـصـنـيعَ وهـكـذا
من الـنـاس من تـزكـو خلائـقُهُ الـزُّهْـر
وكم لـــقـــطَتْ أُذنـــايَ لألاءَ لـــفـــظه
فـأهـدَتْهُ نـحـو الـصَّدرِ فـانشـرح الـصَّدْر
ولـــؤلـــؤُ لـــفظِ الحُـــرِّ أوفَـــرُ بـــهـــجـــةٍ
وأثـــمَنُ من دُرٍّ به يـــســـمح الـــبـــحـــر

****

(١) نظمها عندما عزم عيسى القطامي على السفر إلى بغداد لطبع كتابه «دليل المحتار في علم البحار».

متى تنجز الوعد

أَلَـمَّا عصى «صـقرًا» على الظمإ الصَّبْرُ
وأوشَكَ أن يــنــبتَّ مــنه به الــعُــمْــرُ

وعَـدْتَ بـإنـقـاع الـصَّـدى وَعْـدَ مـا طِلٍ
كــأنك تــخــشى أن يــبــوخَ له حُــرُّ[1]

فـقـدَّمتُ من شـكـري إلـيك جـمـيـلَهُ
فـلم يـلقَ تـقـديـرًا لـديك له الـشُّـكـر

أطـلتُ مـقـامي بـين يـأسيَ والـرَّجـا
وسـهلُ مـقـامِ المـرء بـيـنـهـمـا وَعْـر

فـقـد تَمَّ أو قـد كـادَ عـامٌ ومـثلُ مـا
وعـدتَ به يـكـفي لإنجـازهِ شـهـر

فـإن كـان مـا حـاولتَ بـالـوعـد حـيـلـةً
لـيـسعى بلا عـرفٍ بـشكـري لك الـشِّـعر

فـذلك أمـرٌ لـيس يـنـويه مـبـتغٍ
مـزيـد الـعُلا مـا دام في رأسِه حِـجْـر[2]

وذاك لأن الـشـكـرَ يـغـدو وحـلـوُهُ
إذا ذكَـروه حـول حـيـلـتِهِ مُـرُّ

وإن كـنتَ تـنـوي بـعـد مـوتي سـقـايـتي
إذا ضـمَّـني يـومًـا من الـظـمـإ الـقَـبـر

(١) يبوخ: يسكن ويفتر.
(٢) الحجر: العقل.

فـقـصـدُكَ هـذا مُـذْكِـري قـولَ بـعـضـهـم
«إذا مت ظـمـآنًـا فلا نـزلَ الـقَـطـر»[1]
وظَـنِّيَ فـيكَ الـيـوم أن تـمـحُـوَ الـذي
بـإثـبـاته يـعـدوك حَـمـدِيَ والأجْـر
ويَـحْـزُنُـني أني كـتـبتُ ولم تُـجِبْ
كـأن لم يـكن طِـرسٌ لـديك ولا حِـبْـر
ولـو كـان هـذا واقـعًـا كـنتُ عـاذرًا
فـعـنـدي لإخـواني إذا عـجـزوا عُـذر
ومـا كـان عن عُـذْرٍ ولـكن تـهـاونٌ
وحـاشـاك أن تُـلـفى وشـيـمـتُك الـغَـدر
ولـو لم يـكن فـيك الـوفـاء سـجـيـةً
لـمـا مَسَّ مـطـويٌّ الـعـتـاب لك الـنـشـر

****

(١) هو عن بيت لأبي فراس الحمداني ضمنه في شعره وبيت أبي فراس:
معللتـي بالـوصل والموتُ دونه   إذا متُّ ظمآنا فلا نزل القطر
وهو من قصيدته في ديوانه صفحة ١٥٧ والتي مطلعها:
أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر   أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمر

كلمة البِرْكة[1]

لـئن ذادَ عـني صـاحـبي مُـعْـدِمًـا شـكى
له ظـمـأً يـومًـا فلا مَـرَّ بي الـقَـطْـرُ

ولا زال في جـنـبيَّ أو فـي قَـرارتي
لـتـضـييع مـا اسـتُودعتُ من مـائهِ قَطْرُ

ولا ابـتَلَّ ممـا يـسـكبُ المـزنُ (شَـتْـرُهُ)
إذا فـاضَ من مـسـكـوبِه غـيـرُهُ (شَـتْـرُ)

ومـا كـان «صـقـرٌ» من يـذود ذوي الـظَّمـا
عن الـوِردِ فـلـيـمـكُثْ عـلى جُـودِهِ «صَـقـر»

فـعـهـدي به لـلـحـمـدِ والأجْـرِ صـابـيًـا
ومـا خـيـرُ من لم يُـصْـبِهِ الـحـمـدُ والأجـر

ومـا الـحُـرُّ من يَـروَى ويـعـطشُ جـارُهُ
ولـكنَّ من بـالـعـكسِ يـأتي هـو الحُـرُّ

ويـا واردي رفـقًـا بمـشـيك واتَّـئِـدْ
وإلا فـظَـهـرانـا دَنـا مـنـهـمـا الـكَـسْـر

وإن كـان سـهلاً جَـبْـرُ ظـهـري فـلم يـكن
لـيسهُلَ بـعـد الـكَسْـرِ من ظـهرِكَ الجَـبْر

وإيـاك والـوَطْءِ الـعـنـيفِ فـربمـا
غـدا لـكِلَـيْـنـا فـيه أو بـعـضِـنـا ضُـرّ

---

(١) حفر الشاعر في بيته بركة لخزن الماء يوم أن كانت أزمة الماء شديدة في الكويت، فقال هذه القصيدة بهذه المناسبة. غير أنه لم يستعمل هذه البركة إلا شهرًا ثم ردمها.

وإن رُمْتَ في جــوفـي الــنــزولَ فــمــا أرى
بـذلك بـأسًـا عـنـدمـا حـاجَـةٌ تـعـرُو
ولــكن له شــرطــان لا بــدَّ مـنــهــمــا
هـمـا في تَـدلّـيكَ الـتـرَفُّقُ والـطُّـهـر
وكن آخـذًا بـالـنـصحِ مـنّي فـربّـمـا
إلى مـأخـذي بـالـنـصحِ مـنك سَـتُـضْـطَـرُّ
لــعــلَّكَ في آتــيكَ تحــتــاجُ رأفــتي
كـمـا بي إلـيـهـا مـنك في حـاضـري فَـقْـر
فـمـا لـكِـلَـيْـنـا صـورةٌ مـسـتـمـرَّةٌ
عـلى كـيـمـيـاءِ الـدَّهـرِ مـا بـقيَ الـدَّهـر
ويــا ربمــا حَــلَّت حــيــاتُك تــربــتي
وحَلَّ جـمــودي فــيك وانــعــكَسَ الأمــر
فــأصــبــحتَ في مــاضي زمــانِكَ بـركـةً
وأصـبـحت إنـسـانًـا كـمـا شـاءَهُ الـدَّوْرُ
فــنــحن وأنــتم في الــزمــانِ ودَوْرِه
ســواءٌ لــكلٍّ يــعــتــلي مــرَّةً قَــدْر
دَوالَــيْكَ نــعــلــو بــالحــيــاة وأنــتمُ
عـلـيـنـا بـهـا تـعـلـون طـورًا ولا فـخـرُ
فــأحــوالُــنــا رَهْنُ الــتـحَـوُّلِ مــا غـدا
عــلــيــهــا لــيـوم أو لــلــيــلــتِهِ مَــرُّ
وكم قــد تــبــادلــنــا بمــا مَــرَّ صــورةً
وشــكلاً ولـكن مــات في نـفـسك الـذِّكْـر
وإن قــلــتَ إن الــدَّوْرَ شَكَّ به الحِــجــا
وكــشفُ ظلامِ الــشَكِّ أمــرٌ به عُــسْــر
أقُلْ لكَ قــولاً لــيس لــلــشَكِّ مــنــهجٌ
إلى صـدقه في مـا يـرى الحِسُّ والحِـجْـر

أَلَمْ أتَـــكَـــوَّنْ من جُـــسُـــومِ جُـــدودِكُمْ
وإعـــزازُهم عـــرفٌ وإذلالُـــهم نُـــكْـــر
وإن لم يـــكن كُـــلِّي فـــجُـــلِّيَ مـــنـــهمُ
وإن ظَنَّ غِـــرٌّ غـــيـــرَ ذلك أو غُـــمْـــر[1]
أعـــادَهُمُ إكـــســـيـــرُ طـــولِ زمـــانِـــهم
وهُمْ - ضـمن عَـفْـرٍ أنت واطِـئُهُ - عُـفْـرُ[2]
وأيُّ روابي الأرض أم أيُّ وَهْـــــدِهـــــا
لأسلافـــكم مـــا خُطَّ أثـــنـــاءَهُ قَـــبْـــر
فـــإن لم تُـــراعـــوني فـــراعـــوا أبُـــوَّةً
بـــهم غُصَّ نَـجْـدُ الأرضِ وامـتلأ الـغَـوْر
وهـــا أنت بل كلُّ امـــرئٍ خـــلف جَـــدِّهِ
يَـــجِـــدُّ به من مَـــرِّ أيـــامه سَـــيْـــر
عـــلى أنـــني مـــنـــكمْ ومـــنِّيَ أنـــتُمُ
لأنيَ بـــعضُ الأرضِ وهي لـــكم جِـــذْر
إذا ســـأل الـفِـكْـرَ الـفـتى عن تُـرابِه
أجـابَ جـوابًـا طِـبْقَ مـا قـلـتُهُ الـفـكـر
وهل سـار ذو عـقلٍ صـحـيحٍ عـلى الـثـرى
وفي سـيـره الـزَّهْـوُ الـذمـيمُ أو الـكِـبْـر
فمـا اختالَ من يمشي على الأرضِ غيرُ مَن
أدام له الـــسُّـــكْـــرَ الـــغُـــرورُ أو الخَـــمْـــر
ولَـوْمي عـلى الـصّـاحـين إلا إذا انـبَـرَوْا
لـــتـــأديب من أنـــســـاهُمُ الأدبَ الـــسُّـــكْـــر
فـمِـثْلُ غُـواةِ الـقـوم يُـلـفى رشـيـدُهُم
إذا ضَلَّ عن تـــأديـــبـــهِمْ وله صَـــبْـــر

(١) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

(٢) العفر: التراب.

ومن يــســتــطـعْ وَعْظَ الــغُــواةِ ولـم يَــعِظْ
فــعن أَزْرِهِ من صُــنــعِــهـم لـم يَــمِلْ وِزْرُ
من الـشَّـرِّ تـركُ الـنُّـصحِ من ذي كَـيـاسـةٍ
مــطــيقٍ لــذي غَيٍّ إذا ذُكِــرَ الــشَّــرُّ
وخَـيْـرُ الـورى إن يَـغْـرَقِ الـفُـلْكُ مَنْ هَـدى
إلى الـعِـبْـرِ غَـرقـاهُ إذا خَـفِيَ الـعِـبْـر[1]
ولــيس الــذي يــنــحُــوهُ عن خِــبــرةٍ به
ويُــعــرِضُ عن قــومٍ بـه مــا لــهم خُــبْـر
وهل تَــرْفَـعُ الأفــعــالُ مَنْ أرشَــدَ الــورى
ولــيس لــهم من نَــصْبِ إرشــادِهِ جَــرُّ

****

(١) العبر: الشاطئ.

إلى السيد طالب باشا النقيب[١]

مـا في الـعـراقِ لـشـمسٍ فـضـلِكَ مُـنْـكِـرُ
أنَّى وقـد سَـمَـقَتْ تُـنـيـرُ فـتَـبْـهَـرُ

شـمسٌ من الـفـضلِ المـبـينِ قـد اهـتـدى
بـضـيـائـهـا مـذ أشـرقتْ من يُـبْـصِـر

شـمسٌ لـهـا من ذي المـعـالي «طـالبٍ»
شَـرَفٌ فـلـيـست عن سِـواهُ تَـصْـدُر

شـمس إذا أخـفى شَـبِـيـهَـتَـهـا الـدُّجى
أو راحَ يُـخـفي من سـنـاهـا الـعِـثْـيَـرُ[٢]

فـهي الـتي مـذ أشـرقَتْ قـد أقـسـمَتْ
أن لا تُـرى يـومًـا بـشيءٍ تُـسْـتَـر

لـكن بـهـا عَـشِـيَتْ عُـيـونُ عـصـابـةٍ
حَـسَـدَتْكَ شـمسَ الـفـضلِ وهْي تُـنَـوِّرُ

فـغـدَتْ من الحـسـدِ المـذيبِ قـلـوبُـهم
تـشـكـو لـظًى فـيـهـا يُـشَبُّ ويُـسْـعَـر

والأهلُ لـلـشُّـكـرانِ من يـشـقى بهِ
قـومٌ وأقـوامٌ تُـسَـرُّ وتُـحْـبَـر

ومـحـبـتي الـفـضلَ المـبـينَ وأهـلَهُ
طـبعٌ لـعـمـري فِيَّ لا يـتـغَـيَّـر

---

(١) عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الأخير. وقد أعدها صقر لتلقى في احتفال النادي الأدبي لكن السيد طالب غادر الكويت قبل الحفلة.

(٢) العثير: الغبار.

فـلـذا تـراني جـئتُ أهـدي مِـدْحَـةً
فـيـهـا لك الإخلاصُ مـني يَـظـهَـر
ومـحـبـتي إيّـاكَ مـجـهـودُ الـذي
هـو كلُّ مـا يـحـويه مـثـلي مُـعْـسِـر
أمـا الـكـويتُ فـإنـهـا قـد أصـبـحَتْ
بِـحُـلـولِكَ الـسـامي بـهـا تـتـبـخْـتَـر
ولَـمـا عـجـيبٌ أن تَـبَـخْـتَـرَ بـلـدةٌ
فـخـرًا ومـثـلُكَ راحَ فـيـهـا يَـخْـطِـر[1]
إنـا عـرفـنـا فـيك كلَّ مَـزِيَّـةٍ
يُـثـني عـلـيـهـا ذو الحِـجـاء ويَـشْـكُـر
فـلـذا بمـقـدمكَ الـكـويتُ قـد اغـتَـدَى
حَظٌّ عـظـيمٌ لـلـكـويتِ ومَـفْـخَـرُ

✡✡✡✡✡

لمـا رجـعتَ إلى الـعـراقِ مـسـلِّـمًـا
ممـا عـلـيك من الـسـيـاسـةِ يُـحْـذَرُ
أعـلـنْتُ صـوتي بـين قـومي قـائلاً
الـيـومَ عـادَ إلى شَـراهُ الـقَـسْـوَر[2]
وهل الـعـراقُ الـرَّحْبُ إلا غـابـةٌ
من «طـالبٍ» فـيـهـا الـشـجـاعُ غَـضَـنْـفَـر
يـا «طـالبَ» الـعـلـيـاء نـلـتَ من الـعُلا
مـا لم يَـنَـلْ شَـرواهُ نجمٌ أزهـر
فـغـدوتَ في أفْقِ الـفـضـائل كـوكـبًا
عـالٍ[3] كـمـا تـهـوى الـفـضـائلُ يُـسْـفِـر

---

(١) في تاريخ الكويت: «... بلدة أنسًا إذا ما رحت فيها تخطر».
(٢) القسور: الأسد، والشرى من مواضع الأسد

فــخِــصــالُكَ الــغُــرُّ الــزَّواهِــرُ إن غــدا
إحــصــاؤهُنَّ عــلى امــرئٍ يــتــعَــسَّــرُ
فــلــكم تــعــالَتْ أن يــحــيط بِــعَــدِّهــا
يــا ابنَ الأمــاجــد قَــبْلُ من هُــوَ أشَــعَــرُ

****

فهد الكريم فرع خير[1]

يــــا نجلَ ســــالمٍ الــــذي أخلاقُهُ
أثـنـى عـلـيـهـا الـنـثـرُ والأشـعـارُ
من أفـضلِ الأقـواتِ عـنـدي حـنـطـةٌ
مـنـهـا غـدت أهلُ الـكـويتِ تُـمـار
لـكنْ إجـادةُ طـبـخِـهـا أو خَـبـزِهـا
حــرْنـا بــهـا وأظنُّ أن سَـنَـحـار
قـالـوا إذا كـرَّرْتُمُ صُـنْـعًـا لـهـا
أتـقـنـتـمـوهُ فـكَـذَّبَ الـتَّـكـرار
كم مَـرَّةٍ جـاءت تجـاربُـنـا بـهـا
عـكسَ الـذي نـهـواهُ أو نـخـتـار
كل الـتـجـاربِ قـد ذهـبنَ بـهـا سُـدًى
فـجـمـيـعُـهُنَّ مـتـاعبٌ وخَـسـار
والجـوعُ لم يـتـرك لـنـا وقـتًـا بهِ
تـصـفـو - لـكي نـتـعـلَّمَ - الأفـكـار
فـأغِثْ من الجُـوعِ الـذي آلامُهُ
مـنـهـا عـلى نـفـسي الـتَـقَتْ أظـفـار
بـأطـايبِ الأرْزِ الـذي قـد شـاقـني
مـنه وصـالٌ مـنـعشٌ ومَـزار
إني لأذكـرُ طِـيـبَهُ ومَـسـاغَهُ
فـيُـمـيتُ عـنه الـسـلـوةَ الـتَّـذكـار

(١) قالها في الشيخ فهد السالم الصباح.

هــيــهــات أن أســلــو لَــذاذَتَهُ الــتي
تُـطْـوَى فـيـنـشُـرُ فـضـلَـهـا الـسُّـمّـار
إنـي لآمُـلُ مـــنـك مـــأمـــولاً إذا
صَـــعُبَ المـــرامُ وعَـــزَّتِ الأوطـــار
فــأبــوك يــا فــهــد الــكــريم تحــقّــقتْ
فـــيه لـيَ الآمـــال وهـيَ كِـــبـــار
لم لا أُؤَمِّلُ فـــرعَ خـــيـــرٍ طـــاب لي
من أصـــلِـهِ وأعـــذَوْذَبَ الإثـــمـــار
أخـــصـــبتُ في أيــامِهِ حـــتى لـــقــد
أُوهِـــمْتُ أن جـــمـــيـــعـــهـــا «آذارُ»

****

جنة لا دار[1]

أنَا من لا يزالُ يعلَمُ أنَّ الـ
ـقُرْبَ منكم سعادةٌ وافتخار
فلهذا سوى الدُّنُوِّ إليكم
من مزايا الحياةِ لا أختار
غيرَ أني أصبحتُ من شِدَّةِ الحَـ
ـرِّ بسجنٍ منه يَعِزُّ الفِرار
لا تقولوا إن الصُّقورَ إذا ما
سُجِنَتْ في سُجونِها لا تَحار
كنتُ كاسمي صقرًا ولكنني اليو
م لِلَوْنٍ قد عَمَّ جسمي هَزار
فدعوني من استِزارةِ جسمي
فضعيفُ الجُسومِ لا يُستَزار
وفؤادي لديكمُ منذ زمانٍ
جَمَعَتْ فيه شملَنا الأقدار
وعلى «الوَطْيَةِ» التحيَّةُ ممَّنْ
سامَرَتْهُ منكم بها الأحرار[2]
فأعاد السُّمَّارُ فيها حَصاها
وهو أبهى مما يَضُمُّ المَحَارُ

---

(١) بعث بهذه القصيدة إلى صديقه المرحوم عبدالملك بن الشيخ صالح المبيض وكان المرحوم عبدالملك يرسل ابنه صالح بن عبدالملك وزير التربية الأسبق إلى الشاعر ليصطحبه إلى بيته في كل يوم خميس ويبقى عنده حتى العشاء وفي هذه القصيدة يعتذر عن عدم الحضور لشدة الحر.

(٢) الوطية: مكان.

وثَــنَى رمــلَــهــا كــأجـمـلِ مــا «نَــيْـ
ـــســانُ» يُــبـدي لــنــاظــرٍ أو «أذارُ»
فــكــأنَّ المــصــيفَ فــيــهــا ربــيعٌ
نَـــشَـــرَتْ بُـــسْطَ زَهْـــرِهِ الأمـــطـــار
وكـــذا كل بـــقـــعـــة كـــان فـــيـــهـــا
من أبـي صـــالحِ الـــعُـلا لي جـــار
كلُّ دارٍ تـــــضـــــمُّـــــني وعُـلاهُ
فــــهيَ والـــلـهِ جَــــنَّـــــةٌ لا دارُ
ذي سَــــجــايـــا تَـــوَدُّ كلُّ الـــروابي
أنـــهـــا فـــوقَ هـــامِـــهـــا أزهـــار
لـــــو رآهـــــا بَــــشّــــارُ في آدَمِيٍّ
تـــابَ ممّــــا أتى بـهِ بَــــشّــــار
أو رآهُنَّ قـــائلٌ بـــاضـــطـــرارٍ
عــادَ قــصــدًا مَــقَــالُهُ الاضــطــرار
جــمع الـــلـه فـــيه شَــتّى المــزايـــا
فـلـهـا فـيه مـلـتـقًى وانـحـصـار
وعـــلى أنـــني إلـــيـــهنَّ صـــابٍ
قـــد تـــمـــادى بـــهنَّ عـــني نِـــفـــار
لـــو بِـجِـدٍّ يـنـالُـهـا واجـتـهـادٍ
مـن تـــلَـــظّى بـه إلـــيـــهـــا أُوَارُ[1]
نـلـتُ مـنـهـا أو نـلـتُـهـا غـيـرَ أنَّ الـ
ـنـاسَ تُـرْبٌ كـأرضـهـم أو نُـضـار[2]

(١) الأوار: لفح النار ووهجها.
(٢) النضار: الذهب والفضة والخالص من كل شيء.

أو كـمـثلِ الـنـبـاتِ يَـنْـبُتُ مـضْـطَ
ـــــرّاً وفـــيه كُــــرّاثَـــــةٌ وعَـــــرار
حـكـمـةٌ كُـنْـهُـها خَـفِيٌّ ولــمّـا
تَـخْفَ مـنـهـا عـلى الـنُّـهى الآثـار
فـهي كـالـروحِ في الـفِـعـالِ تجـلَّتْ
واسـتـقـلَّتْ بـكـنـهـهـا الأسـتـارُ

****

قومي العرب

فــإن تَــضِقِ الــكــويتُ الــيــومَ عــنّي
ومــا ضــاقت بــأمــثــالي الــدِّيــارُ

فــكم بــلــدٍ لــقــومي الــعُــرْبِ فــيهِ
ســيــحــلُــو لي من الــسَّــعَــةِ الــقَــرار

ولــــيس يمــــوتُ من ظــــمَــــأٍ وجــــوعٍ
بمــــربَطِ ظــــالم إلا الحــــمــــار

****

أصيح

أصـــــــيحُ بمن لـه عَـــــيْنٌ وعَـــــيْنٌ
ولـــيس بـهِ عـــلى عـــيـــنــيهِ خــيـــرُ[1]
فــمـــا يـــهــدي ضـــريـــرًا في طـــريقٍ
به ألـــقَتْ كلاكِـــلَـــهـــا الـــوُعـــور
ولا يُـــرْوي الـــعـــطـــاشَ - وإن ألحّــوا
عـــلـــيه بـــالـــســـؤالِ - له نَـــمـــيـــر
ولـــيس يَـــشَمُّ عـــافٍ من قُـــتـــارٍ
لمـــطـــبـــخِهِ ومـــطـــبـــخُهُ عَـــمِـــيـــرُ
فـــفـــيهِ من صـــنـــوفِ الـــزادِ مـــالا
تـــــزال لـه بـه تَـــــغْـــــلـي قُـــــدور
وإن يَـــجْـــمَـــعْهُ والـــبُـــؤَســـاءَ نـــادٍ
تـــغـــشَّـــاهُ لمـــنـــظـــرهم نُـــفُـــور
وشـــالَ بـــأنـــفِهِ كِـــبْـــرًا عـــلـــيـــهمْ
بمـــا آتـــته دنـــيـــاهُ الـــغَـــرور
رويـــدًا أيُّـــهـــا الـــطـــاغي رويـــدًا
فـــإن الـــدهـــر خَـــدّاعٌ غَـــدور
فـــقَـــبْـــلَكَ أطـــلَعَ الإثـــراءُ مـــنهُ
لـــقـــومٍ أنجُـــمًـــا زُهْـــرًا تُـــنـــيـــر

---
(١) العين الثانية: الذهب.

فَظَنّوا أنها تبقى فعادتْ
– وأنفُ الظَّنِّ مرغومُ – تَغُورُ
فحسبُكَ إن عقَلْتَ بهم نذيرًا
فقد يجدي ذوي العقلِ النذير
يَوَدُّ المؤمنون إذا حَوَتْهُمْ
مضاجعُ أنها لهمُ قُبور
لزَأْرِ هِزَبْرِ مُرِّ الجُوع فيهم
وليثُ الجُوعِ فَتّاكٌ هَصور
ولولا شُحُّ أهلِ المالِ منّا
لما استصباهُمُ الموتُ المَرير
تبارك من أفادَهُمُ بُحورًا
من الأموال زاخرةً تَمور
وأسكَنَ في جوانحهم علينا
قلوبًا دون قسوَتها الصُّخور
فما يُشجيهِمُ للبؤسِ فينا
مزاميرٌ لها أبدًا نَعير
فصَبرًا أيُّها البؤساءُ صَبرًا
فعقبى الصبر يَحْمَدُها الصَّبور
ففي الصَّبرِ الجميلِ لكم رِحابٌ
إذا ضاقت بكم للبؤسِ دُور
وإن آذاكمُ جوعٌ فمنهُ
بِعُثْنُوني يلوحُ لكم قَتِير
وإن تُصبِحْ ثيابُكُمُ رِثاثًا
ففي مَشْتايَ في ثوبي فُزُورُ
لنرقُبْ ما طواه الغيبُ عَنا
فعنه سوف ترتفعُ السُّتور

لـعلَّ لـنـا بـجـوفِ الـغـيبِ خـيـرًا
وعَلَّ الـدهـرَ بـالحـسـنى يَـحُـور
لِـنَـمْـكُثْ تحت ظِلِّ الـصَّـبـرِ حـتى
يـحـين لـنـا من الآتي سُـفـور
عـسـانـا أن نـقـولَ إذا رأيـنـا
مـصـيـرَ الـصـبـرِ يـا نِـعْمَ المـصـيـر
وثـوبُ الـصـبـرِ فـيه للابـسـيهِ
جـمـالٌ لا يـجيءُ به الحـريـر
وفي أخـراه كلُّ أخي اصـطـبـارٍ
لـدى مـولاهُ بـالحـسـنى جـديـر
فـحـسبُ الـصـابـرينَ بِـذا ثـوابًـا
فـفي هـذا لـهم خـيـرٌ كـثـيـر
بـحُـسنِ الـصـبـرِ أوصـيـكم لأنّي
بـبـاعي عن إعـانـتـكم قُـصـور
ولـو أني مـلـكتُ ولـو قُـروشًـا
لـقـمتُ لـبَـثِّـهـا فـيـكم أدُورُ

****

انقذوا الحيوان من أذى الصبيان(١)

كلُّ طفلٍ بكفِّهِ عصفورُ
من أذاها يكاد فيها يَبُورُ

مُتَأَذٍّ من قبضة الطفلِ والطفـ
ـلُ له من أذى الطيورِ سُرور

حَسْبَ ما العادُ يقتضيه وكم أبـ
ـصَرْتَ شَرّاً من عادةٍ يستطير

عُوِّدَ اللهوَ بالطيور فأبدى
صَفْوَهُ ما لها به تكدير

وهي في الحِسِّ مثلُهُ فلديها
مُوجِعُ الطفلِ مُوجِعٌ مَحذور

وهو عنها بما لاشعور عَداهُ
من تماثيل لهوِهِ ميسور

لكنِ الوالدُ الشفيقُ عليه
فاتَهُ من أمورهِ التفكير

فأراد السرورَ للطفلِ من حَيْـ
ـثُ إلى الطفلِ يهتدي التَّغرير

إنَّ غِبَّ الأمرِ الذي رامَ للطفـ
ـلِ سروراً به أبوهُ مَرير

(١) تفد أنواع العصافير في موسم الربيع قادمة من الجنوب، وكان من عادة الصبيان نصب الفخاخ لهذه الطيور وصيدها واللعب بها. فقال هذه القصيدة.

إذ يـــرى طِــفــلَهُ يَــشِبُّ عــلى مــا
لـــيس يـــرضى به الإلهُ الـــقـــديـــر
أتـــرى بـــارئَ الـــطـــيـــور بَـــراهـــا
لـتـرى من أذى الـورى مـا يَـضِـيـر
رُبَّ إثـمٍ عــلى الـــورى سَـــهَّــلَـــتْهُ
عـــادةٌ والـــسُّـــهـــولُ مـــنه وُعـــور
إنَّ لــهْــوَ الـولـيـدِ بـالـطـيـرِ زورٌ
- لـو درى والـدُ الـولـيـدِ - خـطـيـر
وعـــلـــيه الـــعِــقـــابُ لا بُـــدَّ أن يَـــأْ
تِي وشَـروى تـعـجـيـلِهِ الـتـأخـيـر
فـهـو إن لم يَـلْقَ الجـزاء مـدى الـعـمـ
ـرِ فـعُـمْـرُ الإنـسـان جـدًا قـصـيـر
وسـيـلـقـاه بـعَـدَمـا يـنـقـضي الـعُـمْـ
ـرُ كـمـا لا يـشـاءُ وهـو عَـسـيـر
يـغـفـر الـله لـلـولـيـد فـهل ذنـ
ـبُ أبـيه كـذنـبـهِ مـغـفـور
فَـلْـيَـسَلْ عن مـقـاليَ الـعـقلَ إنَّ الـ
ـعـقلَ دارٍ بمـا أقـولُ خَـبـيـر
لم يَـهَـبْهُ إلـهُهُ الـعـقل إلا
لـهُـداهُ فـهـو الـنـذيـرُ الـبـشـيـر
لـيس يـدري ضـلالَـهُ من هُـداهُ
من لِـهـادي الحِـجـاءِ لا يـسـتـشـيـر
فـاتَّـخِـذْ مـنه في الأمـور مـشـيـرًا
وَفْقَ آثـارِ نُـصـحِـهِ إذ تَـسـيـر
هل تـرى الـعـادةَ الـلـئـيـمـةَ غَـرَّتْ
من بمـصـبـاح عـقـلِه يـسـتـنـيـر

حُـــسْنُ عـــاداتِ أوَّلـــيـــنـــا أوِ الـــقُـــبْـ
ـحُ به عـــنـــهـــمـــا تَـــشِفُّ الـــسُّـــتـــور
فـــيَـــبـــينُ الـــعـــادُ الـــذي هـــو للأَخْـ
ـــذِ أوِ الـــتَّـــرْكِ مـــســـتـــحِقٌّ جـــديـــر
فـــلآبـــائـــنـــا عـــوائـــدُ شَـــتّى
رســـخَتْ بـــيـــنـــنـــا لـــهُنَّ جُـــذور
بـعـضـهـا يـنـطـوي عـلى الـقُـبْحِ والـشَّـ
ـــرِّ وفي بـعـضـهـا جـمـالٌ وخـيـرُ
وهَـــوانـــا اقـــتـــفـــاءَ عـــاداتـــهم إن
لم تُـــنـــِـرْهُ سُـــرْجُ الـــنُّـــهى دَيْـــجـــور
وعَـسِـيـرُ الـتَّـمـحـيصِ والـكـشفِ عـنـهـ
ـنَّ إذا سُـــرْجُـــهـــا أضَـــأْنَ يَـــســـيـــر

✲✲✲✲✲

أيـــهـــا الـطـفلُ أنت عـنـدي عـلى مـا
سُـــمْـــتَهُ الـــطَّـــيْـــرَ من أذًى مـــعـــذور
مـــا لأمـــرٍ تُـــمِـــرُّ عُـــقـــبـــاهُ أو تَـــحْـ
ـــلـــو لـــدى ذي طـفـولـةٍ تـقـديـر
فـحِـجـاءُ الـصـغـيـر عن فـهـمه الـعُـقـ
ـــبى لأمـــرٍ به يـــجيءُ صـــغـــيـــر
لـستَ أنتَ الـذي جـنـيتَ عـلى الـطَّـيْـ
ـــرِ ولـــكن جَـــنى أبـــوك الـــكـــبـــيـــر
أنت لـــــولا ولـيُّ أمـــــرِكَ لـم تَـــــقْـ
ـــرُبْ إلى الـــطَّـــيـــرِ من يـــديك شـــرور
مـــا غـــدا في يمـيـنك الـطـائـرُ الـمِـسْـ
ـــكـــينُ لـــولا أبـــوكَ وهـــو أســـيـــر

هو ألقاهُ في يديكَ كأنْ لم
يَدْرِ ما منهما تُقاسي الطيور
كم رأى طائرًا بكفكَ يومًا
وهو ميتٌ من ضغطها معصور
أو رأى رجلَهُ رهينةَ خيطٍ
وهو حَيٌّ بخيطِهِ مجرور
أو رآه يشكو كِتاف جناحيـ
ـه ومنه القُلَيْبُ دامٍ كَسير
أو رأى ريشَهُ النَّظيمَ حَواليـ
ـك من النَّتْفِ وهو مُلقًى نثير
أو رآهُ سجينَ سجنٍ يُسمّى
قفصًا، منه شاقَهُ التحرير
فهو منه حُبُّ التحرُّرِ في النا
سِ لعينيه ماأتَوْهُ يُدير
يتوَخّى حُرّاً رحيمًا يُفادي
سجنَهُ من يمينِهِ تكسير
وأبو الطفل حَوْلَ ما الطفلُ يأتيـ
ـهِ إلى طيرِهِ بصيرٌ ضَرير
يتشَكّى بملءِ فيه إليه
حسبَ ما شاء كَربُهُ الموفور
وتُنَزّي الآلامُ منه جُسَيْمًا
يجهلُ الصَّبْرَ قلبُهُ المفطور[1]
وكأن الشَّكاةَ عند أبي الطفـ
ـلِ أغانٍ أتى بهنَّ الحُبور

(١) تنزي: تجعله يثب. والمفطور: المشقوق.

والــتَّــنَــزِّي من هَــوْلِ مــا هــو يــلــقى
رَقْصُ أُنْسٍ عن جَـــدِّهِ مـــأثــــور

مــشــهــدٌ لــو بهِ تُــحِسُّ صــخــورٌ
لــغــدَتْ رِقَّــةً تــذوبُ الــصُّــخــور

كلُّ مــــا رمتُ أن أعــــبِّــــرَ عـــنه
ضــاق ذرعًــا بــعــبــرتي الــتــعــبــيــر

وهــو لم يَــنْــهَهُ الــضــمــيــرُ ولا الــعــقـ
ـلُ فــهل مــات عــقــلُهُ والــضــمــيــر

أم رأى ذنــبَهُ الــعــظــيمَ حــقــيــرًا
مــثل مــا يُــوهِمُ الأثــيمَ الــغُــرور

لا أراه يَـــــرِقُّ إلا إذا مـــــا
صــدمَــتْهُ بــعــكــســهنَّ الأمــور

فــرأى طــيــرَهُ صَــبِــيّــاً وأضــحى
وهـــو في كفِّ طـــيـــرِهِ زُرزُور

فــبــعــكسِ الأمــورِ من ســكــرةِ الــغِـ
ـــرَّةِ يــشــقى فــؤادُهُ المخــمــور

وســيــشــقى بمــثلِ ذاكَ وأدهى
إن عَــداهُ من فــعــله الــتــغــيــيــر

فــلْــيَــتُبْ من ذنــوبه ولــيُــكَــفِّــرْ
فــالملاذُ المــتــابُ والــتــكــفــيــر

يــا قــويّــاً فمُ الــضــعــيفِ بــشــكــوا
هُ مــعــانــاةَ شَــرِّهِ مــفــغــور

إن من صــاغَهُ وصــاغَكَ مَــســمــو
عٌ لــديه مــا يــشــتــكي مــنــظــور

وبـــكـــونِ الجـــزاءِ مـــا شَكَّ مَن مِــنْـ
ـهُ اسـتـقـامَ الـتـفـكـيـرُ والـتَّـنـقـيـر

كلُّ أمــرٍ إلــيه جـئتَ سـيَـلـقـا
كَ قـــريـــبًـــا جـــزاؤهُ المـــذخـــور

فـــأْتِ مـــا شـــئتَ من صـــنـــيعٍ تَـــجِـدْهُ
مـثـمـرًا حـسـبـمـا تـكـونُ الـبـذور

وتــوقَّعْ يــومَ الجـــزاءِ فـــمـــا يَـــوْ
مُ جـزاءِ الـصـنـيعِ مـنك شَـطِـيـر

ولـــكلٍّ من صُـــنـــعِهِ أو عـــلـــيهِ
لا سِـــواهُ قـــلـــيـــلُهُ والـــكـــثـــيـــر

وصـنـيعُ الـطـفلِ المـدَبَّـرِ مـصـنـو
عُ ولـيٍّ مـــنه لـه تــــأثـــيـــر

فـأذى الـنَّـجْلِ لـلـطـيـور عـلـى الـنـا
جِلِ وقفُ جـــزاؤهُ مـــقـــصـــور

إذ يمـــينُ الـــولـــيـــدِ لـــولا أبـــوهُ
لم يَـنُبْ طـائـرًا لـهـا تـسـخـيـر

إنمـا الـطـفلُ سـائـرٌ حَـسْبَ مـا يَـأْ
تـي له من ولـــيِّهِ الـــتـــســـيـــيـــر

قِـلِّبِ الأمـرَ قـبلَ أن يـنـشـأ الـطـفـ
ـلُ عـلـيه حـتى يـتمَّ الـظُّـهـور

فـبـطـون الأمـور عـنـهن قـد تَـشْـ
ـغَلُ إلا مـقـلِّـبـيـهـا الـظُّـهـور

يـسـتـقـيم الـغـصنُ الـنضـيـرُ إذا مـا
قَـوَّمـوهُ والـطـفلُ غـصنٌ نَـضـيـر

وكـــمـــا شـــاءَهُ المـــقَـــوِّمُ يـــبـــقى
بـــعـــد يُـــبْسٍ لـه عـــلـــيه مـــرور
لـــلـمُـــرَبّي في الـطـفل صـنعٌ كـفـاني
بَـــســْـــطَهُ الآن أنَّهُ مـــشـــهـــور
غـــيـــرُ خـــافٍ من المـــرَبّـــينَ في الأط
ـــفـــال – حـــتى أبـيـنه – الـتـــأثـيـر
وتـــأمَّلْ يـظـهَـرْ لـعـيـنـيك مـنـف
ـــوعُ مُـــرَبّي الـــولـــدان والمـــضـــرور
مـــلـــتـــقـــاهم أوراقُ سِـــفْـــرٍ تـــنـــافَتْ
من فـــريـــقـــيـــهِمُ بـــهنَّ الـــسُّـــطـــور
وعـــلى الـــفـــطـــرةِ الـــقـــديمـــةِ كلٌّ
يـــوم لاقى حـــيـــاتَهُ مـــفـــطـــور[1]
لم يـــكن بـــيـــنـــهم قُـــبَـــيْلَ المـــرَبّـــيـ
ـنَ عـــظـــيمٌ من فَـــرْقِـــهِمْ أو حَـــقـــيـــر
وبمـــا جـــاءَهُ المـــربّـــون من بَـــعْـ
ـــدُ تـــنـــافى صُـــعـــودُهُمْ والحُـــدور
فـــالـــمُـــرَبّي – لمـــا أتـــاهُ إلـــيـــهم
حـــين رَبَّى – المـــذمـــومُ والمـــشـــكـــور
فـــاتَّقِ الـــلـهَ في الـــصَّـــغـــيـــرِ فـــإمّـــا
وازرٌ أنـــتَ فـــيـــهِ أو مَـــوْزور
لا تَـــغُـــرَّنْكَ عـــادةٌ بـــالـــتَّـــفَـــشِّي
مـــا الـــتَّـــفَـــشِّي لـــعـــادةٍ تـــبـــريـــر
كم تَـــفَـــشَّتْ من عـــادةٍ والـــمُـــفَـــشّي
أوّلاً في الـــورى لـــهـــا مَـــمْـــرُور

(١) مفطور: مخلوق ومنشأ.

وهُمُ بـــالــعــقــولِ لــو فَـحَـصــوهــا

سَــرَّهُم طَـيُّــهــا وســاء الـنُّــشــور

قَلَّ مـــنـــهم فـــحصٌ به يَـــتَـــجَـــلّى

مــســتــجــازُ الــعــاداتِ والمحــظــور

قَـلَّـدَ الــنــاسُ بـعـضَــهم في مُـريـبـا

تِ من الــعــادِ فـحـصُـهــا مــهــجــور

لا تُـقَـلِّـدْ تـقـلـيـدَ أعـمى لأعـمى

فـــوق دربٍ مـــا شِـــيهِ كـــابٍ عَـــثــور

عـــابـــرُ الـــدَّرْبِ خـــلف هـــادٍ ضـــريـــرٍ

يـــتـــأذّى إن لم يُـــمِـــتْهُ الـــعُـــبـــور

واســلُكِ الــدَّرْبَ نــاظـرًا مــنك بــالــعـيـ

ـنِ هُـداهُ يــســهُلْ عــلــيك الــمُــرور

لـــو أراد الإلهُ تـــعـــطـــيـــلَكَ الـــعـــيـ

ـنَ تَـخَـطَّى إنـسـانَـهـا الـتـنـويـر

أيُّـــهـــذا الإنـــســـانُ إنَّ الحَـــيـــاويـ

ـنَ لـــهـــا بـــالـــصــنــيـعِ مــنك شُـعــور

كل جـنسٍ مـنـهنَّ لـلـنـاس في الإحـسا

سِ نِـــدٌّ وفـي الـــشُّـــعـــور نَـــظـــيـــر

فـــلـــمـــاذا تُـــذيـــقُـــهـــا مـــا عـــلـــيه

مـــنك لـــو ذقـــتَهُ يَـجِــدُّ الـــنَّـــكـــيـــر

ألِــضَــعْفِ الحــيــوانِ جُـرْتَ عــلــيه

أم لأمـــــرٍ سِـــــواهُ أنـت تجـــــور

لـــستُ أدري مـــا سِـــرُّ ظـــلـــمِكَ والـــظُّـــلْـ

ـمُ بهِ لـــلـــفـــتى يـــســـوءُ المـــصـــيـــر

أأمِـــــنْتَ الـــــعَـــــدْلَ الـــــذي كلُّ شـيءٍ
لك عـــــنـه مـــــتــــرجِـمٌ ونَـــــذيــــر
إن عَـــــدْلَ الإلـه مــــا ارتـــــابَ فــــيه
مَن إلــيه بـــالــفـكــرِ كــان يَـحــور
فـــأجِلْ فــيه طَــرْفَ فــكــرِكَ تَــرْجِعُ
بـعــدَ هــذا الــعــمى وأنت بـصــيـرُ

****

من أعمى إلى عميان

أَلِلأعمى بِمَحْياهُ سُرورُ
وهل يا صقرُ فيه له حُبورُ
فقلتُ لهم عمى العُميانِ أسْرٌ
وهل في الأسْرِ يبتهِجُ الأسير
فقالوا العُمْيُ أكثرُهُم سِمانٌ
وهل سِمَنٌ بلا أُنْسٍ يَصير
فقلتُ لهم سِمانُ العُمْيِ ماتت
مشاعرُهُم فليس لهم شُعور
وموتُ مشاعِرِ العُميانِ دَرْبٌ
عليه لهم مَسَرَّتُهُمْ تسير
أَلَمْ يَسْلَمْ من السِّمَنِ المَعَرّي
وبشارٌ ومثلُهما يسير
وأنَّى يكتَسي هذان لحمًا
وكانا من ذَكاءٍ وهْوَ نُور
وما الأنوارُ إلا من سعيرٍ
وهل يُبْقي على اللحمِ السَّعير
ذكرتهما فيا عينَيَّ سِيلا
دماءً ضِمْنَها ماءٌ غَزير
هُما أخواي قد سَلَفا وإني
ومَقْتُهُما وما لَهُما نَظير

فسَكْبُكُما دُموعَكُما احتجاجٌ
وقد يحتجُّ بالدمعِ الفقير
على زَمَنٍ على العُميان مِمَّنْ
تَحَرَّرَ فكرُهُمْ فيه يَجور
ألم يَمْنَعْ تَلاقِيَهم لكيلا
يُخَفِّفَ فيه عنهم ما يَضير
درى أنَّ الضريرَ له سرورٌ
كبيرٌ حين يلقاهُ الضَّرير
فشَتَّتَ شملَهم تشتيتَ من لم
يُقَرِّعْهُ على الجَوْرِ الضمير
كأنَّ زمانَنا مَلِكٌ ظَلوم
على ضعفاءِ أمَّتِهِ يُغير
فيسلبُ منهمُ ما يشتهيه
وما إلا هَواهُ له مُشير
تراهُ في بَواخِرَ من هَواهُ
دموعُ البائسين لها بحور
يَسِرْنَ إذا يَسِرْنَ على بُخارٍ
صدورُ المعدَمين به تفور
أكادُ أذوب من حَنَقي إذا ما
تمثَّلَ في مخيِّلَتي شَرير
أعَضُّ أناملي عَضّاً لغيظي
على من تستخفُّهُمُ الشُّرور
وأضربُ باليمين وليس فيها
سوى عكازةٍ فيها فُطور[1]

(١) فطور: شقوق.

لأَفْــطُــرَ رأسَ من يـــبـــغي عـــلى من
به قـــعَـــدَتْ من الـــنـــاس الـــدُّهـــور
فـــأكـــسِـــرُ من أوانِيَّ الـــلـــواتي
تـــأتِّــيـــهـــا عـــلى مـــثـــلي عـــســيـــر
هـــنـــاك أُفـــيقُ من ألَـــمي بـــقـــومٍ
مـــنـــاطـــيـــدُ الـــشُّـــرور بـــهم تـــطـــيـــر
فـــأعـــلـمُ أنـــنـي في صـــحنِ داري
ومـــا حـــولي عـــظـــيمٌ أو حـــقـــيـــر

✲✲✲✲

يُـمَـزِّقُـني انـحـطـاطُ الـعُـمْي حُـزْنًـا
وكـــلُّـــهُـمُ عـــلى الـــعَـــلـــيـــا قـــديـــر
فـــإن تُـــعْـــوِزْ أكُـــفَّـــهُـمُ رمـــاحٌ
يـــشـــوق شـــجـــاعَـــهم مـــنـــهـــا صَـــريـــر
وتَـــصْـــفَـــرْ من مـــدافعَ في دفـــاعٍ
يَـــهُـــزُّ كـــريمَـــهم مـــنـــهـــا هـــديـــر
فـــفي درس الـــعـــلـــوم لـــهم رُقِيٌّ
تـــمـــنَّى مـــثـــلـه الـــشِّـــعْـــرَى الـــعَـــبـــور
وفي درسِ الـــعـــلـــومِ لـــهم مـــحَلٌّ
تَـــوَدُّ لـــوِ انجَـــلَتْ فـــيه الـــبُـــدور

✲✲✲✲

«لـــهـــومـــيـــروس» في الـــيـــونـــان فـــضلٌ
يُـــفـــاخِـــرُ مـــنـــهم فـــيه الـــفَـــخـــور
و«طه» قـــد بـــنى مـــجـــدًا رفـــيـــعًـــا
له بـــين الـــورى شـــأنٌ خـــطـــيـــر

وفـي هـــــذينِ أســـــوَةٌ كُلِّ أعـــــمى
لـــبـــيبٍ قـــلــبُهُ قـــلبٌ كـــبــيـــر

✡✡✡✡✡

عــلــيـكم مــعــشــرَ الــعُــمــيــان أن لا
يَــمَـسَّـكُمُ عن الـعَـلــيــا فُــتــور
فـقــد يـبــني ضــريــر الـقــوم مـجـدًا
يُــقــصِّــرَ أن يــفــوز به الــبَـصــيــر
ولـــيس تَــنـــالُ يــا عُــمــيــانُ فــخــرًا
بـــهــذا الــعــصــر عُــمْــيــانٌ تَــخــور
فـــأعـــصـــارُ الـــتـــكـــاسُلِ قـــد تَـــوَلَّتْ
وهـــذي بـــالـــنـــشـــاط لـــكم عــصـــور
عــمى الــعُــمــيـــان مــقــبــرةٌ ولـــكن
لــهم مــنــهــا بــعــلــمِــهِمُ نُــشــور
فــبـــالــعــلم الــشــريف لــكم حــيــاةٌ
تحفُّ بـــهـــا المحـــامـــدُ والأجـــور
وهل أصْــبَتْ ســوى هــذين شــخــصًــا
لـه لُبٌّ تَـــمِــــيــــزُ بـه أمـــــور
ولا تَـــرْضَـــوْا جـــهـــالَــتــكم فـــإني
رأيتُ الجـــهلَ كَـــلْـــبَـــتُهُ عَـــقــــور
يــعــيشُ الجــاهــلــون من الــبــرايــا
كــمــا تحـيــا بــدنــيــاهــا الحــمــيــر
يـــحـــمِّـــلُـــهـــا ذَوُوهـــا كلَّ عِبءٍ
ويُــقــنِـعُــهـا عــلى الـكَـدِّ الـشَّـعــيــر

****

فرق كبير

أيــشــكــو حــولكَ الــفــقــرَ الــفــقــيــرُ
ومـــــالُكَ وافــــرٌ جَمٌّ كـــــثـــــيـــــرُ
كــــــأنك لا تُـــــحِسٌّ لـه شَـــــكـــــاةً
يُـــرَدِّدُهـــا الأنـــينُ أو الـــزَّفـــيـــر
فـــدعه وهـــو عـــاري الجـــسم طـــاوٍ
فـــمَـــشـــهـــدُ بـــؤسِهِ لك لا يَـــضـــيـــر
لأنَّ قـــبـــيحَ بُـــخـــلِكَ طـــالَ حـــتى
تَـــخَـــوَّفَهُ فـــفـــارقكَ الـــضـــمـــيـــر
ولا تَـــعْـــبَـــأْ مـــتى تَـــشـــبَعْ بـــشيءٍ
فـــذاك الـــشيءُ حـــمـــدٌ أو أُجـــور
ومـــا كلُّ امـــرئٍ أثـــرى لحـــمـــدٍ
وأجـــرٍ مـــســـتـــحِقٌّ أو جَـــديـــر
فـــبـــعضُ الـــيُـــسْـــرِ في الـــدارين شَـــرٌّ
عـلى ذي الـيُـسـرِ مـنـا مـسـتـطـيـر
ومـــنه الـــبـــعضُ يُـــعْـــقِبُ حُـــسْنَ أجـــرٍ
وحَـــمـــدًا لـــيس تُـــبـــلـــيه الـــدهـــور
ومُـــغـــنـــيكَ المحـــاسِبُ عن قـــريبٍ
وذاك الـــعـــالِمُ الـــعَـــدْلُ الـــقـــديـــر
ومـــــا عن عـــــدلِهِ لك مـن فـــــرارٍ
ومـــنك عـــلـــيه لا تَـــخـــفى الأمـــور

ستندمُ والندامةُ ليس تُجدي
إذا الزُّرَّاعُ أجنَتْها البُذور
هُنالكَ بين ما يجني بخيلٌ
ويجني محسنٌ فرقٌ كبير
فذاك له أسًى في مَنْزِلَيْهِ
وذا في المنزِلَيْنِ له سرور
ففي الأولى جزاءُ الفعل يأتي
مُعَجَّلُهُ وفي الأخرى الأخير
وعَدْلُ الله لا يُلغي جزاءً
فلا يغرُرْكَ بالله الغَرور[1]
تأمَّلْ هل ترى إلا أُناسًا
عن الدنيا إلى الأخرى تَسير
وأيُّ الذاهبينَ إلى ثراهُم
لتُرخى منه فوقَهُم السُّتور
رأيتَ المالَ يتبعُ منه نَعْشًا
لكي يلقاهما معًا الحَفِير
ولو دَفَنوا مع الموتى ثراءً
أطالت هُزْأها بهمُ القبور
وأصْبَحَ في الثرى المدفونِ فيه
ثراءُ القوم وهو له نظير
فسِيّانِ الصفائحُ من نُضارٍ
على الموتى هنالكَ والصُّخور
جميعُ المال يغدو وهو إرثٌ
لأيدٍ كان عنه بها قصور

(١) الغرور: الشيطان.

فَــيــذهبُ نــادمًــا ذو الـبُــخْلِ لــكن
من الــوُرّاثِ تــنــشــرحُ الـصُّـدور

فلا تَـغْـبِطْ من الـمُـثـرينَ شـخـصًـا
عن الإحـسـان يُـعـرِضُ أو يَـجـور

فـخـيـرُ المـال مـا يَـثْـني رِواءً
عِـطاشَ الـفَـقْـرِ بـارِدُهُ الـنـمـيـر[1]

وشَـرُّ المـالِ مـا مـنـعَـتْهُ أيـدٍ
أنـاسًـا أمـرُ عُـسـرِهِمُ عـسـيـر

فـأشـقـى الـنـاسِ كـلِّـهِمُ غَـنِيٌّ
لـعـافٍ لـيس يُـرجى مـنه خـيـر[2]

ولـيس يـشكُّ في مَـشـقـاهُ مِـنّـا
سـوى من طَـرْفُ نُـهـيَـتِهِ ضـريـر[3]

تـعـالى الـلهُ من لـو شـاء أثْـرَتْ
إنـاثُ الـنـاس طُـرّاً والـذُّكـور

فـإغـنـاء الجـمـيع من الـبـرايـا
عـلـيه هَـيِّنٌ سـهلٌ يـسـيـر

ولـكن غـيـرُ ذاك قـضـاهُ فـيـنـا
فـكـان الـيُـسـرُ والـعُـسـرُ المـريـر

ومـا الإغـنـاء والإفـقـارُ إلا
لِـسِـرٍّ مـا عـلـيه لـنـا ظـهـور

وظَـنِّي أن هـذي الـنـاس لـو لم
يـفُـتـهـا ذلك الـسِّـرُّ الخـطـيـر

(١) النمير: العذب.

(٢) العافي: طالب المعروف.

أتـى من شُـــحِّهِ أعـــمـى نُـــهَـــاهُ
عن الإحـــســـان وهْـــوَ به بَـــصـــيـــر

ولـم تَـــرَ مـــأربًـــا لـــلـــنـــاس يـــومًـــا
إلـــيه عن مـــكـــارمـــهـــا تَـــحـــور[1]

وظَـــلّـــوا واصـــطـــنـــاعُ الـــعُـــرْفِ فـــيه
زُيُـــودُهُمُ تُـــنـــافـــسُـــهـــا الـــعُـــمـــور

ولـم يُـــــتَـــــمَنَّ مـــــالاً قَطُّ إلا
لـــيَـــبْـــذِلَهُ كـــبـــيـــرٌ أو صـــغـــيـــر

ولـــكن سِـــتْـــرُ سِـــرِّ الـــلـهِ ضـــافٍ
وقـــد يـــبـــدو لـــنـــاسٍ مـــنه نـــور

لـــذا شُـــغِـــفَتْ بـــبـــذلِ الـــعُـــرْفِ نـــاسٌ
ونـــاسٌ مـــنه كـــان بـــهم نُـــفـــور

****

(١) تحور: ترجع.

إلى سمو الأمير الجليل الشيخ

عبدالله بن الشيخ سالم الصباح[1]

لَــــئِنْ لم أزُرْ فـي كلِّ يـــومٍ مَـــحَلَّ مَن
عَــلَيَّ له فـضلٌ يَـجِلُّ عن الـشُّـكْـرِ
كـفـضل أبــيه الحُـرِّ ســالمٍ الــذي
أبى حُـبُّهُ إلا الــتـمـكُّنَ في صــدري
فـمـا انـفكَّ قـلـبي آيـبًـا مـنه ذاهـبًـا
إلـيه لـعـمـري طَـوْعَ أشـواقِهِ الـكُـثْـر
ولــو أنــني أســطـيعُ وحــدي أزديــارَهُ
لـكـنت إلـيه الـدهـرَ مـتَّـصِلَ الـسَّـيْـر
ولــكــنــني مـــا ســرتُ وحـــدي مَــرَّةً
فـعُـدْتُ ولم تجـرَحْ جـبـيـني يَـدُ الجُـدْر
كــأنَّ لجـدران الـكـويت جـمـيـعِـهـا
عـليَّ تِـراتٌ غـيـرُ مـنـسـيَّـةِ الـذِّكـر
فـــهنَّ مـــتى أبـــصــرْنَــني دون قــائـدٍ
رَدَدْتُ نـظـيمَ الـصـبـرِ مـني إلى نَـثْـر
أظنُّ كـــأني كـــنتُ بـــالأمس واتـــرًا
وهُنَّ بـصـفـعي الـيـوم يـأخـذنَ بـالـوِتْـر

(١) كان من عادة صقر أن يزور المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح أسبوعيًا، وبعد عزلته انقطع عن زيارة الشيخ عبدالله السالم، فأرسل هذه القصيدة يوضح فيها أسباب عدم الزيارة وذلك بعد أن أرسل إليه المرحوم عاتبًا عليه في انقطاعه.

فيُسلِمُني هذا لذاك بصفعةٍ
وذاك إلى هذا بصفعٍ له مُرِّ
وليس لعُكّازي وإن طال من غِنًى
تجاه صنيع الجُدْرِ أو أنملي العشر
فأبقى شريد اللُّبِّ حتى يُتاحَ لي
كريمٌ عن الإسعاف ليس بِمُزْوَرِّ
فيرجعُ بي للبيت أشكرُ فضلَهُ
وطورًا أنالُ الجُدْرَ بالمنطق الهُجْر
وما كان قولُ الهُجْرِ خُلْقي وعادتي
ولا بِمُبيخٍ ما بصدري من الحَرِّ
ولكن غيظ المرء يُخرجُه إلى
سوى عادِهِ أو ضِدِّ أخلاقِهِ الغُرِّ
وهل لمغيظٍ مُحْنَقٍ من تأمُّلٍ
فيعدِلُ عن شَرِّ الأمور إلى الخير
فما غَضَبُ الغضبانِ بَدْءًا وغايةً
سوى آفةٍ مغتالةِ العقلِ والفكر
فكم غَضَبٍ ألقى على عَقْلِ عاقلٍ
من السِّتْرِ ما تُلقي عليه يَدُ الخَمْر
فقد يندمُ الغضبانُ بَعْدُ كأنه
مُفيقٌ جَنى كبرى الجناياتِ في السُّكْر
وأعرف فضلَ الحِلْم لكن متى يُسِيءْ
إليَّ مسيءٌ أَنْسَ مثلَ الورى غَيْري
وهل يغضبُ الإنسان لو عاش ذاكرًا
جمال مزايا حِلْمِهِ الجمَّةِ الزُّهْر
فآوي إلى بيتي وثوبِيَ لا ترى
به أو بجسمي موضعًا غيرَ مُغْبَرِّ

فـيـتـركُـني ذاك الـفـتى بـعـد قـولِهِ
أرى لك أن تـبـقى من الـبـيتِ في الـعُـقْـرِ
فـمـا لـضـريـرٍ في فـراقِ مـكـانه
من الـربح إلا مـا يَـقِلُّ عن الخُـسْـر
فـلـست أرى ربـحًـا وإن جَلَّ وافـيًـا
بمـا تـركت في وجـهك الجُـدْرُ من حَـفْـر
ومـا رَقَّتِ الجُـدران يـومًـا لحـالـتي
وهل رِقَّـةٌ لـلـطـين تُـرجى أوِ الـصَّـخْـر
وإن أنْجُ مـنـهـا لم أعُـدْ قَطُّ نـاجـيًـا
إلى مـنـزلي من وقـعـةٍ بِيَ لـلـحُـمْـر
فـكم أوجَـعَتْ صـدري صِلابُ صـدورهـا
وكم عَـفَّرَتْ ظـهـري بـطرحي عـلى الـعَـفْـر
ولم يَـرْثِ لي من قـد أقَـلَّتْ ظـهـورُهـا
لـقِـلَّـةِ مـا فـيـهم من الـفـهمِ والحِـجْـر
كـأني لـديـهم لـلـحـمـيـر ممـازحٌ
فـليس لـديـهم غـيـرُ ضـحـكـهمُ الـمُـزري
فـمـهـمـا أقَعْ مـسـتـلـقـيًـا لا تجد فَـمًـا
عـلى مـنـظري من جَـهْـلِـهِمْ غـيـرَ مُـفْـتَـرِّ
كـأنـهـمُ شـاءوا بـإرسـال ضِـحْـكِـهِمْ
زيـادةَ مـا قـد ألحـقـوني من الـشَـرِّ
وإن كـان فـيـهم عـاقلٌ كـان عـقـلُهُ
بمـشـبِهِ شَـتـمي من ملامي له يُـغْـري
فـهـذا له ضـحـكٌ وذاك مـلامـةٌ
خلال نـهـيقٍ من حَـمـيـرِهِمُ نُـكْـر
فـتـسـمع أذني مـا أوَدُّ لأجـلـه
بـأن عـلى أُذْني رتـاجًـا من الـوَقْـر

ويــا ربمــا فــارقتُ قــبلَ فِــراقــهمْ
صــوابِيَ أو قــد غــبتُ عــنه عــلى الإثــر
فــأمــضي بلا رُشــدٍ كــأني ســفــيــنــةٌ
بمــلــتــطم الأمــواج من لُــجَجٍ خُــضْــر
وقــد كــسَــرَتْ مــنــهــا يَــدُ المــوجِ دَفَّــةً
ومــا لــذويــهــا بــالــنــجــارةِ من خُــبْــر
فَــظَــلَّتْ بــهم تجــري إلى غــيــر وجــهــةٍ
بــغــيــر الــذي ينــوُونَ من جــهــة الــعُــبْــر[1]
تــمــيل بــهــا لــلــقــصــد طــورًا وتــارةً
تــمــيلُ بــهــا عــنه يَــدُ الــريح بــالــقَــسر
فــأمــشي بــأثــنــاء الــشــوارع تــائــهًــا
كــمكــســورةِ الــسُّــكــان في وسط الــبــحــر
إلى أن يــرانــي راحمٌ فــيــكــون لي
دلــيلاً ويَــثــني عــســرَ أمــري إلى يُــسْــر
فــيــوصــلُــني بــيــتي يُــحَــدِّثُــني بمــا
يَــراهُ يــؤدّي كــسْــرَ قــلــبي إلى جَــبْــر
ولم أر أمــثــالَ الأنــام تــبــاعــدوا
طِــبــاعًــا عــلى رغم الــتــقــارب بــالــنَّــجْــر[2]
فــهــذا يــؤاذيــني وهــذا يــقــوم لي
بــنــفي الأذى في الــسِّــرِّ عَــنِّيَ والجَــهْــر
ملائــكــةٌ بــعضُ الأنــام وبــعــضُــهم
شــيــاطــينُ إلا بــالمــنــاظِــرِ والجِــذر

✲✲✲✲

(١) العبر: الشاطئ.

وكم حَوَّلَتْ سيارةٌ بصفيرها
أناملَ كفي الحُمْرِ خوفًا إلى صُفْرِ
وقد يَصْفِرُ الدرّاجُ حوليَ غافلاً
لأَبْعُدَ عنه أو يُنَبِّهَ بالنَّقر
فأُرْعَدُ ذعرًا منه حتى كأنما
تمشت بجسمي كلِّهِ رِعْدَةُ القُرِّ
ولا غرو أن خاف الدواهسَ جاهلٌ
وجوهَ المناجي من حوادثها الغُبْر
فكم رُمْتُ أنجى الفَرِّ منها فكان ما
أتيتُ به إذ ذاك من أهلَكِ الكَرِّ

✡✡✡✡✡

ولستُ أرى لي قائدًا متطوِّعًا
يُلَبّي متى ناديته بُغيَةَ الأجر
وما قَلَّتِ القُوّادُ لكنَّ جُلَّهم
بما يبتغي منه المَقُودونَ لا يدري
ومن يدر يَغْفُلْ فالجنيبُ لجنبه
من العُمْيِ يطوي الطُّرْقَ مَعْهُ على ذُعْر
فما كلُّ من قاد الضريرَ بكائنٍ
على حَسْبِ ما يهواهُ في المسلكِ الوَعْر
ومن دَقَّ منه الحِسُّ لم يُلْفِ قائدًا
كما يتمنى إذ يُبَكِّرُ أو يَسري
فما دقة الإحساس إلا بليةٌ
وإن عَدَّها نعماء كل امرئٍ غِرِّ
فلو لم يَدِقَّ الحِسُّ مِنِّيَ لم يَعُدْ
على صِغَري يبيضُّ ما اسوَدَّ من شَعري

وأمــا الــذي يــشــفي ويــكــفي فــإنه
إلى عَقوَتي من شِقوتي غيرُ مُنْجَرِّ[1]
فــأرمي إذا شــئتُ الخــروجَ بمــقــودي
لـزيـدٍ عـلى حُكمِ الـضرورةِ أو عَـمـرو
فـأمشي كمـا يـهـواه من ثَـيِّبِ الـمِـشَى
إلى جـنـبه مـسـتـسـلـمًـا ومن الـبِـكـر
فـكم مـشـيـةٍ لا عـهـد لي بمـثـيـلـهـا
تـمـشَّـيـتُـهـا بـين الـتـعـثُّـرِ والـطَّـمْـرِ[2]
ولــو أنــني قــد نــلـت أرأفَ قــائــدٍ
وأرحم حــتى من أبي المــشــفِقِ الــبَــرِّ
وقــلت لـنـفـسي تـلك مـنـيـتك الـتي
أطـلـت تـمـنـيـهـا فـقَـرِّي بـهـا قَـرِّي
وســايَـرَنِي يـومًـا عـلى مـتن مـنـهجٍ
سَـوِيٍّ، خَـلِيٍّ من مـخـاطِـرِهِ، قَـفْـر[3]
لــعَنَّ من الجُــبْنِ الــذي هُــوَ فِــطـرتي
هـنـالكَ مـا يـثـني سـكـوني إلى نَـفْـر
فـمـا يـنـتـهي بي من سـبـيلٍ نَـجـوبُـهـا
ولم يطوِ قلبي الخوفُ منها على فَطْر[4]
ولــيس له ذنبٌ ولــكنْ ســجِــيَّــتي
لـهـا وحـدهـا الـذنبُ الـذي جَلَّ عن غَـفْـر
وأمــا إذا مــا قــادَني من ضَــرورَتي
إلــيه رَمَتْ بي من ذوي الــوَثْبِ والــطَّـفْـر

(١) العقوة: ما حول الدار والساحة.
(٢) الطمر: الوثوب.
(٣) المنهج: الطريق الواضح.
(٤) الفطر: الشق.

فلا تـســألَنْ عن حــالــتي إنَّ حــالــتي
لأدمُعِ حــتى من قَــلَــوْنِيَ تــســتَــذري
فـلـو أبـصـرتْ عـينُ الـعـتـيـبيِّ بـعـضَـهم
وقـد أمـسـكتْ يُـمـنـاهُ أنْـمُـلَـتَيْ «صَـقـر»
لَــهَمَّ كـمـا تـقـضي المـودَّةُ مـشـفـقًـا
بـنَـهْـري عـلـى إفلاتِيَ الـبـيتَ أو زَجْـري
وقــال أرى يـا صــقــرُ – مـا دمتَ لا تـرى
طريقَكَ – أن تبقى مدى الدهرِ في الـوَكْر
فــلــيس لــصــقــرٍ أن يُــبــارِحَ وَكْــرَهُ
إذا سَـدَّتِ الـعـيـنـينِ مـنه يَـدُ الـضُّـرِّ
فـمـا طـارَ مـكـفـوفُ الـصُّـقـور فـسـالَـمَتْ
جَـنـاحَـيْهِ قـبلَ الـيـوم عـاديـةُ الـكَـسْـر
فلا تجـمـعَنْ كـسـرَ الجـنـاحِ إلى الـعـمى
فـجـمعُـهـمـا يـا «صـقـر» قـاصـمـةُ الظَّـهْـر
فــكن أبـدًا حِـلْـسًــا لــبـيــتكَ لازمًــا
لـكِـسْـرَيْهِ حـتى يـنـقُـلـوك إلى الـقـبـر
فــلــو شــاء رَبِّي غــيــرَ ذلك لم يــكُنْ
بـعـيـنـيك من كَفٍّ وكــفِّكَ من عُـسْـر
وهــا أنـا لـم أخـرُج من الـبـيت سـاعـةً
إلى من نـأى أو من دَنـا غـيـرَ مـضْـطَـرِّ

✡✡✡✡

كــأن إلــهي شــاء قــبلَ تَــرَحُّــلي
إلى الـعـالمِ المـسـتـورِ غَـسْـلِي من الـوِزْرِ
ولــيس لــوِزري غــاسلٌ مـثلُ شِـقْـوتي
فـأسـبَغَ مـنـهـا مـا يـفي لِيَ بـالـطُّـهْـر

✡✡✡✡

لــهــاتــيــكمُ الأســبــابِ قَــلَّتْ زيــارتي
وإن كـنتُ من شـوقي إلـيكم عـلى جَـمْـر
فــلم أسْلُ عن أفْقٍ عــهــدتُكَ بَــدْرَهُ
وأمــجــادُ أصـحــابي به هــالــةُ الــبـدر
ومــا كلُّ مــنــزور الــلــقــاء بـنــاشئٍ
لــعَــمــرِيَ عن قُلٍّ من الــشــوق أو نَــزْرِ
فــيــا رُبَّ ذي وصلٍ كــثــيــرٍ بلا هــوًى
وآخــر تــلــقــاه عــلى عـكـسه يـجـري

✡✡✡✡

أمــولايَ عــبــدَالــله أحــلفُ بــالــذي
أُؤَمِّلُ مــنه أن يــزيــدك في الــعُــمــر
وأن لا يــريك الــدهــر ســوءًا بــأن لي
إليك اشـتـيـاقُ الـمُـجْـدِبِـينَ إلى الـقَـطْـر
ولــكن لأســبــابٍ كـشــفتُ وجــوهَــهــا
بمــا مَــرَّ من قــولي فــجــئنَ بلا سِــتْــر
غــدوتُ مُــقِلاً من زيــارتك الــتي
يَــقِلُّ عــلى إقلالِ أمــثــالِــهــا صَــبــري
فــإن تَــلْقَ عُـذري بــالــقــبــول فــذاك مــا
رجــوتُ ولم أتْــرُكْ حــجــابًــا عــلى عُـذري

****

في اسمه

يـقـولــون لي يــا صــقــرُ مــا لكَ واقــعًــا
من الـكَفِّ عن طَـيْـرِ الـقَـريضِ عـلـى وَكْـرِ
إذا لم تُـحَـلِّقْ في فـضــا الـشِّـعْـرِ صــائـدًا
طـيــورَ مَـعــانـيـه فـمــا أنت بــالـصَّــقْـرِ
ومــا عــلــمــوا أن المــقــاديــرَ قــد رَمَتْ
جـنــاحِيَ عن قـوسِ الحـوادثِ بــالـكَـسْـر
إلى الــلـه أشــكــو أنــني في مــعــاشــرٍ
رأوْني من الإعــســار كــالــواوِ في عَــمـرو

****

صرخة في العرب في أثناء جهاد فلسطين

بـــني يـــعـــربٍ من كُلِّ ذي نجـــدةٍ حُـــرِّ
فـلـسـطـين مـسَّـتْهـا يَـدُ الـعَـسْفِ والجَوْرِ
وأنــتم لـــهـا نـعم الــعَـتـاد فــهـيِّـئـوا
قُـواكم وسـيـروا نـحـوَهـا أسـرَعَ الـسَّـيْـر
ولا تـــقـــعُـــدوا حــتى ولـــو لم يــكن لــكم
سلاحٌ ســوى الإيمـــان والحَقِّ والــصَّـــبْــر
أيَــجـــمعُ شُـــذَّاذُ الـــيـــهـــود نــفـــوسَـــهم
ومـا مـلـكـوا من وافـرِ الـبِـيضِ والـصُّـفْـر
لأخـذ فـلـسـطـينَ الـعـزيـزِ مـكـانُـهـا
ورَمْيِ أهـــالـيـهـا بـقـاصِـمـةِ الـظَّـهْـر
ولـــمّـــا نُـــنـــازِلْـــهُمْ نِـــزالاً يَـــرُدُّهُم
وقـد يـئـسـوا من مـثـلـهـا آخـرَ الـدَّهـر
لـئن لم يُـثِـرْنـا مـا فـلـسـطـينُ تـشـتـكي
أذاهُ فـــإنّـــا فـي ضـلالٍ وفـي خُـــسْـــر
عُـــرِفـــنـــا قـــديمًـــا بـــالــوفـــاء وإنـــني
أرى عن فـلـسـطـينَ الـتـخـلِّي من الـغَـدْر
عـجـبتُ لجـسـمٍ يـسـتــقـرُّ وبـعـضُهُ
يـقـلِّـبُهُ الـظـلـمُ الـشـنـيعُ عـلى جَـمـر
شـــيـــوخٌ وأطـــفـــالٌ صـــغـــارٌ ونـــشـــوةٌ
تـئنُّ من الـبـلـوى وتـشـكـو من الـضُّـرِّ

فــكم أيِّمٍ تــشــكــو هــنــالكَ شَــجْــوَهــا
وكم ثَمَّ من طــــفلٍ لأدمُــــعِــهِ يُــــذْري
وكم من أخي شــيــخــوخــةٍ مــتــجــلِّــدٍ
عــلى مــا به من كل مــحــرجــة الــصَّــدر
وقــد جــاهــدت شُــبَّــانُــهُمْ وكُــهــولُــهُمْ
جــهــادَ بــهــالــيلٍ غــطــارفــةٍ غُــرِّ[1]
جـــهـــادًا به قــد أعــرَبَ الــكلُّ مــنــهمُ
لــعُــرْبِ الــورى والــعُــجْمِ عن كَــرَمِ الجِــذر
جـــهـــادًا فـــؤادُ المجــدِ سُــرَّ بـــوقـــعِهِ
وعــادت له الــعــلــيــاء بــاســمــةَ الــثَّــغْــر
ومــا بَــرِحــوا مــنــه يُــقــيــمــون كلَّ مــا
يُــدالُ به عُــرْفُ الحــقــوق من الــنُّــكْــر[2]
وقــد أصــبــحت فــرضًــا مــعــونَــتُــهُمْ بمــا
تــصــونــونَ من غــالي الحــيــاةِ أو الــتِّــبْــر
لمن نُخْــرُنــا أمــوالَــنــا ونــفــوسَــنــا
إذا مــا رغــبــنــا عــنــهمُ الــيــومَ بــالــذُّخْــر
ومــا قـــولــنـــا لـــله إن لم نُــعِــنْــهُمُ
إذا مــا وقــفــنــا مَــعْــهُمُ وقــفــةَ الحَــشْــر
إلى قــومِــنــا قــومــوا بــنــا فــلــقــد شَــجَتْ
مــصــيــبــتُــهم حــتى الأصمَّ من الــصَّــخْــر
لــنــشــهَــدَ مَــعْــهُمْ مــا بِه يُــحــرِزُ الــفــتى
شــهــادتَهُ أو يــجــتــني ثَــمَــرَ الــنَّــصْــر
فـــمـــا المـــرء إلا من يـــشـــارك قـــومَهُ
من الــعــيش في حــلــوِ المــذاقــة والــمُــرِّ

(١) البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. والغطارفة: جمع غطريف وهو السيد.

إذا كـان عُـمْـرُ المـرءِ حـتـمًـا سـيـنـقـضي
فـفـي مـثل مـا هَـبّـوا له يـا دَمِي فَـاجْـرِ
نـسـورٌ وآسـادٌ سـعى كلُّ ظـالمٍ
لإخـراجـهـا ظـلـمًـا من الـغـابِ والـوَكْـر
فـعـزَّ عـلـيـهم أن يـكـونـوا فـرائـسًـا
يمـزِّقُـهـا الـطـغـيـانُ بـالـنّـابِ والـظُّـفـر
فـهَـبّـوا كـمـا تـقـضي الـعُلا عن حِـمـاهُمُ
يـذودون ذَوْدَ الـلـيث ضُـويِقَ والـنَّـسْـر
فـإن تـنـجـدوهم يـا بـني الـعـرب تُـنـقـذوا
نـفـوسَـكُمُ لا غـيـرهـا من يَـدِ الـشَّـرِّ
ومـا لـكمُ إن لم تـقـومـوا بـنـصـرهم
لـدى الـلـهِ والإنـصـافِ والمجـدِ من عُـذر
ومن ذا يـرى عـذرًا من الـنـاس للأُلى
إلى يـعـربٍ مَـتّـوا بـآصـرةِ الـنَّـجْـر[1]
إذا قـعَـدوا عن نـصـر إخـوانـهم بمـا
لـديـهم من الأرواح جـبـنًـا أوِ الـوَفْـر
وهـل من أوانٍ مـثلِ هـذا لـطـالبٍ
رضـى الـلـهِ في بـذلِ الحـطـام أو الـعُـمْـر
عـفـاءٌ عـلـى غـيـرِ المـعـين بمـاله
ومـهـجـتِـه إخـوانَهُ سـاعـةَ الـعُـسْـر
أمـا يـتَّـقي سُـخْطَ الإلـه يَـصُـبُّهُ
عـلى رأسه أو يـسـتـحـي مِن ذوي الحِـجـر[2]
ألا مـا الـذي غَـرَّ الـيـهـود فـأمَّـلـوا
حـصـولاً عـلـى مـالا يُـنـال من الأمـر

(١) النجر: الأصل.
(٢) الحجر: العقل.

ألم يــعــلــمــوا أنّـا بَـنُـو الجــرأة الــتي
يَـحُـولُ بـهـا سَـهْلُ الـطُّـغـاةِ إلى وَعْـر
وأنــا الــشَّــجــا في حَـلْقِ كلِّ مـحـاولٍ
لـديـنـا ولـو أخـذَ الـقُلامـةِ بـالـقَـسْـر
وأنــا بَــنُــو من لم يــكن قَطٌّ مــنــهم
فتًى جَفْنُه يغضي على مَضَضِ الوِتْر
لـئن جَـهِـلـوا من نَـحْنُ قـبلُ فـكـلُّـهُمْ
سيـصـبحُ بعـد الـيـوم وَهْـوَ بـنـا يـدري
ألا سـألـوا عـنـا الحُـروب لـيَـعْـرِفـوا
حقيقتَنا بين الظُّبي والقَنا السُّمْر
ألا سـألـوا الـتـاريخ عـنـا لـيـغـتـدوا
عـلى خـبـرةٍ ممـا نَـريشُ ومـا نَـبْـري

****